مجلّة

المجمع الجزائري للّغة العربية

مجلة لغوية علمية تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية

العدد السابع | السنة الثالثة | جمادى الثاني 1429 – جوان 2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

مجلة لغوية علمية يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية

المدير المسؤول

د. عبد الرحمن الحاج صالح

رئيس التحرير

عثمان شبوب

اللجنة العلمية

د. صالح بلعيد — د. محمد صاري

د. أحمد حساني — د. التواتي بن التواتي

د. بشير إبرير — د. عبد الجليل مرتاض

عنوان المراسلة : 06 شارع العقيد بوقرة ـ الأبيار ـ الجزائر

البريد الالكتروني : aala@wissal.dz

هاتف : 213 21.23.07.90 - الفاكس : 213 21.23.90

* المقالات التي ترد إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر

* كل باحث مسؤول عن آرائه

محتويات العدد

1 ـ أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث

أ.د عبد الرحمن الحاج صالح 9

2 ـ التشريع اللغوي

أ . د. أحمد مطلوب 31

3 ـ الحاسوب وتنمية المقدرة اللغوية عند الطفل

أ .د. أحمد زياد محبك بن مصطفى 43

4 ـ المحتوى العربي في الشبكات الحاسوبية دوره وأهميته

The Arabic Language content Gap

د. محمد مرايتي .....

5 ـ قراءة في مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية (الحلقة الأولى ـ الجزء الأول)

مخطوطات ابن مالك المنظومة والمنثورة وشروحها

د. محمد عيسى وموسى 105

6 ـ مصطلح العامل عند السكاكي (ت 626 هـ) من خلال مفتاح العلوم

أ .علي فراجي 145

7 - الجوانب النحوية في القراءات القرآنية سورة الكهف نموذجا

أ .حورية عبيب 193

8 ـ آراء وأنباء

تراث الإمام عبد الحميد بن باديس: إحصاؤه

أ. د. محمد بن سمينة 211

أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث [1]

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

رئيس المجمع الجزائري للغة العربية

يعتمد أهل الاختصاص في علم المصطلح الحديث في أعمالهم العلمية على مجموعة من الأدوات الناجعة وبصفة خاصة في المؤسسات التي أُنشئت بغرض النهوض بالمصطلحات العلمية باستخراجها من النصوص العلمية وتجميعها وترتيبها والتعريف بوجودها في الاستعمال وغير ذلك مما يخص البحث الاصطلاحي الحديث [2]. وأهم هذه الأدوات هي

1 ـ ألقي هذا البحث في ندوة مجمع اللغة العربية بدمشق (من 9ـ12 أكتوبر 2004) بشيء من التصرف لما جدّ من جديد.

2 ـ لقد حدد المختصون و العلماء في علم المصطلح هذا العلم بأنه « نشاط يهدف إلى التعرف على الألفاظ الجارية في الاستعمال العلمي الدالة على مدلولات خاصة بكل علم و تجميعها و وصفها من حيث بنيتها الخاصة و بالتحديد الدقيق لمدلولاتها الخاصة مع ذكر مراجعها في الاستعمال و تقويمها إن اقتضي الحال و تنميطها و نشرها (و قد يلجأ إلى وضع المصطلحات الجديدة)» (من مكتب الترجمة الكندي)

الطرائق والمنهجيات العلمية التي وضعها أهل الاختصاص لمضاعفة مردود أعمالهم وكذلك البرمجيات المناسبة للتعامل مع الحاسوب والانترنت وخاصة التي يحتاج إليها الباحث لاستخراج المصطلحات من النصوص وللتنقيب عنها وكيفية استعمالها.

كما أن هناك اتصالا وثيقا جدا بين هذه المؤسسات وسائر الباحثين ولا تعمل منعزلة عن المستعملين للمصطلح العلمي أبدا.

وسنتطرق إلى كل هذه الأنواع من الأدوات وما يلزم من اللجوء إليه من تهيئة الظروف الملائمة بل وتطوير الرؤى التقليدية حول البحث في المصطلح.

من الواضح أن هذا الميدان يهم العلماء وأهل الاختصاص وهم المعنيون بالأمر بالدرجة الأولى في وضع المصطلحات و استعمالها كما أنه يهم الحكومات لأنّ المصطلحات جزء من اللغة واللغة هي أهم مكون للهوية هوية الأمم والشعوب. ثم إن من شروط التقدم العلمي والتكنولوجي المستمر التفادي للبلبلة الفكرية الحاصلة بالبلبلة اللغوية ومن ثم اهتمام المسؤولين الكبار في البلدان المتقدمة بتنميط المصطلحات والعناية بها.

هذا وإن كنا نحن العرب نشاركهم هذا الاهتمام فما أبعدنا في الواقع منهم فيما يخص أولا جوهر النشاط الخاص بالبحث العلمي في المصطلحات فاعتمادهم على رصد الاستعمال الحقيقي للمصطلحات والرجوع في الأول وفي الأخير إليه هو الأساس عندهم.

ثم إن الرجوع إلى الاستعمال معناه المسح الكامل له. وهذا لا يمكن أن يتم إلا بالوسائل التكنولوجية الحديثة وأهمها الحاسوب، فللحاسوب كما هو معروف قدرات عظيمة جدا فإنه قادر على العلاج الأوتوماتيكي لأي نص مهما بلغ حجمه وبسرعة خيالية. فهذا يلزم منه أن يغير الباحث تصوره لعمله العادي بكيفية جذرية. وسنتطرق إلى ذلك فيما يلي.

أما النهج الذي نسير عليه نحن في البلدان العربية فإن انتماءنا في عصرنا هذا إلى ما يسمى بشيء من الإشفاق: «البلدان النامية» يجعلنا ـ وبصفة خاصة ـ نسعى على الدوام إلى الالتحاق بركب الحضارة الحديثة ومجاراة حركتها العلمية وبالتالي لا **نقوم بشيء في ميدان المصطلحات إلا بسد الثغرات.** فالسبق إلى وضع المصطلحات للمفهوم العلمي الجديد لا يكون بالطبع إلا على يد صاحب هذا المفهوم الجديد. ونحن بعيدون عن هذا في وقتنا الحاضر وعلى هذا ينحصر العمل عندنا في ميدان المصطلح في البحث عن المقابل العربي للمصطلح الأجنبي ليس إلا. **ويا ليته كان هذا العمل سريعا ومنتظما حتى يستجيب لكل ما تتطلبه الحداثة** في ميدان العلم والتكنولوجيا والواقع مع الأسف غير ذلك. وذلك لأن المناهج التي نسير عليها هي، في اعتقادنا، غير ملائمة وغير مطابقة للبحث الاصطلاحي الحديث.

وقد تعوَّد علماؤنا وأهل الخبرة في كل ميدان علمي أن تنشأ لجنة خاصة لسد الثغرات تنظر في قائمة المصطلحات الأجنبية ـ بلغة واحدة

غالبا ولا ندري على أي أساس اختيرت هذه القائمة ومن أين استقيت- وتبحث عن مقابل عربي لكل لفظ أجنبي. ولا ندري ههنا أيضا هل هو لفظ موجود في الاستعمال أم لا. ثم تعرض القائمة للمناقشة في مستوى اللجنة وما فوق ويكتفي في الغالب بنشرها بعد الاتّفاق عليها.

وليست هذه الطريقة خاصة بهيئة معينة ومهما كان فإن هذا العمل لبى الكثير من الحاجات ونشرت بفضل علمائنا واجتهادهم وإخلاصهم (لا بفضل الطريقة) الكثير من المعاجم المتخصصة القيمة. وهذا لابد أن ننوّه به لأنه عمل مفيد ولكن هذا لا يمنع من أن نحاول، قدر الإمكان، تحديث هذه الطريقة وتطويرها والتكيف بما تحتمه علينا تحولات العلم والتقدم العلمي والتكنولوجي.

فما نراه ضروريا أو مفيدا لمضاعفة مردود البحث الاصطلاحي ينحصر، في نظرنا، في الطرائق والوسائل التالية:

1- ضرورة الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي والاهتمام بما قد وضع من لفظ عربي لنفس المفهوم في جهة أخرى أو بلد آخر وربما يكون قد دخل في الاستعمال بالفعل.

2 - ضرورة الحصر الكامل والمستمر لما يضعه العلماء باستمرار من مصطلحات على مستوى الوطن العربي.

3 - ضرورة الرجوع إلى التراث العلمي العربي ومحاولة مسحه مسحا كاملا وقد كان هذا من اهتمامات علمائنا في القرن الماضي ثم اختفى تماما أو يكاد.

4 ـ ضرورة الاعتماد على حصر كامل للمصطلحات الأجنبية بالنسبة لكل علم ولكل ميدان علمي أو ثقافي والتصفح المستمر لكل ما يوضع من جديد.

5 ـ ضرورة الاعتماد على مدونة من النصوص العلمية وغيرها كبيرة يتراءى فيها الاستعمال الحقيقي القديم والحديث للغة العربية في كل ميدان علمي وتكون هي المصدر الأساسي للبحث الاصطلاحي واللغوي عامة ومرجعا موضوعيا.

6 ـ ضرورة الاعتماد على منهجية خاصة في دراسة المفهوم مع اللفظ المقابل له وذلك كاللجوء إلى النوع الراقي من الجزازات الاصطلاحية الذي يجري استعماله الآن في علم المصطلح الحديث.

7 ـ ضرورة اللجوء إلي الوسائل التكنولوجية الحديثة وإن بدأ بعضهم باللجوء إلى الحاسوب فلم يتم بعد تطوير التصوّر للعمل الاصطلاحي بما يقتضيه العمل على الحاسوب.

8ـ عدم الاكتفاء بنشر المصطلحات الجديدة وضرورة التدخل لترويجها بطرق ناجعة وعلى أوسع نطاق.

9 ـ ضرورة وجود هيئة قومية تشرف على كل الأعمال الاصطلاحية العربية: بالتخطيط والمتابعة والتقويم العلمي والتنسيق ويكون لها الصلاحية المشروعة لذلك وللتدخل المباشر.

10 ـ ضرورة الاستثمار للثروة اللغوية التي تختص بها اللغة العربية في أبنيتها وجذورها.

أما عدم الاهتمام بالاستعمال الحقيقي للغة العربية فهو إهمال كبير وتقصير فظيع في نظرنا لأن الاستعمال هو المنبع الأول الذي يجب أن يرجع إليه الواضع للمصطلح والباحث الاصطلاحي خاصة فكيف يمكن أن يتجاهل ما هو موجود وجار بالفعل على ألسنة المستعملين للغة وخاصة الأساتذة والباحثين وسائر العلماء وهو يحاول أن يضع لفظا جديدا في مقابل مصطلح أجنبي؟ ولا يمكن أن يدّعى أن هذا المفهوم أوذاك لا يوجد له مقابل أصلا ما لم ينظر بالفعل في استعمال هؤلاء كلهم ولا يكتفي بما هو موجود في استعماله الخاص أو ما يعرفه من استعمال غيره في بلده. فكثيرا ما يكون قد وضع في جهة أخرى أو بلد آخر مقابل عربي ولا يلتفت إلى ذلك الواضع. ولاعذر له أبدا في ذلك إلا إذا كان اطّلع على شيء من ذلك ويريد أن يتدارك نقصا في المصطلح الجديد. فالسبب الرئيسي للبلبلة في المصطلحات يرجع إلى هذا التجاهل وعدم الاهتمام بما يجرى من ذلك في خارج المؤسسة الواحدة أو البلد الواحد. ومحاولة التنسيق بعد وقوع البلبلة قد لا ينفع في أحيان كثيرة. ولهذا فلا بد أن يجعل تحت تصرف كل باحث في المصطلحات أوّلا قائمة المصطلحات التي يضعها الواضعون في كل بلد عربي مع الدلالة على ما دخل منها في الاستعمال بالفعل ويذكر لذلك المصادر التي وردت فيها. فهذا هو أول عمل يمكن أن تقوم به المؤسسات العلمية وخاصة اللغوية منها.

ثم إن أكثر ما هو موجود الآن من مصطلحات باللغة العربية مما تخص مبادىء الرياضيات مثلا (وعلوم أخرى كثيرة) فأصله من التراث

العلمي العربي مثل الكسر والبسط والمقام والجيب وكل أسماء الصور الهندسية ومصطلحات الجبر وغير ذلك. ويرجع الفضل في ذلك إلى علماء القرن الماضي وما قبله. إذ لم يلجأوا في ذلك إلى وضع لفظ جديد مع وجود المفهوم ولفظ يدل عليه عند علمائنا القدامى. وهذا هو مع الأسف الشديد ما يفعله أكثر الاختصاصيين في الكثير من العلوم التي قد تكون مفاهيمها الأولية موجودة قديما ولها لفظ يدل عليها. وهذا يكاد يطّرد في العلوم الإنسانية ونخص بالذكر ما وضعوه من مصطلحات في اللسانيات كالتوصيل والتواصل والرسالة(message) و الموقف (المقام) وغير ذلك.

فالذي نرجوه هو أن نعود إلى ما بادر إليه علماؤنا في الماضي القريب لمسح تراثنا لأننا سنجد فيه الكثير من الألفاظ التي يمكن أن توافق بعض المفاهيم العلمية الحديثة. ثم إن هناك من ألفاظ الحياة العامة الحديثة ما يمكن أن نجد لها ما يقاربها في الكثير من الكتب الحضارية القديمة. وللمسح المنتظم الشامل وسائل خاصة سنتطرق إليها فيما بعد.

ونتساءل أيضا لماذا يعتبر بعض الواضعين أن البحث في المعاجم كاف للعثور على الكلمة المناسبة من التراث. فالمعاجم ليست كل التراث. ثم لا تغنى المعاجم إطلاقا عن النظر في النصوص فالاستعمال الحقيقي والحي للغة هي النصوص لا المعاجم ولا يكفي أن ننظر في الشواهد التي نجدها فيها لأنها قليلة جدا بالنسبة إلى النصوص التي تزخر بالحياة. والمؤسف أن أكثر اللغويين العرب في زماننا يكتفون بالنظر

في المعاجم مع وجود الوسائل التي تمكنهم من تصفح النصوص مهما بلغ حجمها.

ثم كيف يجوز للواضع أن يعتمد على قائمة من المصطلحات الأجنبية أو معجم بدون أن يرجع في ذلك إلى ما وضعته المؤسسات العلمية المتخصصة في المصطلحات من قواعد معطيات كبيرة محوسبة. فإن محتواها يمثل كل ما هو موجود في الاستعمال ـ لا جزءًا منه صغيرًا أم كبيرًا مع كل ما يتعلق بكل مصطلح من معلومات تخصه ـ(سنرى ذلك فيما يلي). فعلى أي أساس يعتمد الواضع عندنا في اختياره لبعض المصطلحات الأجنبية دون بعض في الميدان الواحد. وهل هذا الاختيار الحاصل في وقت معين يندرج في مخطط مضبوط بحيث يشمل كل ما وضع من المصطلحات الأجنبية ودخل في الاستعمال (وما لم يدخل أيضا) إلى غاية تاريخ بدئه في عمله هذا؟ ومن غير المفيد أن يختار الواضع أي قائمة من المصطلحات (أو أي معجم) وبلغة واحدة دون أن يتفق كل الواضعين على مخطط معين لعدة سنوات قابل للتصليح والإثراء وباللجوء إلى هذه القواعد من المعطيات الاصطلاحية الأجنبية **التي تثرى باستمرار** والتي وثّقتها أكثر من مؤسسة وأكثر من دولة. ومن مميزاتها الموضوعية أنها تعكس ما هو موجود بالفعل في الاستعمال ولأنها بأكثر من لغة وهو مهمّ جدا. وأخيرًا لأنها متجددة تفي بما يدخل من المصطلحات الجديدة لتغطية المفاهيم الجديدة وهو سرّ النمو والتطور العلمي.

لقد بيّنا أن الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي هو ضروري لتلافي البلبلة الاصطلاحية وأنه ليس من المعقول أبدًا أن يُشتغل باللغة وبالمصطلحات خاصة في عزلة عن كل من يستعمل هذه اللغة. ثم إن الاستعمال يشمل، كما قلنا، القديم والحديث والقديم لاستقاء ما يمكن أن يصلح كمصطلح **فلابد من مسحهما معا** ولا نكتفي بالتنقيب في المعاجم.

إلا أن الرجوع إلى الاستعمال ليس بالسهل لأن النصوص القديمة والحديثة تعد بالملايين. والإجابة عن هذا تنحصر في اللجوء إلى ما يسمى **بقواعد المعطيات النصية** وهي عبارة عن مدونات نصوص أو ذخائر تكون على شكل مُحَوسَب أي مُدمجة بكيفية خاصة في ذاكرة الحاسوب. وتمتاز هذه المدونات عن غيرها بقدرتها أولا على استيعاب الملايير من النصوص في ذاكرتها وثانيا بقدرتها على الإجابة عن أي سؤال يلقيه الباحث عليها ـ إذ هي آلية ـ فيما يخص أي عنصر وأي خاصية وأي معلومة تتعلق بما يوجد في النصوص الموجودة فيها. وميزة ثالثة أيضا وهي مهمة جدا وهي كون هذه النصوص مندمجة حاسوبيا، كما قلنا، فكأنها نص واحد **يمكن أن يجرى عليها مسح كامل** كما يمكن أن يقتصر في ذلك على نص محدود ومعين أو عدة نصوص (كأن تنتمي إلى عدة عصور أو عدة بلدان في عصر واحد وغير ذلك).

وفوائد الذخائر عظيمة جدا فمنها أن كل سؤال يلقى عليها فإن الإجابة تكون في بعض ثوان أو دقائق. وأكثر من هذا هو الحصول على كل السياقات التي ترد فيها الكلمة. ومن المعروف أن معنى الكلمة

المقصود في نص من النصوص لا تحدده المعاجم في الأكثر بل سياقاته في نص معين. ويمكن أن نعرف مدى شيوع المصطلح في الوقت الحاضر وروده في أكثر من كتاب وأكثر من ميدان وبأي معنى. ولذلك فلابد أن تدخل فيه كل الآثار العلمية ذات القيمة باللغة العربية.

توجد أيضا قواعد معطيات غير نصية مما هو خاص بالمصطلحات وسنشير فيما يلي إلى ما يوجد من ذلك باللغات الأجنبية ويجب أن تُنشأ مثل ذلك بالنسبة إلى العربية ليكون الباحثون على علم بكل ما وُضع إلى الآن وما سيكون في المستقبل. وهي من الأدوات الاصطلاحية التي لا يمكن أن يُستغنى عنها إذا أردنا أن نغطي جميع احتياجاتنا في هذا الميدان وبمجرد ما تظهر المفاهيم العلمية الجديدة.

وكان لنا الشرف أن اقترحنا منذ زمان بعيد إنشاء مثل هذه الذخيرة النصية الحاسوبية التي ذكرناها قبل ليتمكن اللغوي من تصفح الاستعمال الحقيقي للغة العربية عبر العصور وفي عصرنا هذا. أما وقد ظهرت الآن شبكة الانترنت فقد تكاثرت بها فوائد الذخيرة. بل وسيُتَجاوز الجانب اللغوي إلى الجانب الثقافي وستعمّ الفائدة جميع المواطنين العرب ويرفع بها مستواهم بشكل عجيب إن شاء الله. وحتى لا نكرر ما قلناه في ذلك فيمكن أن يرجع من يشاء إلى نص المشروع الذي قُدِّم إلى الأمانة العامة للدول العربية في أحدث صوره (في 2004) [3].

3 وفيما يخص صعوبة الانجاز لمثل هذه الذخيرة وهو الحجم الضخم جدا من المعطيات التي يجب حيازتها في الحاسوب فيمكن تجزئة العمل-وعلى مراحل فيما يخص التراث -باشتراك العديد من المؤسسات العلمية على مستوى الوطن العربي.

أما ما يوجد من ذلك في البلدان المتقدمة فيمكن أن نذكر المدوّنة التي اعتمد عليها لتحرير المعجم الجامع للغة الفرنسية وهي محوسبة . (Trésor de la langue française) أما ما يخص المصطلحات فأهم قاعدة من المعطيات الاصطلاحية هي: Infoterm بالمركز الدولي للإعلام حول المصطلحات (ومقره في فينا) وEurodicatum على مستوى الاتحاد الأروبي (في لوكسمبورج). ومن الذخائر النصية المحسوبة نذكر القاعدة المسماة بـ Frantext وهي تحتوي على 3500 كتاب باللغة الفرنسية تنتمي إلى القرن السادس عشر حتى القرن العشرين. وما يزال أصحابها يثرونها بنصوص أخرى حديثة. وقد سبقتها المدونة التي جمعت عددا كبيرا من الآثار الأدبية والعلمية من القرنين التاسع عشر والعشرين وهي القاعدة التي اعتمد عليها في تحرير المعجم الجامع للغة الفرنسية.

وأنشأ المكتب الكندي للترجمة قاعدة كبيرة من المعطيات الاصطلاحية تسمى بـ Termium وتحتوي في نشرتها Termium.plus على ثلاثة ملايين من الكلمات بالإنكليزية والفرنسية والإسبانية.

ضرورة تطوير البحث الاصطلاحي

أما ضرورة تطوير مناهج البحث في المصطلحات واللغة العربية عامة فهذا تلزمه علينا الأجهزة الحاسوبية الحديثة. وقد يعتقد بعض اللغويين

أن اللجوء إلى الحاسوب هو مجرد استعانة بأداة كالآلة الكاتبة أو الحاسبة وليس الأمر كذلك. وذلك لأن للحاسوب قدرات عظيمة ومتنوعة لا توجد في أي أداة أخرى. ويمكن أن تقوم بما لا تقدر عليه الجماعات الكبيرة من البشر بل وفي عدد من السنين. فأي عملية ترتيبية أو إحصائية أو استنباطية أو استحضارية لأي نوع من المعلومات فإن الحاسوب يستطيع القيام بها بسرعة مهولة. ثم توصّلت التكنولوجيا الحديثة إلى أن صارت قدرته الاستيعابية الذاكرية تعدّ بملايير الملايير للوحدات اللغوية. وأعجب من ذلك هو قدرته على استحضار أي معلومة من القاعدة مهما بلغت ضخامة هذه القاعدة بمسحها في ثوان أو دقائق.

فكل هذا يلزم منه أن نترك جانبا كل المناهج التي عمادها عمل الأفراد بأيديهم العزلاء ونتجرّد تماما من كل التقاليد والعادات والتصورات التي تكون عالقة بذهن الباحث الذي لم يلجأ بعد إلى الحاسوب ولا يعرف بالتالي مزاياه وفوائده وما تتطلبه من مناهج وتقنيات. فهذه القدرات العظيمة لا تمكّن الباحث من الحصول على ما يبحث عنه في أوجز الأزمنة فقط بل تلزمه أيضا أن يكون على علم بكل إمكانات الحاسوب وعلى علم بكل الأدوات الحاسوبية التي تمكنه من الحصول على ما كان يستحيل عليه بدون ذلك. وهذه الأدوات الحاسوبية هي البرمجيات المتنوعة التي لابد له من الاستئناس بها ـ بدون أن يكون متخصصا ـ وهذا سيؤديه إلى أن يكون أكثر دقة في تحديده لما يطلبه من الحاسوب. وسيصل إلى أن يطلب من المهندسين المتخصصين (وهو غير

مطالب بأن يكون متخصصا مثلهم) أن يضعوا له برمجيات خاصة للحصول على معلومات من نوع آخر أو على تحاليل تعتمد على نظرية لغوية جديدة. ونذكر مثالا لذلك التحليل الآلي للغة العربية كالأسماء والأفعال المتصرفة إلى ما تحتوي عليه من جذر وصيغة. وقد تم صنع البرمجية الخاصة بذلك منذ زمان. ولا يمكن أن يقوم المهندس مقام اللغوي والعكس بالعكس بالطبع إلا أنه يمكن أن يتعاونا إذا كان هذا أو ذاك ممن أضاف إلى تخصصه شيئا من تخصص الآخر في أهم مفاهيمه على الأقل[4]. والتعامل والتعاون بينهما مفيد جدا إذ يحمل كل واحد الآخر على حلّ المشاكل التي لا تخص اللغة وحدها ولا الحاسوبيات وحدها وذلك مثل النظرية الخليلية الحديثة التي تحتاج أن تتكيف البرمجية بسببها لتستجيب للصياغة الرياضية التي هي من مستوى الزمرة لا المنوئيد فقط[5] من جهة أخرى فهناك بحوث تجرى الآن في العالم -والوطن العربي- لتحسين مردود القارئات الضوئية للكتابة العربية وهذا سيسهل إلى حد بعيد عمليات الحيازة للنصوص والمصطلحات[6] وقد أنشئت هنا وهناك قواعد معطيات علمية في الوطن العربي.

4 ومثل هذا موجود في مركز البحوث لترقية اللغة العربية في الجزائر.

5 أنظر ما كتبناه عن ذلك في بحثنا "العلاج الآلي للنصوص العربية والنظرية اللغوية" (ألقي في اجتماع الخبراء في اللسانيات الحاسوبية الذي نظمته اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا في القاهرة في 1989).

6 وما تزال هذه القارئات تخطئ كثيرا في قراءتها (بقدر كبير وهذا غير صالح) والرجوع إلى مثل هذه الوسائل سيكون جد مفيد (فوائد مادية وزمانية) عندما يحسن مردودها.

وضبطت برمجيات كثيرة في السنوات الأخيرة للبحث الاصطلاحي باللغات الأجنبية وباللغة العربية فمنها ماتصلح للاستكشاف بكيفية آلية في داخل النصوص العلمية للوحدات الاصطلاحية والتعرف عليها واستخراجها آليا مع سياقاتها وذكر مرجعها بالتفصيل وذلك هو الجرد للنصوص اللغوية وكل واحد يعرف ماللجرد اللغوي من مشقة وما يتطلبه من وقت وأموال. فهذا أول عمل يجب أن يقوم به مهندسونا بالتعاون مع اللغويين لأنّه سيسهل إلى حدّ بعيد التعامل مع القواعد من المعطيات الاصطلاحية. وهذه الأدوات الخاصة هي بالانجليزية: Terme Extraction Tools وتسمى البرمجيات الخاصة بذلك «بمحركات البحث». ومن أحدث ما وضع منها نذكر برمجية Ivanhoé. وضبطت بعض هذه المحركات للغة العربية وذلك مثل برمجية «أين» و«ابحث» و«كاشف أنت» وغيرها. وتجرى بحوث الآن في الوطن العربي لضبط برمجيات ناجعة للغة العربية، أما فيما يخص الذخيرة العربية فقد تم ضبط عدد من البرمجيات لإلقاء الأنواع الكثيرة جدا من الأسئلة عليها (في مركز البحوث لترقية اللغة العربية بالجزائر). أما فيما يخص الذخيرة العربية فضبط عدد من البرمجيات لإلقاء الأنواع الكثيرة جدا من الأسئلة عليها هو جار الآن.

ولابدّ لإنشاء قواعد المصطلحات أن نضع لكل مصطلح «بطاقة تعريف» أي جزازة خاصة به تكون فيها كل المعلومات التي تخصه. فلا

يكفي أن يكون المصطلح - بالنسبة للباحثين في المصطلح وللعلماء في كل فرع من فروع المعرفة - مذكورا بتعريفه في قائمة أو في معجم خاص بل يجب ان يُعرف بأكثر من هذا. وتكون حينئذ قاعدة المعطيات الاصطلاحية جزازية إلكترونية في الحقيقة وذلك مثل TERMIUM الذي سبق ذكره.

ومن المعلومات التي لابد أن تدخل في الجزازة للكشف عن كل كيان اصطلاحي يمكن أن نذكر: ذكر المصطلح بالشكل الكامل مع ما يخصه من أوصاف لغوية مع ذكر مقابله الانكليزي والفرنسي. ثم التعريف له (وهناك أنواع من التعريفات). ولابد من الاعتماد قبل كل شيء على التعريف اللغوي العادي المبني على ماهية الشيء وصفاته المميزة أي: بالجنس القريب ثم الفصول كما أن هناك التعريف الإجرائي وهو الذي يعرف الشيء بدوره في بنية معينة وغير ذلك. ثم يأتي ذكر مرادفاته إن وجدت. ثم يكون مع التعريف بيان الميدان العلمي أو التقني الواسع والميدان الفرعي الدقيق ثم المصادر التي عثر عليها مستعملا فيها مع بعض سياقاته وأكثر المراجع بدقة. ثم تأتي الملاحظات الوصفية للاستعمال: تاريخ أول ظهوره إن أمكن وكثرة وروده في الكتاب الواحد واتساع استعماله. وإن عثر في معجم أو قائمة فقط ولم يدخل في الاستعمال فلابد من النص الصريح على ذلك مع ذكر اسم الواضع (وقد تكون مؤسسة) وتاريخ وضعه ومكانه أو إقراره واسم الهيئة المقرة له. وتأتي بعد ذلك أوصاف تخص أصله إن كان دخيلا وكيفية تكييفه (أو

عدم تكييفه) وكيفية ذلك: بالمجاز فقط أو بالاشتقاق وغير ذلك، وتأتي في الأخير ملاحظات اللغويين والمجمعيين، أيا كانت، معيارية وغير معيارية.

هذا ويقتضي العمل على الحاسوب أيضا ألا يعمل كل فرد من أصحاب المصطلحات منعزلا عن غيره من زملاءه ولا تعمل أية مؤسسة علمية لغوية منعزلة عن مثيلاتها كما هو الشأن إلى الآن.

كما يقتضى ألا ينتهي عمل الباحث في المصطلحات بانتهاء وضعه لعدد منها ونشرها ثم لا يحاول أن يروّج هذا الذي وضعه وأقره العلماء. وغالبا ما يشكو أن لا طاقة له في ذلك ولا يستطيع أن يفرض ذلك على غيره وأن هذا راجع إلى الهيئات الحكومية المعنية بذلك.

مع أن القضية ليست أبدا قضية فرض أي شيء لأن اللغة لا تفرض. فالذي نرغب فيه، في الواقع، هو أن نتعامل مع مستعمليها لا كأصحاب فتوى في اللغة بل كمستفتئين لمن يستعملها. فاللغة ظاهرة اجتماعية قبل كل شيء. فاللغوي يفتي في اللغة وأسرارها من الناحية العلمية ولا يفتي في قبول أصحابها لما يضعه الواضعون.

فالذي نقترحه هو أن لا نفصل بين **الوضع والاستعمال**، بين واضع اللفظ ومستعمله ومتى كانت اللغة إلا وضعا فقط أو استعمالا فقط؟ فينبغي أن يستفتي الناس في اللغة كما يستفتون في السياسة وتدبير أمور المواطنين. فالعمل اللغوي المنعزل لا يأتي من الفوائد إلا من الجانب النظري. كما يجب أن يشارك جميع العلماء وأهل الاختصاص في وضع

المصطلحات كل في ميدانه وأن تكون المؤسسات العلمية هي التي تنسق أعمالهم ويكون الباحث الاصطلاحي حينئذ زيادة على كونه من الواضعين هو المنسق والمقوم والمرتب وأخيرا المستفتي ومن يقوم بذلك أحسن من المجمع اللغوي في كل بلد أو ما يقوم مقام المجمع اللغوي. فينبغي أن يتم على أيدي هؤلاء الباحثين في المجامع وغيرها استفتاء المستعملين وهم جمهور الاختصاصين في الوطن العربي بالنسبة إلى كل علم وميدان علمي.

الترويج

كما لابد من إنشاء هيئة عليا قومية تكوَّن من ممثلي كل هؤلاء الاختصاصين أو من المجامع للإشراف لا على التنسيق فقط بل على الأعمال الاصطلاحية كلها: بالتخطيط والمتابعة والتقويم والتنسيق وتكون لها الصلاحية التامة في كل ذلك بناء على مشروعيتها المبنية على تمثيلها الحقيقي لكل العلماء والكفاءة العلمية المعترف بها لكل أعضائها.

أما فيما يخص إقبال الناس والعلماء خاصة على ما يقترح عليهم أولا وما يجب أن يقوم به الواضعون لترويجه ثانيا فمن المعروف أن **أفراد المجتمع يتأثرون أشد التأثر ببؤرتين** للإشعاع الاجتماعي وهما: **التعليم** الابتدائي والثانوي **وهو مجتمع المستقبل، والكليات والمعاهد** ثم **وسائل الإعلام** بالنسبة للكبار والصغار معا.

أما المدرسة أو الكلية فقلما رأينا أولي الأمر في كل بلد عربي يتدخلون لإدراج ما تم وضعه من المصطلحات على يد المجامع في الكتب المدرسية أو

الجامعية. إلا أن هناك حادثا شاذا جدا حصل: حاولت بعض الدول في المغرب العربي أن تدخل ما كان يسمى «بالرصيد اللغوي الوظيفي» في الكتب المدرسية وتم ذلك بالفعل لكن في فوضى تامة وبدون دراسة سابقة.

وفيما يخص وسائل الإعلام فلم يحاول أي واحد في أعلى مستوى أن يستثمر الإذاعة والتلفزيون للتعريف بالمصطلحات وترويجها ولا أي جانب من العربية ومع ذلك فكل يعرف اليوم ما للصورة والصوت **من تأثير عميق في الجماهير.** والذي نقترحه هنا هو أن تنظم أحاديث خاصة باللغة والمصطلحات في التلفزيون وأن يتم بهذه الوسيلة استفتاء لاختيار المصطلحات الجديدة. وبالنسبة للمتخصصين فالانترنت هو أيضا أحسن وسيلة لذلك.

وكل هذا يخص فقط المصطلح الذي تم وضعه ولم يدخل بعد في الاستعمال أما ما حظي بذلك وتعدد فيه اللفظ للمفهوم الواحد فهذا سيوحده اللجوء إلى الذخيرة العربية (الانترنت العربي) **بكيفية تلقائية محضة** لأن كل من سيسأل هذه الذخيرة عن المصطلحات العربية المقابلة لمصطلح أجنبي فنرجح أنه سيختار اللفظ الذي دخل بالفعل في الاستعمال في أكثر من جهة وأكثر من بلد. وهل من مقياس موضوعي خير من هذا؟

خصـائص العربية

بقي أن نتعرض في الأخير إلى الخصائص التي تمتاز بها اللغة العربية من حيث البنى الخاصة بالمفردات أي أوزان الكلم. فالعربية هي وحدها تتنوع فيها الصيغ هذا التنوع العجيب لفظا ودلالة. وهي ثروة لغوية خاصة عجيبة لا يوجد مثلها بهذه الغزارة في أي لغة غيرها. ومع ذلك فإن لغوييننا ومن تخصص منهم في البحث الاصطلاحي ما يزال أكثرهم يتغـاضون عن هذه الثروة أو يتجاهلونها. ونعتقد أنهم متأثـرون تأثرا لا مزيد عليه بما اطلعـوا عليه في اللسانيات الحديثة من أن الوحدة الدالة هي المورفيم في أكثر اللغات وغالبا ما يعتبر المورفيم عند الغربيين أنه أصغر قطعة من الكلام تدل على معنى(مع علمهم أو شعورهم أن الوحدة الدالة ليست بالضرورة قطعة Segment). فيؤديهم ذلك إلى اعتبار زيادة السوابق واللواحق في العربية على حدة وحصر معانيها، ويتجاهلون أن الزيادة في العربية هي من مكونات البنية للمفردة. وهذه البنى أو الأوزان قد أحصاها علماؤنا القدامى إلا أنهم لم يحصوا كل المدلولات التي تدل عليها. وقد نبّه على ذلك بعض العلماء في زماننا كما نبَّهوا على أن الكثير من المعاني العلمية تدل عليها الكثير من هذه الأوزان. **وقد تغطي إلى حد بعيد المعاني المتواضع عليها في السوابق واللواحق اليونانية واللاتينية** التي يلجأ إليها العلماء في البلدان الغربية في زماننا لتوليد المصطلحات العلمية كـ anté بمعنى قبل، وـco الذي يدل على المعية، وـab الدال على النزع والنفي، وـbio الدال على الحياة، و-céno الدال

على الفراغ، وcide ـ الدال على القاتل، و fique ـ الذي يدل على المنتج ، وite ـ الدال على الالتهاب وغير ذلك.

ومن المعاني التي تدل عليها الأوزان نذكر معنى الآلة أو الأداة عامة وكل ما يصلح لشيء وهو **فِعال** مثل **حِذاء** ولِباس وإطار وغير ذلك **ومفاعلة** الدال على التفاعل فقط بل أيضا على «العمل عن بعد» مثل مُبَاصَرة وفُعالى التي تدل غالبا على التتابع مثل فُرادَى وسُلامَى ومثل فَعَال الذي يدل على العمل الذاتي مثل سَحَاب: ينسحب بنفسه وغير ذلك.

الخاتمة:

لابد للعمل الخاص بتنمية المصطلح العلمي والتقني أن يتطور: وتطويره في اعتقادنا لا ينحصر في استعمال الأجهزة الحديثة فقط بل ينبغي أن يبنى على مبادئ عامة ومنهجية خاصة يقتضيها اللجوء إلى هذه الأجهزة. وأهم هذه المبادئ هي الرجوع الدائم إلى الاستعمال لا الاستعمال الضيق المتمثل في استعمال المؤسسة الواحدة أو البلد الواحد بل ما يجري بالفعل في كل المؤسسات من البلد الواحد ومن كل البلدان العربية.

وأخطر الوضع للمصطلحات وأسوأه هو الذي يعمل أصحابه في عزلة عن الواضعين الآخرين الموجودين في داخل البلد أو في خارجه. ولا نتصور أن تكون الاستفادة من الأجهزة لغير ما وُضع لها وهو **مضاعفة**

إمكانات الباحث للمسح الشامل الكامل الدقيق المنظم المخطط للاستعمال الفعلي للغة وللمسح لكل ما يضعه العلماء في جميع البلدان: فقد اخترعت هذه الأجهزة لهذا الغرض: تمكين الباحث من الاطلاع على كل المعطيات بجعل كل الوسائل التقنية تحت تصرفه لتجميعها وترتيبها واستحضارها ورصدها وإحصائها ومعرفة مدى شيوعها وترددها وتحليلها وغير ذلك. وليس الغرض منها أن تسجل في قرص مغناطيسي ما وضعته مؤسسة واحدة متجاهلة ما صار من ذلك في خارجها. ولا أن تسجل مؤسسة أخرى ما حاولت توحيده من ذلك. فالبحث في اللغة ينبغي أن يكون شاملا لا يختص به بلد دون البلدان الأخرى التي تنطق كلها بنفس اللغة.

التشريع اللغوي *

أحمد مطلوب

عضو المجمع العلمي ـ بغداد

(1)

عرفت المجتمعاتُ البشريةُ التشريعاتِ منذ فجرِ التاريخ، وكان لها دور كبير في تنظيمِ الحياة، ولم يكن العربُ بمنأى عن هذا، فعقدوا الأحلافَ، وأقرّوا الأعرافَ، وملّكوا عليهم الأشرافَ، إذ لا حياة هانئة وادعة من غير سلطان يسوس الناسَ بحكمة، ويصونهم، ويرعى حقوقَهم، ولا يصْلح الناسُ إلا بسَراة حكماء، وتنظيم يقودُ إلى الأمن والاستقرار. وقد عبّر الأفوهُ الأودي عن ذلك فقال:

لا يَصْلُحُ الناسُ فَوْضَى لاسراة لهم ولا سَراة إذا جهالُهم سادوا

والمجتمع كالبيت لا يُبتَنى من غير عمدٍ أي نظام:

والبيـــتُ لا يُبتنى إلاّ له عَـمَـــدُ ولا عِمـــاد إذا لم تُرْسَ أوتادُ

فإنْ تجمَّعَ أوتـادُ وأعمـدة وساكـنُ بـلغـوا الأمرَ الذي كـــادوا

* ألقى هذا البحث في المؤتمر الرابع لمجمع اللغة العربية بدمشق (2005).

هذا ما كان في الجاهلية، وحينما أشرق نور الإسلام توطدت دعائم المُلك بما جاء في القرآن الكريم من تشريع نظم حياة الإنسان،وجعله يحيا آمنا مطمئنا في ظلّ دولة يحكمها التشريع ويسوسها السلطان.

(2)

ولحكمة بالغة أنزل الله ـ تعالى ـ القرآن الكريم بلغة العرب ولم ينزله بلسان أعجميّ لأنه ـ كما قال ـ: (ولو جَعَلْناهُ قرآنا أَعجميا لقالوا: لولا فُصّلتْ آياتُهُ، أَ أعجميٌّ وعربيٌّ؟ قل: هو للذينَ آمنوا هُدًى وشِفاء، والذين لا يُؤمنون في آذانِهم وَقْرٌ، وهو عليهم عَمًى، أولئك يُنادَون من مكانٍ بعيد) (فصّلت /44). وقال: (لِسانُ الذي يُلْحِدونَ إليه أَعجميّ، وهذا لِسانٌ عَربيٌّ مُبين) (النحل /103). وكأنَّ في تكرار كلمة (العربيّ) دعوة إلى الاهتمام بلغة الكتاب العزيز، لذلك اهتمّ بها العرب والمسلمون، واستنكروا اللحن، ووضعوا الكتب في ضبطها، والحفاظ عليها، واعتزوا بها كلّ الاعتزاز، قال جار الله الزمخشريّ: (أَحْمَدُ الله على أنْ جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية).

وظلت العربية مُزْهِرةً حتى إذا ران على العرب والمسلمين ليل كافر، وحاقت بهم أسباب القهر، توقف نموها واعتراها الجمود، ولكنها بدأت تستردّ حيويتها في عهد النهضة الحديثة، ونالت اهتماما كبيرا من المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية ووسائل الإعلام، وأصبح الفرق جليا بين واقعها بالأمس وواقعها اليوم، حيث كانت يوم ذاك ألفاظا وأساليب تمثل

عهد الجمود، وأصبحت في هذه الأيام تمثل التقدم والازدهار، وتستوعب المستجدات لما فيها من الحيوية ووسائل النمو والاتساع، ولكن يُخشى عليها من الحركات الهدامة، والأفكار الضالة، والدعوات المريبة التي تنطلق من هنا وهناك لتطويرها، وتزيف واقعها بزخرف القول، وما في ذلك إلا العجز، وكأن أصحاب تلك الدعوات كالقَعديِّ الذي قال عنه أبو نواس:

فكأني وما أزيّن منها قَعَديٌّ يُزيّن التحكيما

كَلٌّ عن حَمْلِهْ السلاحَ إلى الحر بِ فأوصىَ المضيق أَلا يُقيما

ليست العربية من اللغات الميتة أو المهملة، فما زالت المجامع اللغوية، والمؤسسات العلمية والباحثون يحرصون عليها، ويمدونها بما يجعلها قادرة على استيعاب المستجدات على الرغم مما يحيق الوطن العربي من تيارات تريد أنْ تجعله منضويا تحت مظلة العولمة التي بدأت تذرُّ بقرنيها، وأخذت تنتقل من اقتصاد السوق والشركات المتعددة الجنسيات إلى اللغة والثقافة، وفي هذا التحول خطر كبير على الأمة العربية، لأنها ستفقد أهمَّ مقومات وَحْدتها، ووسيلة ثقافتها، ورمز عزتها، واستقلالها.

(3)

في الوطن العربي والعالم الإسلامي (رجالٌ صَدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه) وهم يتحملون عبء الدفاع عن العربية، ويسعون إلى نموها وازدهارها، على الرغم مما يُلاقون من صعوبات، ومعوقات داخلية وخارجية، ولكي يبقى الاهتمام بلغة الضاد قويا لابدّ من (تشريع لغويّ)

يعزز تلك الجهود ويكسبها شرعية قانونية، ويقطع دابر كلّ مضلل كما (قطعت جَهيزةُ قولَ كلّ خطيب).

إنّ إصدار قوانين تحافظ على سلامة اللغة ليس بدعا، فقد أصدر العراق سنة 1977م (قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية)، وأصدرت الجزائر سنة 1991م (قانون تعميم استعمال اللغة العربية) وهو ما فعلته فرنسا فأصدرت القوانين التي تحمي لغتها، وفرضت استعمالها في كل النصوص المكتوبة، ومنعت استعمال الألفاظ والعبارات الأجنبية، واتخذت إجراءات لمن يخالف ذلك، وأنشأت (المنظمة الدولية للفرنكفونية). وهذا ما تقوم به دولة واحدة للحفاظ على لغتها ونشرها في العالم لتنافس الإنكليزية والإسبانية، فكيف بالوطن العربي وفيه أكثر من عشرين دولة، وكيف بالعالم الإسلامي الذي فيه أكثر من خمسين دولة، ولا يعبأ المؤمنون بلسانهم ولغة قرآنهم بما يُخشى على العربية في هذا العهد الذي تتصارع فيه الأهواء والرغبات؟.

(4)

إنّ التشريع اللغوي ضروريّ للحفاظ على سلامة العربية ليكون سندا للعاملين في حقلها، ودعما للمجامع والمؤسسات ووسائل الإعلام، واعتزازا بها، وتقديرا لها وهي لغة الكتاب العزيز، ولسان الملايين في أنحاء المعمورة.

ويتضمن التشريع:

أولا: الالتزام باللغة العربية في التدريس وتعريب التعليم في الجامعات، لأَنَّ هذا هو الخطوة الأساسية التي تعزز مكانتها وتحافظ عليها، فضلا عن أَنَّ أية لغة هي كيان المنتمين إليها، ورمز عزتهم، وأَنَّ التعليم بها يخدم العملية التربوية، وقد أثبتت البحوث أَنَّ استعمال اللغة الأم يُسَرِّع في تلقي المعرفة والعلم، بخلاف استعمال اللغة الأجنبية التي يحرص عليها من لا يعنيهم أمر أمتهم، وكانت قد ظهرت في بغداد سنة 1932م دعوة إلى التدريس في كلية الحقوق بلغة أجنبية، ووقف ساطع الحصري ـ رحمه الله ـ بوجه استدعاء أساتذة أجانب للتدريس فيها، واقترح الاستعانة بأساتذة من مصر، لأنّ كلية الحقوق بالقاهرة قامت على أسس متينة، واستفادت من خدمات الأساتذة الأجانب، وتخرج كثير من أساتذتها في الجامعات الأجنبية، وصاروا يُدَرِّسون العلوم القانونية باللغة العربية. واستجاب المسؤولون لرأي الحصري، وقدم إلى كلية الحقوق أساتذة عرب كبار.

ولم ينتفع طلبة كلية الطب كثيرا بما درسوه باللغة الإنكليزية، ويتضح ذلك من التقرير الذي رفعه الدكتور فاضل الجمالي ـ مدير التدريس والتربية العام ـ إلى وزير المعارف العراقية في الرابع من شهر آذار سنة 1938م، إذ جاء فيه:(عدم إتقان الطلاب اللغة الإنكليزية يجعل دراساتهم عقيمة، لاسيما والكتب كلها إنكليزية، والمحاضرون معظمهم إنكليز. وقد حدث أنْ رأيت أحد الطلاب المتخرجين لم يستطع قراءة

وفهم الكتاب الذي درسه في كلية الطب، وفي هذا خطر على الأرواح لا يمكن أن يقدر).

إنَّ التعليم باللغة العربية في جميع المراحل الدراسية ييسّر الفهم ويُسَرِّع في استيعاب المادة العلمية، ويعزّز مكانة لغة الضاد، ويُوسِّع من قدراتها للتعبير عن المستجدات، ويدفع العاملين في حقولها إلى المثابرة والعمل الجاد في سبيل الحفاظ عليها وإنمائها، ورفدها بكل جديد.

ثانيا: جعل النجاح في امتحان اللغة العربية شرطا للتعيين في مؤسسات الدولة، والقبول في الدراساتُ العليا أسوة بامتحان الكفاءة باللغة الأجنبية.

ثالثا: سلامة ما يكتب بها وينشر في المطبوعات ووسائل الإعلام، وإحالة ذلك على مختصين في العربية للتأكيد من صلاحية ما يُنشر ويُذاع، ويشمل ذلك رسائل الدراسات العليا قبل تقديمها إلى المناقشة.

رابعا: أن تحرر بالعربية الوثائق، والمذكرات، والمكاتبات، وغيرها من المحررات التي تقدم إلى الدوائر الرسمية وغير الرسمية، ويشمل ذلك العقود، والإيصالات، والمكاتبات المتبادلة بين المؤسسات أو الجمعيات، أو الشركات العامة.

خامسا: استعمالها في كتابة اللافتات والإعلانات، وأسماء الشركات والمحالّ التجارية، والمكاتب، وبراءات الاختراع، والعلامات التجارية والمواصفات.

سادسا: تسمية المواليد العرب بأسماء عربية، وتجنب استعمال الأسماء المشتركة بين الذكور والإناث لما في ذلك من مشاكل اجتماعية وإدارية، وتجنب استعمال الأسماء القبيحة.

سابعا: استعمال المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية العربية فيما يؤلف، ويكتب من بحوث ومقالات، وما يبث من الإذاعتين: المسموعة والمرئية، وينشر في الصحف والمجلات.

ولن يُضْمَنَ تطبيقُ التشريع ما لم ينص على عقوبة من يخالف القانون، أو يسيء إلى لغة القرآن الكريم، وهو ما نصّ عليه القانون العراقي والقانون الجزائري، ومن قبلهما قوانين فرنسا الخاصة بسلامة لغتها والحفاظ عليها. ويمنع هذا النص من اختراق التشريع، ويعزز اللغة، ويجعل العاملين في حقولها مطمئنين في عملهم، ويشجع على الوقوف بوجه العابثين وإقامة الدعاوى القضائية عليهم، كما حصل في العراق إذ أقام أحد المواطنين دعوى على جريدة حكومية لم تلتزم كلَّ الالتزام بالقانون، وكسب الدعوى، وكُرِّمَ لحرصه على لغة الضاد، وجرأته على مقاضاة جريدة رسمية.

(5)

هذه الخطوط العامة للتشريع اللغوي، وفيما جاء في القانون العراقي والقانون الجزائري أسوة لمن يريد الحفاظ على سلامة اللغة العربية، إذ انطلق القانونان من واقع العربية، واتفقا في الهدف وكثير من المواد.

ولابد لتنفيذ التشريع اللغوي من هيئة تتابع التطبيق، وقد قام العراق بإنشاء «الهيئة العليا للعناية باللغة العربية» سنة 1983م، وأنشأت الجزائر «المجلس الأعلى للغة العربية» سنة 1998م، لغرض المتابعة والتنفيذ، وهو ما فعلته فرنسا حين أحدثت «اللجنة العليا للدفاع عن اللغة الفرنسية» التي تحولت سنة 1972م إلى «اللجنة العليا للغة الفرنسية» فضلا عن الجمعيات التي تُعْنَى بسلامة لغتها، و«المنظمة الدولية للفرنكفونية» التي تبشر بها، وتنشرها في أنحاء العالم.

إنَّ إنشاء هيئة عليا أو مجلس أعلى للغة العربية، لا يناقض وجود مجامع لغوية، لأنَّ لكل منها أهدافا وواجبات، والعناية باللغة العربية بعض تلك الأهداف في المجامع التي لا تملك سلطة التنفيذ.

ويتضمن قانون الهيئة أو المجلس:

أولا: العناية باللغة العربية من جميع الوجوه، وتيسير استعمالها، والمحافظة على أصالتها وجوهرها، وسلامتها من الأخطاء، وخلوها من الألفاظ العامية والأجنبية.

ثانيا: الرقابة والإشراف على تنفيذ التشريع اللغوي، واقتراح مشروعات القوانين والأنظمة المتعلقة بشؤون اللغة العربية.

ثالثا: إقرار الخطط اللغوية التي تضعها الوزارات، والمؤسسات والجامعات.

رابعا: المشاركة في المؤتمرات، وعقد الندوات اللغوية.

خامسا: نشر الوعي اللغوي بين المواطنين في وسائل الأعلام المختلفة.

سادسا: إصدار مجلة شهرية أو فصلية تُعْنَى باللغة العربية، ووسائل نموها، ونشر المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية العربية.

ومما ييسّر عمل الهيئة أو المجلس:

أولا: أن ترتبط بأعلى سلطة في الدولة، وأن يكون رئيسها بدرجة وزير ـ في الأقل ـ لتكون قراراتها ملزمة لجميع الأطراف.

ثانيا: أن تشكل من وزراء التربية والتعليم العالي، والثقافة والإعلام لأنّ وزاراتهم ألصق باللغة العربية من غيرها، وأن تضم بعض المختصين بالعربية والحريصين عليها.

ثالثا: أن يكون لها كيان مستقل ماليا وإداريا لتستطيع ممارسة عملها بإتقان.

رابعا: تشكيل هيئات تنفيذية في الوزارات، والمؤسسات، والجامعات للعمل على:

1ـ وضع الخطة السنوية التي تتضمن الدورات اللغوية، وعقد الندوات، واستقراء المصطلحات والألفاظ الأجنبية وإرسالها إلى الهيئة العليا أو المجلس الأعلى لتوحيدها قبل إرسالها إلى المجامع اللغوية والعلمية لوضع ما يقابلها باللغة العربية.

2 ـ الإشراف على امتحانات الكفاءة اللغوية.

3ـ وضع تقرير سنوي إلى الهيئة أو المجلس يتضمن نشاطها، وما حققته في تنفيذ خطتها.

4ـ إقامة احتفال سنوي باسم (يوم الضاد) يحدد بقرار من جامعة الدول العربية بالاتفاق مع المنظمة الإسلامية، ليكون الاحتفال عربيا إسلاميا.

(6)

إنَّ إصدار تشريعات في الأقطار العربية للحفاظ على سلامة لغة القرآن الكريم، وتشكيل هيئات أو مجالس عليا للعربية ضروري في هذا العهد الذي تتعرض فيه اللغة للهجمات في السر والعلن، وحولها الأمم تناضل للحفاظ على لغتها، وما (الفرنكفونية) إلا مثال واضح على ذلك النضال. والخير كل الخير أن ينشئ العرب منظمة تُعْنَى بلغتهَم، ونشرها، وهي اللغة التي تنطق بها الملايين وتستعملها في مشارق الأرض ومغاربها، والتي استوعبت العلوم والآداب والفنون. وإذا كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حَفظها في كتابه العزيز وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامه 17) فلا يَعْني التواكل، لأنها ستظل مهددة من أعداء كتاب الله وأمة العرب.

إنَّه لمن الضروري أَنْ تقوم «منظمة دولية للغة العربية» تضع الخطط الكفيلة بالحفاظ على لغة الضاد ونشرها في العالم، وأَنْ يكون لها سلطان لتحقيق أهدافها، وأَنْ تعمل بجد كما تعمل الفرنكوفونية في الساحة الدولية. وهذه دعوة أطلقتُها في شهر نيسان من عام 2002 م في الكلمة التي ألقيتها نيابة عن المشاركين في افتتاح «مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة» الذي عقده معهد الدعوة الجامعي للدراسات

الإسلامية في بيروت، وما قدمته عن «اللغة العربية وتحديات العولمة» في ندوة «قضايا اللغة العربية في عصر الحوسبة والعولمة» التي عقدها مجمع اللغة العربية الأردني في أيلول من عام 2002م بدعوة من اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية. وكان معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية قد أقرّ في مؤتمره تأسيس «مجلس عالمي لرعاية اللغة العربية وتنميتها»، ووضع مشروع النظام الأساسي الذي شاركتُ في وضعه، وقد اطلع عليه العماد أميل لحود رئيس الجمهورية اللبنانية، وقال في رسالته التي وجهها إلى رئيس المعهد في العشرين من تشرين الثاني سنة 2002م:

«لقد اطلعت بإمعان على مشروع نظام المجلس التأسيسي لرعاية اللغة العربية وتنميتها، وقد رغبتم من خلال اطلاعنا عليه أَنْ تحصلوا على إشارات بهذا الخصوص. إننا نهنئكم على جهودكم في إظهار لغتنا العربية لا لغة الشعر والمنطق فحسب، بل لغة العلم والتطور والحضارة. وما رغبتكم في إنشاء مجلس عالمي لرعاية اللغة العربية وتنميتها إلاّ تلبية لهاجس التفوق الذي تبثه فينا جماليات قوالب هذه اللغة وعبقريتها».

ويعزز هذه الدعوة توصية الندوة التربوية التي عُقِدت في باريس سنة 2004م، وشاركت فيها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وقد جاء فيها:

«إنشاء هيئة عالمية للغة العربية تكون إطارا جامعا للدول والمجتمعات الناطقة باللغة العربية، وجهازا متخصصا يخدم لغة الضاد، ويعمل على تيسير تعليمها والسهر على تطويرها، وتوسيع دائرة انتشارها».

وقد تتبنى جامعة الدول العربية هذا المشروع ليكون عربيا لما للجامعة من أثر في الساحة الدولية، وما لأجهزتها من حضور في مختلف بلدان العالم، أو تتبناه المنظمة الإسلامية ليكون المشروع عربيا إسلاميا لما لها من سلطان.

(7)

وبعد:

فهذه الدعوة ليست بدعا، وإنما هي فكرة تشريع استمدّ أصوله من قانوني العراق والجزائر، وسيكون للتشريع اللغوي والمنظمة الدولية للغة العربية أثر في تنمية العربية والحفاظ على سلامتها، فضلا عمّا تقوم به الأسرة والمدرسة، والجامعة، والمجامع، ووزارات التربية، والتعليم العالي، والثقافة والإعلام المقروء والمسموع والمرئي، وما ينشر من بحوث ودراسات تُعْنَى باللغة العربية وتيسر تعليمها، وتنشر الوعي اللغوي بين المواطنين.

إنَّ التشريع اللغوي أحد أجنحة الحفاظ على سلامة اللغة، والوسائل الأخرى جناحه الآخر، وستزدهر العربية إنْ نهضت بهذين الجناحين، وستبقى لغة العلوم والآداب والفنون على الرغم مما تتعرض له من تحديات، ومن تنكر، وتزييف، وبهتان لا يطال غيرها من اللغات.

الحاسوب وتنمية المقدرة اللغوية عند الطفل

أ.د. أحمد زياد محبك ابن مصطفى

أستاذ الأدب العربي الحديث في جامعة حلب

مقدمة :

أول ما قد يفهمه المرء من المقدرة اللغوية امتلاك عدد أكبر من الألفاظ، أو القدرة على الكلام، أو التواصل مع الآخرين، وهذه هي بعض أشكال المقدرة اللغوية، وليست كلها. إن المقدرة اللغوية تتضمن عدة مهارات هي: التواصل، القراءة، الكتابة، الفهم، التفكير، تحصيل المعرفة، امتلاك الثقافة، تحقيق الهوية القومية، وهذا العرض لهذه المهارات لا يعني الترتيب، فهي مهارات متكاملة، ولا يعني أنها بمثل هذا التبسيط، إذ تتضمن كل مهارة عدة مهارات أخرى فرعية، والمطلوب فيها جميعا، هو التحسين والارتقاء نحو الأفضل، وليس مجرد الأداء.

والمرجو أيضا ألا يتوقع من الحاسوب أن يكون العصا السحرية التي بإشارة منها وفق الخيال يتحقق كل شيء، فما الحاسوب إلا أداة معينة،

ويبقى الدور الأول هو للإنسان الذي يتعامل مع الحاسوب، ولكن هذا لا يلغي الدور الكبير للحاسوب.

أولاً ـ اللغة والحاسوب :

إن الحاسوب مثله مثل المعجم، أو الآلة الحاسبة، والمعجم وحده لا يصنع من قارئه متمكناً من اللغة، وإن كان يساعده على ذلك، كما أن الآلة الحاسبة وحدها لا تصنع من المتعامل معها متمكناً من الرياضيات، وإن كانت تساعده على ذلك.

إن اللغة وسيلة، والحاسوب أداة، والفرق بين الأداة والوسيلة واضح، فالوسيلة عنصر مكون يدخل في العمل ويبقى داخله، ولا يزول إلا بزواله، والأداة شيء خارجي معين، يساعد على إنتاج العمل، ولكنه يبقى خارجه، ويزول والعمل لا يزول، فالألوان في اللوحة والكلمات في القصيدة والحجر في التمثال والنغم في اللحن وسائل، والريشة للوحة والقلم للقصيدة والإزميل للحجر والقيثار للّحن أدوات، ولذلك لا يغير في العمل إن كانت الريشة من شعر حصان أو من ألياف صناعية، أو كان الإزميل يدوياً أو كهربائياً، أو كان القلم من حبر أو رصاص، أو كانت الكتابة بخط اليد أو بالحاسوب، أو كان القيثار عادياً أو إلكترونياً، وفي الحالات كلها يظل الدور الأول للإنسان، ولكن لا يمكن إنكار دور الأدوات، لأن لها تأثيراً لا يمكن أن ينكر.

لقد اعتاد الإنسان على اختراع أدوات مساعدة، فقد اخترع العجلة ليتمكن من نقل الأشياء الثقيلة والانتقال، فوفر الوقت والجهد، وحقق

السرعة، واخترع المنظار فنمى قدرته على الرؤية، واخترع السماعة فعمق قدرته على السمع، وما زال يخترع، ولقد كان يسير آلاف الأميال على قدميه، وهو اليوم لا يقطع مئات الأمتار إلا بوسيلة من وسائل الانتقال، وقد اخترع أدوات كثيرة، وطور فيها، وطور بها حياته.

ومن الأدوات التي اخترعها الإنسان الكتابة ثم الأبجدية، وهي للكلام كالنظارة للعين، وكالمعول لليد، وكما ساعدت النظارة العين وكما ساعدت المعول اليد، كذلك ساعدت الأبجدية اللغة، ولولا الكتابة ولا سيما الأبجدية لما حفظ الإنسان خبراته ولما طورها، ولا يقل اختراع الأبجدية أهمية في عصرها عن اختراع الورق، ولا يقل أهمية عن اختراع الطباعة، ولا يقل أهمية أيضاً عن اختراع الحاسوب، بل ربما كان اختراع الأبجدية هو الأهم، إذ لولا اختراع الأبجدية لما كان اختراع الورق ولا المطبعة ولا الحاسوب.

ولا يمكن القول إن الإنسان اخترع اللغة، لأن اللغة هي نتاج تركيبه العضوي، ومركزها في الدماغ، وأدواتها الجهاز الصوتي، المؤلف من الفم والأسنان والشفتين واللسان والحلق، والحبال الصوتية والرئتين، إن ما اخترعه الإنسان هو الكتابة أولاً بأشكالها المختلفة، ثم الأبجدية.

ولكن مما لا شك فيه أن اللغة هي ما يميز الإنسان، **إذ كما يقول هيدجر: «فقط حيث توجد اللغة يوجد عالم، ولما كان التاريخ لا يصير ممكناً إلا في عالم اقتضى ذلك أنه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ،**

فاللغة هي التي أوجدت الحضارات، إذ إن الذي يمنع الحيوانات من أن تكون لها حضارة هو في المحل الأول افتقارها إلى اللغة، وبالتالي عدم وجود قدرة كلامية وفكرية تساعدها على مواصلة تجاربها وخبراتها، وكما يقول هوجر: «فما يكتسبه القرد مثلاً من معرفة في حل مشكلة ما يظل خبرة استقرارية راكدة مقصورة عليه هو وحده، وقد يتذكرها حين يصادف نفسه إزاء مشكلة مشابهة أو موقف مماثل، ولكنه في الفترات التي تتخلل ذلك لا يعكف على التفكير في تلك الخبرة أو التجربة بقصد تحسينها أو استخلاص أي نتائج منها في حل المشكلات الأخرى، مثلما يفعل الإنسان الذي يناقش مشكلة عن طريق اللغة، ويفكر فيها بعد انتهائها ليرى ما إذا كانت هناك تطبيقات أخرى ممكنة لتلك المعرفة، فباللغة والتفكير تكون خبرات الإنسان وتجاربه مستمرة ومتصلة، وهذا يساعد على تطويرها وتنميتها، فوجود اللغة يساعد الإنسان على أن يشارك الآخرين خبراتهم وأفكارهم مثلما ينقل إليهم هو خبراته وأفكاره وذلك بعكس الحال عند القردة العليا التي تعجز عن نقل خبراتها على الأقل بالطريقة نفسها، وعلى المستوى نفسه من التفكير المجرد الذي نجده في الجماعات الإنسانية، ومن هنا كانت الميزة الكبرى التي يتميز بها الإنسان هي القدرة على نقل تلك الخبرات التي تؤلف في آخر الأمر التراث الحضاري أو الثقافي من جيل إلى آخر عبر الزمن» (السيد، ص 19).

«ولقد قام كيلوج وكيلوج بتجربة مثيرة على القرد جيوا وطفلهما دونالد، فقد ربيا الطفل والقرد معاً بالمنزل، لعدة أشهر، وبينما كان القرد

قادراً على إنجاز الكثير من الأنشطة الحركية الملحوظة، وأكثر قدرة على القيام بكثير من الاستجابات الحركية، إلا أنه لم يكتسب أبداً القدرة على الكلام الحقيقي، لقد كان قادراً على الاستجابة للأوامر البسيطة التي توجه إليه مثل قف واذهب، ولكن لم يكن هناك دليل على قدرته على ربط استجابة صوتية ما بشيء معين، أو مجموعة من الأشياء. (غنيم، ص 91).

واللغة ليست وسيلة تواصل فحسب، فهذا هو الحد الأدنى من وظيفة اللغة، وبهذا المعنى تمتلك بعض الكائنات لغاتها، كالنحل والنمل والطيور والقردة، ولكن اللغة التي يستخدمها الإنسان تختلف الاختلاف كله، فهي ليست من أجل التواصل أو التفاهم فحسب، ولو كانت كذلك لتم فيها الاكتفاء ببضعة أصوات، أو لما كان فيها النظام النحوي والصوتي، ولما كان فيها المجاز، ولو كانت لغة تواصل فحسب لتم الاكتفاء بالقول: موجة بحر، ولما قيل:موجة حر وموجة برد، وموجة غضب، وموجة فرح، وموجة تغيير، وموجة جنون، ولو كانت للتواصل لتم الاكتفاء بالقول: الشجرة ثمر، ولكن نحن نقول:تثمر الشجرة، والشجرة تثمر، وأثمرت الشجرة، وكانت الشجرة مثمرة، وسوف تثمر الشجرة، فاللغة تتجاوز التواصل، فهي تنقل الانفعال، بوضوح ودقة وتعبر عنه، وتسميه، وهي تحفظ الخبرات والتجارب وتحولها إلى معطيات وحقائق وعلوم، وهي وسيلة لإبداع الآداب والفنون، وهي وسيلة لتطوير العلوم، وهي الحافظة لثقافات الشعوب، والحاملة لهويتها، وربما لولاها لما تطورت حياة الإنسان.

وكما يقول بيكرتون: **«إن اللغة الإنسانية لا تقف عند حدود التعبير عن رغبة الفرد أو مشاعره، ولا عند التأثير في الآخرين، مع أننا كثيراً ما نستخدمها في أداء هذه الوظائف، بل تعبر أيضاً عن كم لا نهاية له من المعلومات التي لا تقتصر على أرقام الهواتف والمهن والأذواق في اختيار الموسيقا وألوان الطعام، بل تشمل أيضا حجم الكرة الأرضية الحقيقي، وعمر الكون التقديري، والمبادىء الأساسية في التسويق والرياضيات وطبائع الخنافس وسلوك البروتونات والأحداث التي شهدتها مدينة مدريد يوم 2 مايو أيار 1808 وهذه جميعها أشياء لا علاقة لها بما يريد المتكلم أو الكاتب في لحظة الكلام أو الكتابة».** (بيكرتون، ص 5).

إن تنمية المقدرة اللغوية لا تعني أن يصبح المرء متمكناً من اللغة، مجيداً للكلام أو الحوار، فحسب، بل تعني قادراً على الفهم، والتفكير، وتلقي العلوم، والمشاركة في البناء والتطوير، وأن يحتفظ بهويته القومية، ويتمثل ثقافتها وعاداتها، إن تنمية المقدرة اللغوية لا تعني أن ينظم المرء الشعر، أو يكتب قصة أو يحفظ كلمات معجمية، إنما تعني أن يمتلك الوسيلة التي يحقق بها ذاته، ويثبت حضوره، وبها يتلقى العلوم، ويطور حياته.

ويمكن أن نتحدث في اللغة عن مستويين، المستوى الأول من اللغة يتمثل في النحو والقواعد والمعاجم والمفردات والأصوات ومؤلفات الأدب والعلوم وملايين الكتب المطبوعة، وهذا المستوى من اللغة ذو

مستويات أيضاً، والمستوى الثاني من اللغة يتمثل في الكلام اليومي الذي يقال في السوق والبيت والشارع والاجتماعات والاحتفالات والندوات ويلقى في المدارس والجامعات والمؤسسات الثقافية، وهذا المستوى من اللغة ذو مستويات أيضاً، والمقدرة اللغوية هي ممارسة المستويين السابقين، أي إن المقدرة اللغوية هي امتلاك القدرة على التفكير والكلام والقراءة والكتابة وتلقي العلوم وتطوير الذات وامتلاك الثقافة وتمثل الروح القومية، وهذه المقدرة يمارسها الإنسان، ولا يمارسها الحاسوب، ولا يقوم بها، ولكنه يعين عليها.

ولذلك لابد من التمييز بين اللغة وممارسة اللغة، قد توجد اللغة في الرقم الطينية أو في ملايين الكتب المطبوعة أو في الحواسيب، أو قد توجد في أجهزة التسجيل المرئي أو المسموع، وهذه كلها أدوات معينة على ممارسة اللغة، وليست اللغة نفسها، اللغة هي في الدماغ، والدماغ هو الذي يحقق وجود اللغة، ويمكن توضيح الأمر على الشكل التالي: في القدر يطهى الطعام، والمعدة هي التي تهضمه، وفي الحاسوب تجمع اللغة، والدماغ هو الذي يمارسها.

إن الدماغ هو الذي يقوم بعملية تركيب الجملة، وتحميلها المعنى، وهو الذي يقوم بإدراك المعنى الحسي المباشر، والمعاني المجازية، والمعاني الإيحائية، وهو يصنع ما في الجملة من ترتيب نحوي، من تقديم أو تأخير، وما في الكلمة من اشتقاق، والدماغ هو الذي يدرك ذلك كله، والحاسوب لا يصنع شيئا من هذا، إنما يقدم تسهيلات، تعين

على سرعة التأليف، ولكنه لا يؤلف، هناك برامج لاكتشاف الأخطاء الطباعية والإملائية، وقد تكون هناك برامج لتصحيحها فوراً، وفق ما يزوده به الإنسان من برامج، ولكن لا يملك القدرة على التصحيح النحوي، ولا على تركيب الجملة، ومن الصعب تزويده ببرامج يصحح بها بناء الجملة، لأن بناءها متغير، ولا يقوم بناء الجملة دائماً على ورود الفعل أولاً ثم الفاعل ثم المفعول به ثم الحال ثم الجار والمجرور، إذ غالباً ما يحدث التغيير في مثل هذا الترتيب في معظم لغات العالم من أجل قيمة بلاغية، ولا يمكن أن يفرض الحاسوب ترتيباً ثابتاً، كما لا يمكن أن يقترح احتمالاً من بين احتمالات كثيرة، ففي جملة مثل: «قدم النّادل صحناً إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم» تقع احتمالات بناء كثيرة، منها:

1 ـ قدم النادل صحناً إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم.

2 ـ سريعاً قدم النادل صحناً إلى الزبون في مطعم مزدحم.

3 ـ في مطعم مزدحم قدم النادل صحناً إلى الزبون سريعاً .

4 ـ صحناً قدم النادل إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم .

5 ـ إلى الزبون سريعاً قدم النادل صحناً في مطعم مزدحم .

6 ـ النادل قدم صحناً إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم .

7 ـ قدم النادل في مطعم مزدحم صحناً إلى الزبون سريعاً.

8 ـ قدم النادل سريعاً صحناً إلى الزبون في مطعم مزدحم.

9 ـ قدم في مطعم مزدحم النادل صحناً إلى الزبون سريعاً.

10 ـ قدم النادل إلى الزبون سريعاً صحناً في مطعم مزدحم.

11 ـ قدم النادل سريعاً إلى الزبون صحناً في مطعم مزدحم.

12 ـ قدم النادل إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم صحناً.

كما لا يمكن أن يميز الحاسوب بين: موجة البحر، وموجة الحر، وموجة البرد، وموجة الحمى، وموجة الإبداع، وموجة الغلاء، ولا يمكن أن يميز بين معاني كلمة ضرب في الجمل التالية: «ضرب الرجل الولد» و «ضرب الرجل مثلا» و «ضرب في الأرض» و «ضرب عشاء دسماً»، كما لا يمكن أن يميز بين مستعمر ومستعمر، بفتح الميم أو كسرها.

إن لغة الإنسان تختلف كلياً عن الأشكال اللغوية التي تظهر بشكل ما عند بعض الحيوانات، وهذا الاختلاف لا يتمثل في عدد المفردات، أو في عدد البنى والصيغ، إنما يتمثل في النوعية، وفي الحرية الكبيرة لدى الإنسان في ممارسة اللغة، وفي اختراع ما هو جديد، يقول بيكرتون: **«أما فيما يتعلق بكمية المعلومات أو درجة تعقيدها فلا مجال للمنافسة بين لغة الإنسان وما يسمى باللغات الأخرى... وليست القضية قضية تفوق عددي فحسب، فلغة الإنسان نظام مفتوح، أما نظم التواصل عند الحيوان فمغلقة، بمعنى أنه بغض النظر عن عدد الأشياء التي نستطيع أن نتكلم عنها، فإن باستطاعتنا دوماً إضافة ما هو جديد... إن التفكير بأشياء جديدة سيل لا ينقطع عند بني البشر، إن قدرتنا المطلقة على إضافة ما نشاء إلى لائحة موضوعاتنا وعجز المخلوقات الأخرى في هذا المجال تدل على اختلاف في النوع وليس فقط في الكم».** (بيكرتون، ص 9).

ويؤكد بيكرتون أن اللغة ميزة إنسانية فيقول: **«إن النحو وهو لب اللغة الإنسانية، وأكثر ما يميزها عن المحاولات اللغوية عند الحيوان، لا يمكن أن يكون مجرد اختراع أنتجته أفكار عباقرة أذكياء، لأن لهم أدمغة ضخمة، وإذا لم يكن النحو من المخترعات فهو إذن نشاط يقوم به الدماغ آلياً، وإذا كان الدماغ يقوم بهذا النشاط آلياً فلا بد من أن يكون قد تطور بطرق محددة جعلت من الممكن إنتاج اللغة بشكل آلي، ولما كانت أدمغة أجيال لا حصر لها تعاقبت على مر العصور تنتج لغة تتوافق مع ذات المبادىء البنيوية الثابتة، بصرف النظر عن اختلاف التفاصيل الدقيقة كالأصوات والمفردات، فإن بوسعنا الافتراض بأن آليات الدماغ التي تحدد اللغة تنتقل بالوراثة أيضاً»** (بيكرتون، ص 35).

ويتلخص رأيه في قوله: **«إن النحو صفة من الصفات البيولوجية للنوع الإنساني، تماماً مثل قدرة الإنسان على الوقوف والمشي منتصب القامة، وميزة الإبهام في اليد البشرية لا أكثر ولا أقل»** (بيكرتون، ص 37).

إن الدماغ البشري هو الذي يقوم باختيار بناء الجملة وفق غرض معين، ولا يمكن أن يقوم الحاسوب بمثل هذا الاختيار، حتى لو توافرت له أنماط الأبنية واحتمالاتها في برنامج خاص، ولا بد في النهاية من أن يقوم العقل البشري بالاختيار، ومهما يكن يبقى المستقبل مفتوحا على احتمالات غير محدودة، ومن الممكن تطوير برامج، نتفاءل بتحقيقها.

ولكن يبقى الحاسوب آلة معينة، ولا يمكن أن يحل محل الدماغ البشري، ولا يمكن أن يقوم بالعمليات التي يقوم بها الدماغ، إن

الحاسوب يقدم تسهيلات ووسائل معينة، وهي خدمات كبيرة لا تقدر، كما يقوم بالتواصل والاتصال بين البشر في شتى بقاع الأرض، ويلغي الحواجز والحدود، ويوفر من المعلومات ما لا توفره عدة مكتبات في عدة بقاع من الأرض، وينقلها بسرعة هائلة.

ولكن هذا كله يقتضي ألا نبالغ في تقدير قيمة الحاسوب ودوره في تنمية المقدرة اللغوية، كما يجب ألا نقلل منها أيضاً، فهو مثله مثل أي آلة، يملك طاقة عالية، ولكن يبقى الدور الأول للإنسان الذي يستخدم هذه الآلة، والإنسان هنا هو الطفل.

ولعل مثالاً تقريبيّاً يؤكد دور الإنسان، إنه لا يكفي أن تعطي الطفل معجماً مثل لسان العرب ليملأ به رفاً كاملاً من رفوف مكتبته، وتطمئن عندئذ إلى أنه أتقن العربية، كذلك لا يكفي أن تمنح الطفل حاسوباً لتطمئن إلى أنه بوساطته سيتمكن من إتقان العربية. لا شك أن الحاسوب سيوفر للطفل إمكانات كبيرة لا يوفرها له الكتاب ولا المجلة ولا المدرسة ولا المعلم نفسه ولكن هذه الإمكانات لا يمكن الاستفادة منها عفوياً أو تلقائياً.

ثانياً ـ الميزات التي يمنحها الحاسوب :

يستطيع الطفل التعامل مع الحاسوب قبل السنة الرابعة من العمر، ويمكن أن يعمل عليه وهو في الرابعة، ولو كان عمله في الألعاب، لأن الألعاب أياً كانت تنمي وعيه، وتقوي مداركه، وتزيد من حدة نشاطه،

وهي على الأقل تسلّيه، والتسلية مطلب إنساني في الأعمار كافة، وهي لا تسليه فحسب، بل تربطه بالحاسوب، وتعلمه سرعة التعامل معه، وخير وسيلة للتعلم هي اللعب، وسرعان ما ينتقل بعد ذلك إلى الاستفادة المباشرة، ويمكنه أن يتصل بمعلميه بوساطة الشابكة، وأن يرسل إليهم واجباته وأن يسألهم.

يوفر الحاسوب الحرية، وعدم الخضوع لنظام المدرسة وقوانينها وما تضيعه من وقت، إن الحاسوب سيساعد الطفل على اختيار الموضوع الذي يريد في الوقت الذي يريد في المكان الذي يريد، ولا سيما عندما يتعامل مع الحاسوب المحمول، فهو غير مقيد بزمان أو بمكان، وسيوفر عليه الوقت والجهد، ولن يخضع الطفل مع الحاسوب لسيطرة المعلم ومزاجه وقسوته وأخطائه، سيكون الطفل هو سيد نفسه، وصاحب القرار، والمتحمل للمسؤولية، وسيفتح الحاسوب أمام الطفل آفاق المعرفة، بما يوفر له من معلومات، ولن يبقى مقيداً بمناهج قديمة لا تتغير إلا بعد أن يتجاوزها الزمن بسنين عدداً، يفرضها الكبار على الصغار، ويفرضها رجال ينتمون إلى جيل غير الجيل الذي يتعاملون معه، إن الطفل سيختار معلوماته، وسيملك من المعلومات أكثر ممّا يملك معلمه، سيكون الأطفال أكثر قدرة على التعامل مع الحاسوب من جيل المعلمين الذين جمدوا عند مستوى من المعرفة وعند نمط من الأداء، لم يطوروا أنفسهم، وهم يرفضون الحاسوب، ويتمسكون بالقديم، لعدم امتلاكهم المرونة أو القدرة على التجديد.

إن الجيل الجديد من الأطفال يميل إلى كسر الانضباط، ورفض الالتزام بالأنظمة والقوانين، والخروج عن كل ما هو مقرر ومفروض، ويجد العنت كل العنت في التعلّم، بسبب هذا المزاج، وبسبب الأنظمة، والقوانين المدرسية التي لم تتطور مع تطور الطفل في العالم، وفي دخول الحاسوب في العملية التعليمية في المدرسة وفي البيت ما سيمنح الطفل قدراً كبيراً من الحرية، ويحقق له قدراً كبيراً مما يتفق ومزاجه الجديد، ومن الممكن أن يحقق الحاسوب في المدرسة مناخاً من الحرية يقلل من رتابة التدريس وأساليبه الصعبة، وبإمكان المعلم أن يتلقى واجبات الطلبة على الحاسوب وأن يصححها لهم، وأن يتصل بهم عبر الشابكة، وأن يدخل معهم في حوار مباشر في منزلهم، وأن يقترب من مزاجهم، كي تتخلص العملية التعليمية من عوائق كثيرة.

يقول الدكتور المعتوق: **«لقد أجريت بعض الدراسات على التلفزيون كوسيلة تعليمية فوجد أن التعليم عن طريقه يقلل من تأخر الطلاب وغياباتهم ويسيطر على ما لدى بعض المتعلمين من سلوك سيء، كما ثبت أن الصفوف التي استعان المدرسون فيها بالتدريس بالتلفزيون أفضل من تلك التي درست بالطرق المعتادة فقط. وبذلك فإن التلفزيون التعليمي يمكن أن يكون في مقدمة الوسائل التي تشترك في تجسيد اللغة وتقريرها وإيصالها أو نقلها عن طريق الحواس المتعددة، بشرط أن تتوافر المادة التعليمية النافعة والتخطيط السليم في العرض والتوجيه السديد في الاستخدام، لئلا تتحول هذه الأداة إلى وسيلة**

ترفيه بحتة وأداة لقتل الوقت». (المعتوق، ص 190) وإذا كان التلفزيون يحقق ما يحقق، فإن الحاسوب سيحقق ما هو أكثر.

إن الأطفال أقدر من الكبار على التعامل مع الحاسوب وأسرع في التأقلم معه، وأكثر قدرة على الإفادة من تقاناته المتعددة، وهم أقدر على صنع برامج تخدم مناهجهم، وكما يقول جيتس: **«وعادة ما توتر الكومبيوترات أعصاب أي شخص إلى أن يفهمها، والأطفال هم الاستثناء الرئيسي هنا».** (جيتس، ص 404).

يندفع الطفل إلى التعامل مع الحاسوب بحماسة وشوق ورغبة أكثر مما يندفع للتعامل مع الكتاب لأنه مع الحاسوب يشعر أنه يتعامل مع تقانة علمية جديدة، ويدرك أنه يتعامل مع أداة حضارية، وهذا مما يزيد من ثقة الطفل بنفسه، ويشعر الطفل وهو يتعامل مع الحاسوب بالبهجة والمتعة لما فيه من حداثة وأساليب مسلية تجمع بين الجد واللعب، والحاسوب ينفي عنه الملل والكسل، ويساعده على التركيز، ويقلل من انشغاله بأمور أخرى، فالطفل يصبر على العمل في الحاسوب ساعات أكثر مما يصبر على العمل في قاعة الصف أو في التعلم مع الكتاب، ويجعله في تنافس مستمر مع عالم واسع من المعلومات، وينمي الحاسوب شخصية الطفل ويجعله أقدر على الحوار والمحاجة والتفاهم والتواصل مع الآخرين وتأكيد الذات، ويمنحه الثقة بنفسه، كما يزرع في نفسه الثقة بلغته العربية، ويؤكد له أن لغته قادرة على استيعاب معطيات الحضارة، والتعامل معها.

يطور الطفل بوساطة الحاسوب مهارته في القراءة والكتابة والفهم والاستيعاب والرسم وإعداد البرامج، ويساعده على سماع العربية الفصيحة، وهي تؤدّى الأداء السليم والجميل من خلال برامج تلاوة القرآن الكريم وإلقاء الشعر، ويساعد الحاسوب الطفل على حل كثير من مشكلات النطق والسلوك، كالتلعثم والتردد والارتباك، كما يساعده على النطق الصحيح للأحرف اللثوية والحروف القمرية، ولا سيما الجيم، والحروف الشمسية، وقراءة الأعداد مكتوبة بالكلمات، وتطبيق كثير من القواعد، ويعلمه فن الإلقاء والخطابة والمحادثة وإجراء المقابلات وفن الحوار.

ويوفر الحاسوب للطفل قراءة سهلة واضحة ممتعة، إذ بإمكانه أن يتحكم بحجم النص والحرف ونوعه ولونه ودرجة الإضاءة، وأن يعلق على النص وأن يضيف إليه ويعدل فيه وأن يرسله إلى صديق وأن يطبعه، مما لا توفره صفحات الكتاب. ويعلم الحاسوب الطفل سرعة القراءة، وسرعة التفكير، إذ عليه أن يكتب بالسرعة نفسها التي يفكر فيها، وسرعة الكتابة على الحاسوب هي أكبر من سرعة الكتابة بالقلم على الورق، والنتيجة هي سرعة التأليف، كما أن سرعة الكتابة هي ناتجة عن سرعة القراءة التي يوفرها الحاسوب. وتساعد برامج الحاسوب على إنتاج أكبر وأسرع، إذ يريح الحاسوب من مشكلة المسودة والمبيضة والتنقيح وإعادة الكتابة، إذ يوفر الحاسوب إمكان القص واللصق والتقديم والتأخير والحذف والإدراج، وهي تقانات عالية السرعة توفر الوقت

والجهد، وتنمي القدرة على الكتابة والقراءة، بل تجعل القراءة والكتابة ممتعتين.

ويزود الحاسوب الطفل بمفردات جديدة في عالم الحاسوب، من مثل: إدراج، إدخال، فتح، إغلاق، عرض، إعداد، لوحة المفاتيح، القرص المرن، القرص الصلب، نسخ، قص، لصق، حذف، ويطلق مقدرته على اشتقاق مفردات تناسب الحاسوب أو ترجمة مفرداته إلى العربية، كأن يشتق حوسب ومحوسب من حاسوب، وهو يمتلك مصطلحات جديدة، من مثل: تخزين، وشاشة، وإضاءة، وقص ولصق وإدخال وبرمجة وإعداد واتصال، كما يطلق مقدرته اللغوية على تعريب بعض المصطلحات، فقد شاعت بين الأطفال مصطلحات من مثل: (سّيف) حفظ و(كنصل) أغلق وأغى و(بلتس) أرسل للحفظ و(ديليت) حذف و(فرمت) أعاد التركيب و(ديسك) قرص و(سيدي) قرص صلب و(هارد) مُخزّن و(لابتوت) محمول، وإذا كان الطفل يجد نفسه مضطرا لا شعورياً في مرحلة إلى التعريب، فإنه سيجد نفسه في مرحلة تالية قد امتلك المقدرة على الترجمة.

ويبدو العمل على الحاسوب ممتعاً ومسلياً وكأنه لعب، لما يمكن أن يصاحب العمل عليه من سماع الموسيقا أو الأغنيات ولما يكون فيه من ألوان، ورسوم وتقانات التسلية، مما يجعل العمل ممتعاً، بخلاف المدرسة التي تفرض النظام القاسي الجاف الخشن. إن العمل على الحاسوب هو بحد ذاته سلوك، يخلق لدى الطفل عادة سلوكية مختلفة

كلياً عن عاداته السلوكية الأخرى، ولا سيما عندما يعمل على الحاسوب المحمول، إذ يدرك أنه يفعل شيئاً مختلفاً عن القراءة في الكتاب وراء الطاولة، وكل سلوك ينتج نمطاً لغوياً مختلفاً عن السلوك الآخر.

سيضع الحاسوب العالم كله بين يدي الطفل، ويفتح أمامه أبواباً ونوافذ لا يمكن التنبؤ بها، إذ يمكنه أن يتصل بأصدقاء في العالم كله، وأن يقيم معهم علاقات منوعة، وأن يكتب لهم، وأن يتكلم معهم، وأن يراهم وهو وراء الحاسوب في منزله، ويعرف من خلالهم شعوب العالم بما لديها من عادات وتقاليد، فتنمو مداركه وتتسع آفاق معرفته، فتنمو لغته وتتطور، وتغتني.

سيربط الحاسوب الطفل بمدرسة افتراضية، لا تقيده بزمان ولا بمكان، تمنحه ما لا يخطر على بال من أشكال العمل والمعرفة والثقافة، إن العمل على الحاسوب سيولّد ما دعته ديل سبندر: «التشابك مع الشابكة»، وهو عنوان كتاب لها، وفي أحد فصوله تقول: **«مدرسة المستقبل هي نموذج للمدرسة الإلكترونية التي لن يحتاج معها الطلاب إلى الحضور وسماع الدروس التي يلقيها المعلم، وذلك لأن الدروس تلقى من خلال الشبكة، وبذلك تكون الشبكة بمنزلة وسيلة النقل بدلا من المعلم كما أن الطالب الذي يستخدم الشبكة يكون أكثر معرفة من المعلم في بعض الأحيان، وذلك تبعاً لاهتمام هذا الطالب النموذج المثقل بالمعلومات، ومن خلال الشبكة يمكن للطالب توجيه**

أسئلة والحصول على معلومات وتغذية راجعة فورية لا على الصعيد المحلي فحسب، بل على المستوى العالمي، بحيث يتم التفاعل على مستوى القرية العالمية». (سبندر، ص 47 ـ 48).

إن الميزات السابقة التي يمنحها الحاسوب للطفل ليست مجرد ميزات منفردة أو متراكمة أو متتابعة أو متوازية، وإنما هي ميزات متفاعلة، بين بعضها وبعضها الآخر علاقات، وهي تولد ميزات أخرى غير متوقعة، تغير في ذهنية الطفل وآلية التعامل معه، إن الحاسوب سيغير مستقبلا كل شيء، نمط الدروس، وطرق الامتحان، وأساليب التعلم والتعليم.

إن الآفاق المستقبلية للحاسوب وقدرته على تنمية اللغة عند الطفل غير محدودة، ولا سيما خدمته الكبيرة للعربية الفصيحة، وهنا تكمن أهمية الحاسوب، إذ ستكون برامجه متطورة فنياً، ومشوقة، ومعدة بالعربية الفصيحة، وهي بذلك تساعد على تقليص الفوارق بين الفصيحة والعامية، وتساعد على نشر التعليم، وتعميق الثقافة، وتأكيد ثقافة الكلمة بدلاً من ثقافة الصورة، وتنمية الشعور القومي، وتحقيق التقارب الثقافي والمعرفي والوجداني بين الأشقاء العرب في الوطن العربي.

إن إمكانات الحاسوب ووسائله المتاحة حتى الآن ليست بالقليلة، ويمكنها أن تحقق تنمية لغوية واسعة ومعمقة، إذا ما أخذ بها وطبقت في المنازل ورياض الأطفال والمدارس.

ثالثاً ـ طبيعة العلاقة مع الحاسوب :

من المعروف بداهة أن الإنسان يتعلم الكلام أولاً، ثم يتعلم الكتابة والقراءة، والمرء لا يكاد يعرف كيف تعلم الكلام، ولا يكاد يذكر، وهو يتعلمه ببساطة وعفوية، في المنزل بين أبويه، ومع إخوته، ثم في المجتمع، ولكنه يعاني بعد ذلك من تعلم الكتابة، ويكاد الكلام يكون عفوياً، ونتاج نمو عضوي، كأنه حاجة غريزية، كالحاجة إلى الطعام، في حين يبدو تعلم الكتابة والقراءة فعلاً إرادياً واعياً، وهو فعل منظم، وفيه قدر كبير من الصعوبة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى التاريخ والشعوب، فقد تكلم الإنسان أولاً، ثم اخترع بعد ذلك الكتابة بأشكال وطرق مختلفة، ثم اخترع الأبجدية.

«فمن ناحية النشوء النوعي تعلم الإنسان الكلام قبل الكتابة، ومن ناحية تطور الفرد كفرد تعلم الطفل أن يتكلم قبل أن يكتب، ولهذا السبب ينظر إلى اللغة المكتوبة على أنها لغة منطوقة دونت في نظام مكتوب مصطلح ومتعارف عليه ويعبر عنها بطريقة خاصة في الكتابة» (غنيم، ص 93).

ولغة الكلام هي أدنى من لغة الكتابة، لأن لغة الكلام ارتجالية عفوية سريعة، وهي نفعية، غايتها التواصل، ولغة الكتابة هي لغة مختلفة، تحمل معلومات منظمة، مرتبة، دقيقة، أو تعبر عن انفعالات ومشاعر ناضجة، وليست عابرة أو مؤقتة، والفرق بينهما غالباً غير قليل، وتسمى لغة الكلام اللهجة العامية، كما تسمى لغة الكتابة اللغة الفصيحة، والفارق

بينهما يزداد في حال انتشار الأمية والجهل والتخلف، ويقل الفرق بينهما في حال انتشار العلم وتحقق وسائل التواصل والاتصال.

لقد كان الكلام في العصور القديمة كافياً وحده، وكانت الحاجة إلى الكتابة قليلة، لأن العلوم كانت بسيطة وقليلة، وكان الكلام وحده قادراً على حمل العلوم والثقافات، وكان التعويل على الكتابة قليلاً، وهي مرحلة الشفاهية، ولكن سرعان ما قويت الحاجة إلى الكتابة واشتدت، مع تراكم الثقافات ونمو العلوم والمعارف، على نحو ما كان في العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي، فكان الشعر يتناقل شفاهاً، كما كان القرآن الكريم يحفظ في الصدور، وكانت الخطب هي الوسيلة الثقافية المعبرة عن المجتمع، وكان الاعتماد على التدوين قليلاً، ولكن سرعان ما دون القرآن الكريم، وكتبت منه النسخ، ووزعت على الأمصار، وظهرت الحاجة إلى تدوين الأشعار واللغة والأخبار، ثم بدأت المصنفات بالظهور.

والمقصود بالتنمية تطوير المقدرة اللغوية، والانتقال بها باستمرار من مستوى إلى مستوى آخر أفضل من سابقه، وأجود، والمقصود بالمقدرة اللغوية المهارات اللغوية التي يمارسها الطفل من كلام وتواصل مع الناس وقراءة وفهم واستيعاب وكتابة، وتلقٍّ للعلوم والمعارف، وقدرة على التعبير عن الذات، وتحقيق الوجود والتواصل الفعال مع البيئة المحيطة، وتحقيق الهوية القومية والثقافية.

ولذلك فإن تنمية المقدرة اللغوية بوساطة الحاسوب لا بد أن تتم بأشكال مختلفة: من قراءة واستماع وكتابة وفهم ومعالجة وتطوير برامج،

إن المقدرة اللغوية ليست مجرد تمكن من اللغة، وإتقان نحوها وأساليبها، ومعرفة أسرارها والغوص فيها، إنما هي هذا كله، مقروناً بممارستها في الواقع، وفي ميادين العلم والمعرفة، لتحقيق الذات، والحفاظ على الهوية وتحقيق الانتماء إلى الثقافة.

ويميل بعض المربين إلى المبالغة في الفصاحة، وفرض أنماط معينة من بناء الجملة، وأنواع من الألفاظ الفصيحة البعيدة عن الاستعمال، كما يميل بعضهم إلى الإسهاب والتكرار والترادف والتطويل، وهم يقصدون إلى تعليم الطفل اللغة، وهي ظواهر وأساليب لغوية لم تعرفها العربية في عصور الازدهار الحضاري، فقد لحقت بها في عصور الجمود، حيث غلبت العناية بالشكل، ولا تتفق مع السمة المميزة للعربية وهي الإيجاز، ولا تساعد على تعليم اللغة، كما لا تتفق مع معطيات عصر العلم، وسوف يساعد الحاسوب على كسر هذه الظاهرة وتجاوزها، وسوف يعلم الحاسوب الطفل الإيجاز في اللغة والاقتصاد.

ولقد ظهرت مؤلفات لغوية تقوم على جمع الألفاظ وتبويبها وفق المعاني والدلالات، بغية تعليم الطفل اللغة، ومثل هذه المؤلفات لا تعلم اللغة، ولا تنمّي المقدرة اللغوية لدى الطفل، لأن المفردات وحدها خارج السياق لا تملك القوة على التأثير ولا تساعد على الحفظ، ولا تمكن الطفل من استعمالها، إن كلمة «طلّ» مفردة لا يمكن أن يحفظها الطفل، ولو شُرح معناها، ولكن الطفل سيدرك معناها وسيحفظها فور قراءته مثل هذه الجملة: «تسقط حبات الطل

عن أوراق الأشجار في الصباح الباكر قبل شروق الشمس متلألئة مثل دموع الفرح».

وظهرت مؤلفات لغوية أخرى تكشف عن الأخطاء الشائعة وتصوبها، ولا يمكن إنكار قيمتها، ولكنها تفيد المختص في المقام الأول، ولا يمكن أن تنمي المقدرة اللغوية، ولا سيما عند الطفل، لأن المقدرة اللغوية لا تنمو إلا بالتواصل مع الإجراءات اللغوية الصحيحة والسليمة: قراءة وكتابة ونطقاً واستماعاً، إن معرفة الخطأ وحده لا يكفي لكتابة سليمة، بل لا بد من التمرس بما هو صحيح وسليم وجيد، فهو أكثر تأثيرا، وبعض هذه المؤلفات يبالغ في التخطيء، فأحياناً تفرض هذه المؤلفات استخدام الكلمة بمعناها المعجمي، وتنسى المجازي، وأحياناً تفرض أسلوباً محدداً في بناء الجملة، مع أن بناء الجملة ليس قالباً ثابتاً، ولا بد فيه من تقديم وتأخير وحذف، وفي أحايين كثيرة تغيب عنها أوجه هي من لغات العرب ولهجاتهم.

ولا بد من تأكيد قيمة ذات أهمية كبيرة، وهي النسق المعرفي، في مقابل المفردة المعزولة عن السياق، سواء أكانت هذه المفردة كلمة أو معلومة، إنه ليس من المفيد في شيء أن يزود الطفل في جلسة واحدة أو في كتيب واحد بمعلومات جزئية مفردة عن محيط الأرض وعن الروائي تولستوي وعن عدد دقات القلب وعن أعلى قمة في العالم وعن بيتهوفن وعن استقلال أمريكا، فهي معلومات جزئية مفردة، لا تشكل نسقاً معرفياً متكاملاً، ومن الأفضل للطفل أن يتلقى في جلسة واحدة أو في

كتيب واحد معلومات وافية عن بيتهوفن والموسيقا السيمفونية، لأنها تشكل نسقاً معرفياً كاملاً، لا تُنسى مفرداته. وتبرز هذه المشكلة أوضح ما تبرز في وضع المصطلحات، إذ من الصعب على من يعمل في الطب أن يضع مصطلحاً أو يترجم مصطلحاً في مجال علم النفس، ولكن من السهل على العامل في مجال الطب أن يضع مصطلحاً في عالم الطب أو أن يترجم مثل ذلك المصطلح، لأنه يتعامل مع نسق معرفي كامل هو الطب.

ولا بد من تأكيد قيمة أخرى وهي التراكم والتعليم المستمر والنمو مع الزمن، إذ لا يمكن أن يغدو الطفل بين عشية وضحاها ضليعاً في اللغة، ولو استخدمت في تعليمه كل الوسائل التعليمية الحديثة، فالمعرفة لا تتحقق دفعة واحدة، ولا تتحقق مرة واحدة، ولا بد من التكرار والاستمرار والتراكم والنمو.

يقول الدكتور المعتوق: **«إن ممارسة استخدام المحصول اللغوي المختزن في الذاكرة لا تزيد من حيوية وإنعاش هذا المحصول وحضوره الدائم في الذهن ومن فاعليته في التعبير فحسب، وإنما تعمل أيضاً على تنميته والإسراع في إغنائه، فمن الثابت في علم النفس أن الخبرات أو المعلومات القديمة تساعد على خفض الفترة الزمنية اللازمة لتعلم مهارات جديدة أو تلقي معلومات جديدة، وهذا المبدأ يتمثل بصورة أكثر وضوحاً في تعلم اللغة وتلقن مفرداتها وصيغها، فالمفردات المدركة شكلاً ومعنى والمختزنة في ذاكرة الفرد تعينه**

على تصور وإدراك مفردات أخرى مرتبطة بها، أو مجاورة لها في كلام يقرؤه أو يسمعه، إذ إنها تخلق سياقاً معيناً يعين على إدراك واستيعاب ما لم يوجد في الذاكرة من قبل، وبالتالي تدخل العناصر الجديدة إلى الذاكرة بسهولة نتيجة لارتباطها بالعناصر القديمة، وقد تطرق فندريس إلى هذه الفكرة بقوله: عندما نسمع جملة أو نقرؤها نرى الكلمات التي تشتمل عليها يفسر بعضها بعضا، فإذا كانت واحدة منها غير مألوفة لنا ـ والواقع أن هناك دائماً فترة في حياتنا نسمع فيها كلمة لأول مرة ـ حاولنا بطبيعة الحال تفسيرها معتمدين على سياق النص، وهذه هي الخطة التي يتبعها التلاميذ عندما يحاولون ترجمة نص أجنبي. (المعتوق، ص 277).

ويؤكد الفكرة ثانية بقوله: **«ويمكن القول إنه كلما كانت العناصر القديمة أوفر كان الترابط أكثر ودخول العناصر الجديدة أيسر، وكلما قلت العناصر القديمة قلت نسبة الترابط، وصعب التصوير، وتعثر رسوخ العناصر الجديدة في الذاكرة، لأن توافر العناصر القديمة يؤدي في الغالب إلى زيادة الفرص لإدراك معاني الكلمات الغريبة في سياقها الجديد».** (المعتوق، ص 278).

رابعاً ـ الطفل وتنمية اللغة بالحاسوب :

إن الحاسوب لا يعمل وحده، ولا بد من طفل يتعامل معه، ولا بد لهذا الطفل من الرغبة والإرادة والصبر والتصميم، ومساعدة المعلم في

المدرسة والأهل في البيت، ولا بد له من حسن التوجيه، ودوام التشجيع، ولا بد له أخيراً من أن يدرك واعيا أنه حقق شيئا، واستفاد، وأن مقدرته على الكلام والحوار والقراءة والكتابة قد تطورت، وأن معلوماته قد نمت، حتى يشعر بجدوى التعلم، ويستمر فيه.

إن الحاسوب يقوي شخصية الطفل، ويساعده على تحقيق التعليم الذاتي، ويمكن أن يعد الحاسوب أفضل أداة لتحقيق هذا النوع من التعليم، **«ويقصد بالتعليم الذاتي تمكين المتعلم من الاعتماد على نفسه بصورة دائمة ومستمرة في اكتساب المعارف والمهارات، ولا بد من توافر أربعة مكونات أساسية فيه، هي: وجود الدافع أو الحافز، وإعطاء المثيرات والمعلومات المميزة، وقيام المتعلم بالاستجابة والنشاط في أثناء عملية التعليم، واطلاع المتعلم فوراً على نتيجة عمله، والتعليم المبرمج أحد أساليب التعليم الذاتي»** (السيد، ص 286 ـ 287).

ولا بد أن يقتنع الطفل بأهمية تنمية مقدرته اللغوية، والفائدة منها، حتى يقبل عليها، لأن الإنسان عامة والطفل خاصة لا يهتم بأي شيء إلا إذا أدرك أهميته، واقتنع بوجود فائدة من ورائه، وعليه أن يدرك أن تعلم اللغة ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة ليطور علاقاته مع العالم، ويحسن تلقي العلوم، وما وسيلته إلى تلقي الرياضيات والكيمياء والعلوم إلا اللغة، وليحسن التفكير، وليجيد التعبير، وليقتنع بأن إتقان اللغة ضروري لتلقي العلوم، وامتلاك الثقافة، وتحقيق الانتماء إلى الأمة والعصر والحضارة، فإذا ما أدرك ذلك كله أقبل على تعلم اللغة وإتقانها.

بل إن على الطفل أن يدرك أنه عندما يتقن اللغة إنما يحقق وجوده بصفته إنساناً، يتميز عن سائر الكائنات باللغة التي يتكلمها، وأنه من خلال اللغة يتعرف على العالم، فاللغة تعرفه على المحسوسات في الكون، من جماد ونبات وحيوان، وتعرفه على المعاني من حب وكره وغضب ورضا وحزن وفرح، حتى قبل أن يعيش مثل هذه المشاعر، وهو حين يعيشها يعبر عنها باللغة، فيعي ذاته، ويعيها، بل إن اللغة تعرفه على الدين وما وراء الطبيعة والمغيبات، فاللغة تعلمه معنى الله والشيطان، وتعرفه على ما لا يراه، من كائنات أسطورية، فاللغة معرفة وحسّ ووجدان وخيال، بل هي تاريخ وجغرافية وفلسفة، هي المخزون الثقافي للبشرية.

يقول بيكرتون: **«اللغة صورة منظمة عن العالم ومرتبة بحيث يمكننا تحديد عناصر المعلومات فيها بسرعة ويسر، فالصورة التي تجزىء مفهومنا عن الواقع إلى أجزاء مسماة وقابلة للاستفادة الفورية هي التي تجعلنا قادرين على الحديث عن العالم وعن كل ما فيه تقريباً، عن كل ما ندركه بالحواس على الأقل، وحتى عن عدد كبير مما لا تدركه الحواس، مثل الملائكة والنيوترونات والقنطور، لكن ما يسمى «لغة» (عند الحيوان) لا يمكن أن يمثل العالم ولا بأي شكل من الأشكال، فلا لغة الإيماء ولا صيحات القرود أو حركاتها يمكنها أن تمثل العالم، إنها تمثل شعور الإنسان أو القرود في تلك اللحظة، وهي بذلك تعبر عن رغباته ونواياه لا أكثر ولا أقل، فلا شيء غير اللغة يمثل العالم بأسره، ذلك العالم الذي يحس به المخلوق ويتفاعل معه»** (بيكرتون، ص 13).

إن الأهداف من تعلم اللغة عديدة، ولا بد من توضيح تلك الأهداف للطفل، كي يقبل على تعلم اللغة، **«إن تحديد الأهداف يساعد على وضوح الغاية ومعرفة الاتجاه، إذ إن وضوح الغاية شرط أساسي لبلوغها، كما أن هذا التحديد يساعد على اختيار الطريقة المناسبة لتحقيق الهدف، إذ لم تعد هناك طريقة واحدة تصح لتحقيق الأهداف جميعها، وتناسب المستويات كلها والظروف والإمكانات جميعها، فإذا ما كان الهدف واضحاً ومحدداً اختيرت الطريقة المناسبة، إذ عندما يكون الهدف واضحاً يحسن الاختيار، وهذا ما ينطبق على الوسائل والأدوات أيضاً»** (السيد، ص 285).

وعلى الطفل أن يدرك أنه إذا تكلم العربية فهذا لا يعني أنه يعرف العربية ويتقنها، فهو يعرف الكلام باللهجة العامية، وهي دون العربية الفصيحة وإن كانت امتداداً لها، وأنه لا يكفي أن يتكلم العربية ليحسب أنه يتقن العربية، إذ لا بد من تعلم العربية الفصيحة ودرسها، وهي غير العامية التي يتكلمها، ولا بد من إتقانها والتمكن منها، إن بعض الناس يقولون: «نحن عرب نتكلم بالسليقة»، ولكن عليهم أن يدركوا أن زمن السليقة قد انتهى، فالكلام بالسليقة كان في العصر الجاهلي وفي العصر الإسلامي، وفي حدود الجزيرة العربية، ولكن ما إن خرج العرب إلى الأمصار، ودخل العصر الأموي، واختلط العرب بالأعاجم، ودخل في الإسلام شعوب كثيرة، حتى انتهى ما يسمى السليقة، وكان الشاعر يضطر للخروج إلى البادية ومخالطة العرب الأقحاح حتى يتلقى عنهم

العربية، أي حتى يتعلم الفصاحة والبلاغة، وكان كثير من الشعراء والأدباء ينتجعون البادية ليخالطوا الأعراب، ويتلقوا عنهم العربية.

وقد يقال إن الطفل سوف يسيء استخدام الحاسوب، وسيتخدمه في اللعب ببرامج التسلية، وهي كثيرة، وسوف تستنفد وقته وجهده، وتشغل تفكيره، ولكن من حق الطفل أن يلعب، وألعاب الحاسوب نفسها تنمي مقدرته اللغوية، واللعب خير وسيلة للتعليم، كما أن الأطفال والكبار كانوا على مر العصور يلعبون وما زالوا ولا بد من وقت للعب سواء في حضور الحاسوب أو في غيابه، وهل من طفل لا يلعب؟ بل إن اللعب ظاهرة صحية.

ومع استمرار الطفل في التعامل مع الحاسوب سيختار ولو بعد حين ما ينفعه ويترك ما لا ينفعه، كما يقول جيتس: **«كلما ازدادت خبرة الناس في التعامل مع الكومبيوترات الشخصية تعمق فهمهم لما يمكن أن يفعلوه وما لا يستطيعون عمله، وعندئذ تصبح الكومبيوترات الشخصية أدوات لا أشياء منطوية على مخاطر، فالكمبيوتر شأنه في ذلك شأن الجرار الزراعي أو ماكينة الخياطة ليس سوى آلة يمكننا استخدامها لمساعدتنا لأداء مهام معينة بكفاءة أكبر»** (جيتس، ص 404).

إن للآلة سحرها الخاص، وهي تجذب الإنسان إليها، وللجديد أيضاً سحره الخاص، ولذلك يتعلق المتعلم أيا كان عمره بما هو آلي وبما هو جديد، ومن الطبيعي أن ينجذب الطفل إلى الحاسوب، فالطفل ينجذب إلى الكتاب ذي الغلاف الجميل الجديد، وينجذب إلى اللوح الجديد

النظيف، وإلى القلم المختلف المتميّز، ومن الطبيعي جداً أن ينجذب إلى الحاسوب، وأن ينمي لغته بالتعامل معه.

إن الحاسوب ـ كما يرى جيتس ـ ينطوي **«على إمكانية أن يصبح أداة لتعلية الذكاء الإنساني على مدى المستقبل المنظور، غير أن الأدوات المعلوماتية لن تصبح الاتجاه السائد في حقل نشر المعلومات حتى يصبح كل إنسان تقريباً مستخدماً للكومبيوتر وسيكون الأمر رائعاً دون ريب عندما تتوافر لدى كل فرد غني أو فقير حضري أو ريفي عجوز أو شاب إمكانية التعامل مع الكومبيوتر».** (جيتس، ص 405) وليس حلم جيتس صعب المنال، فكما أن كل فرد يحمل هاتفه النقال الخاص به، كذلك سيكون لكل فرد حاسوبه المحمول الخاص به.

ولكن من المؤسف أن أكثر الناس يشترون لأولادهم من الألعاب والهدايا ما تبلغ قيمته ثمن الحاسوب، وهم يشترون الهواتف النقالة، ويبدلونها جرياً وراء التطورات الحديثة فيه، كما يشترون أجهزة الاستقبال المرئي، وينفقون عليها أضعاف ثمن الحاسوب، والسيدة في المنزل تزود مطبخها بأجهزة وأدوات يفوق ثمنها أضعاف ثمن الحاسوب، ولذلك فإن الفقر ليس مشكلة، إنما الجهل وغياب الوعي هما المشكلة.

خامساً ـ الحاسوب وخصوصية اللغة العربية :

في العربية خصوصيات تميزها، منها الفرق بين الفصيحة والعامية، أو اللغة المحكية واللغة المكتوبة، وهو فرق قائم في معظم لغات العالم،

ولكنه في العربية أوضح، ويمكن أن يعد من خصوصياتها لسبب أساسي يتمثل في أن الفصيحة تحرك أواخر الكلمات، والعامية تلجأ في معظم الأحيان إلى تسكينها، وهذا السبب غير موجود في معظم اللغات، لأنها تلجأ دائما إلى التسكين، ولا يتغير المعنى، بخلاف العربية، وثمة أسباب أخرى للفرق بين العامية والفصيحة في اللغة العربية، منها عهود من التخلف والفقر والجهل، وانتشار الأمية، وامتداد رقعة الوطن العربي على مناطق جغرافية منوعة، خضعت لظروف تاريخية واقتصادية مختلفة، ولكن الفرق بين العامية والفصيحة بدأ يقل بسبب انتشار التعليم وتطور وسائل الاتصال، وسيكون للحاسوب دور كبير في تقليص المسافة، بين العامية والفصيحة، ولكن ستبقى هناك لهجات عامية لا بد منها، وما هي ببعيدة عن الفصيحة، وإن هي إلا أداء يومي سريع في النطق من غير إعراب للعربية الفصيحة.

إن الآفاق المستقبلية للحاسوب وقدرته على تنمية اللغة عند الطفل غير محدودة، ولا سيما خدمته الكبيرة للعربية الفصيحة، وهنا تكمن أهمية الحاسوب، إذ ستكون برامجه متطورة فنياً، ومشوقة، ومعدة بالعربية الفصيحة، وهي بذلك تساعد على تقليص الفوارق بين الفصيحة والعاميات، وتساعد على نشر التعليم، وتعميق الثقافة، وتأكيد ثقافة الكلمة بدلاً من ثقافة الصورة، وتنمية الشعور القومي، وتحقيق التقارب الثقافي والمعرفي والوجداني بين الأشقاء العرب في الوطن العربي.

ومن أهم خصوصيات العربية القرآن الكريم، فهو المصدر الأول للعربية، وهو كلام اللّه عز وجل، نزل به جبريل الأمين على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد أودع اللّه تعالى فيه آياته المعجزات، فأكسب العربية الفصاحة والبلاغة والبيان وقوة التعبير وشدة التأثير، ومنحها البقاء والخلود، وحفظ أصواتها، فهو إلى اليوم ما يزال يقرأ بأصواته ومداته وسكناته كما سمعه الصحابة عن رسول اللّه، لأنه منقول بالتواتر، ولولا القرآن الكريم لأصبحت العربية لغات بدداً، كما منح الناطقين بها علوماً ومعارف، ولولاه لظلوا قبائل تقتتل، إذ لأجل القرآن الكريم نشأت علوم اللغة والنحو والبلاغة والصرف والفقه والتفسير، ولأجله وُضعت معجمات اللغة والشروح، ولأجله ترجمت كتب الفلسفة والمنطق ونشأ علم الكلام، وإلى اليوم ليس بإمكان المرء أن يكتسب الفصاحة إلا إذا قرأ القرآن الكريم، وتعلم التجويد، ودرس مخارج الحروف، ولا يمتلك البلاغة والبيان إلا إذا درس القرآن الكريم، وعرف أسرار البلاغة فيه، فهو الحافظ لهذه اللغة، وهو الحامل لها، وبه كرمها الله، وبه جعلها مقدسة، ولا يمكن نزع القدسية عنها، ولو جهد المغرضون، لأنها هبة من اللّه، ولذلك فإن خير ما يمكن أن ينمي المقدرة اللغوية عند الطفل هو القرآن الكريم، بسماعه وتلاوته وتجويده وفهمه وتدبر معانيه وحفظه، وفي الحاسوب خير معين على سماع القرآن يتلى بنبرات وإيقاعات كثيرة، ومشاهدة آياته تكتب بحروف مضبوطة ملونة بما يساعد على المتابعة والتلاوة والفهم، وثمة برامج تساعد على التلاوة، وأخرى تعين على الحفظ،

وثالثة فيها شروح وتفاسير، وفي قرص صلب واحد يمكن أن يتوافر للطفل مكتبة قرآنية شاملة.

يقول الدكتور عبد الكريم اليافي: **«على أن أهم ميزة للغة العربية تشرفها بنزول القرآن الكريم فيها حين أصبحت لغة الوحي ولغة اتصال الأرض بالسماء... ولقد حفظ العرب والمسلمون قرآنهم فحفظ لهم لغتهم، ولا شك أن استمرار اللغة العربية وخلودها متصل بالقرآن الكريم»** (اليافي، ص 22).

ثم يؤكد قدسية اللغة العربية، ويعدها لغة أهل الجنة، فيقول: **«إذا تصور المسلمون أحوال الجنة في الآخرة وما ورد في حق أهلها من التمثيل بأحوال أهل الدنيا فلابد من أن يتخيلوا لهم لغة، ولما كان القرآن الكريم كلام اللّه الذي تنزل على خاتم النبيين كانت لغة القرآن خليقة أن تكون لسان أهل الجنة»** (اليافي، ص 30).

إن العربية بفضل القرآن الكريم الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار في العالم كله ظلت مستمرة إلى اليوم لغة حية منذ خمسة عشر قرناً، ولم تنقطع، وما قيل بها من شعر أو نثر قبل ألف وخمسمئة عام ما يزال يقرأ بأصواته ونبراته ويفهم، ويتمثل به الناس ويحفظونه، ويشهد على ذلك الشعر الجاهلي والخطب والأمثال، كما يشهد على ذلك أحاديث رسول اللّه (صلى الله عليه وسلم)، وفي أحاديثه من الفصاحة والبيان ما ليس لسواه من البشر، وقد أوتي جوامع الكلم، ووصفه المولى عز وجل فقال: ﴿**وما ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحي يوحى، علمه شديد**

القوى ﴾ (سورة النجم، 53 الآيات 3 ـ 5)، كما يشهد على استمرار اللغة العربية وبقائها القرآن الكريم.

خاتمة :

لقد ازدهرت في العصر العباسي صناعة الورق، وكثرت الكتب، تأليفاً وترجمة، وانتشرت، وجهد النساخ في الإكثار من نسخها، وبنيت دكاكين الوراقين، وأقيمت دور الكتب، وكان الكتاب يمثل تطوراً نوعياً، وبه دخلت الثقافة مرحلة من التطور، ولقد وصف الجاحظ (توفي 255 هـ ـ 868م) في تلك المرحلة الكتاب، وعبر عن مكانته الحضارية، وقيمته الثقافية، وهو وصف طويل، ولكنه شامل، وفيه يقول: **«نعم الذخر والعُقدة هو، ونعم الجليس والعُدَّة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفةُ ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل، والكتاب وعاءٌ مُلِىءَ علماً، وَظَرْفٌ حُشِيَ ظَرْفاً، وإناءٌ شُحن مُزاحاً وجِدّاً؛ إنْ شِئْتَ كان أبيَنَ من سَحْبَانِ وائل، وإن شئت كان أعيا من باقِل، وإن شئت ضحِكْتَ مِنْ نَوادِره، وإن شِئْتَ عَجِبْتَ من غرائبِ فرائده، وإن شئتَ ألهتْك طرائفُه، وإن شئتَ أشجَتْك مواعظُه، ومن لكَ بِواعظٍ مُلْهٍ، وبِزاجرٍ مُغرٍ، وبناسكٍ فاتِك، وبناطقٍ أخرسَ، وببارد حارّ... ومَنْ لكَ بطبيب أعرابيّ، ومَنْ لك برُوميٍّ هِنْديّ، وبفارسي يونانيّ وبقديم مولَّد، وبميِّت ممتِّع، ومَنْ لكَ بشيء يجْمَعُ لكَ الأوّلَ والآخر، والناقص والوافر، والخفيَّ والظاهر، والشاهدَ والغائبَ،**

والرفيعَ والوضيع، والغثَّ والسمين، والشكْلَ وخِلافَه، والجِنسَ وضدَّه. وبعد: فمتى رأيت بستانا يُحمل في رُدْن، ورَوضةً تُقَلُّ في حِجْر، وناطقاً ينطِق عن الموتَى، ويُترجمُ عن الأحياء ومَنْ لك بمؤنس لا ينام إلاَّ بنومك، ولا ينطق إلاَّ بما تهوَى؛ أَمَنُّ مِنَ الأرض، وأكتمُ للسرِّ من صاحب السرِّ، وأحفظُ للوديعة من أرباب الوديعة، وأحفظ لما استُحْفِظَ من الآدميِّين، ومن الأعْرابِ المعربين، بل من الصِّبيان قبل اعتراض الاشتغال، ومن العُميان قبل التمتُّع بتمييز الأشخاص... ولا أعلمُ جاراً أبرَّ، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوعَ، ولا معلِّماً أخضعَ، ولا صاحبًا أظهرَ كفايةً، ولا أقل جِنايَةً، ولا أقلَّ إمْلالاً وإبرامًا، ولا أحفَلَ أخلاقاً، ولا أقلَّ خلافاً وإجراماً، ولا أقلَّ غيبةً، ولا أبعدَ من عَضِيهة، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرُّفاً، ولا أقلَّ تصلُّفًا وتكلُّفًا، ولا أبعَدَ من مراء، ولا أتْركَ لشغب، ولا أزهَدَ في جدال، ولا أكفَّ عن قتالٍ، من كتاب، ولا أعلمُ قرينًا أحسنَ موافاةً، ولا أعجَل مكافأة، ولا أحضَر مَعُونة، ولا أخفَّ مؤونة، ولا شجرةً أطولَ عمراً، ولا أجمعَ أمراً، ولا أطيبَ ثمرةً، ولا أقربَ مُجتنَى، ولا أسرعَ إدراكاً، ولا أوجدَ في كل إبَّان، من كتاب، ولا أعلمُ نتاجاً في حَدَاثةِ سنِّه وقُرْب ميلادِه، ورُخْص ثمنه، وإمكانِ وُجوده، يجمَعُ من التدابير العجيبَة والعلومِ الغريبة، ومن آثار العقولِ الصحيحة، ومحمود الأذهان اللطيفة، ومِنَ الحِكَم الرفيعة، والمذاهب القويمة، والتجارِبِ الحكيمة، ومِنَ الإخبارِ عن القرونِ الماضية، والبلادِ المتنازحَة، والأمثالِ السائرة، والأمم البائدة، ما يجمعُ لك الكتابُ» (الجاحظ، ج1، ص 12 ـ 13).

ولكأن الجاحظ وهو يصف الكتاب إنما يصف بديله لهذا اليوم وهو الحاسوب، ولا سيما المحمول.

ولا بد في الختام من القول إن الحاسوب ليس معجزة، وليس بإمكانه أن يصنع معجزة، وما هو بعصا سحرية تفعل المستحيل، وهو لا يعمل وحده، ولا بد من إنسان يغذيه بالبرامج، ولا بد من إنسان يتعامل معه، وفي حالة الطفل، لا بد له من توجيه ورعاية وإرشاد، وهو يعمل على الحاسوب، سواء في المدرسة أو مقهى الحاسوب أو البيت، ولا تتحقق الغاية المرجوة من الحاسوب إلا إذا عم وانتشر، لأن النهضة لا يصنعها فرد، ولا تتمثل في حالة خاصة، وإذا ترك الأمر كله من غير وعي وتخطيط فقد يقود إلى غير ما هو متوقع.

إن تعليم الطفل وتعلمه بوساطة الحاسوب سيحدث تغييراً كبيراً في عالم الطفل، بل سيحدث تغييراً كبيراً في العالم كله، والمرجو لهذا التغيير أن يكون دائماً في خير الإنسان.

المراجع

1 ـ بيكرتون ديريك، **اللغة وسلوك الإنسان،** تر. محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، السعودية، 2001 .

2 ـ الجاحظ، **الحيوان،** تح. عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1969.

3 ـ جيتس بيل، **المعلوماتية بعد الإنترنت،** تر. عبد السلام رضوان، **سلسلة عالم المعرفة،** الكويت، العدد 231، مارس آذار 1998.

4 ـ سبندر ديل، مدرسة المستقبل، تر. عيسى إسماعيل، **مجلة بناة الأجيال،** دمشق، العدد 46 ، شتاء 2003.

5 ـ محمود أحمد، **في طرائق تدريس اللغة العربية،** مطبوعات جامعة دمشق، دمشق، 1988.

6 ـ غنيم سيد، اللغة والفكر عند الطفل، **مجلة عالم الفكر،** الكويت، المجلد الثاني، العدد الأول، أبريل مايو يونيو 1971.

7 ـ المعتوق أحمد محمد، الحصيلة اللغوية، **سلسلة عالم المعرفة،** الكويت، العدد 212, أغسطس آب 1996.

8 ـ اليافي عبد الكريم، **دراسات فنية في الأدب العربي،** دمشق، 1972.

المحتوى العربي في الشبكات الحاسوبية
دوره وأهميته

The Arabic Language Content Gap

د. محمد مراياتي

المستشار الإقليمي للعلم والتكنولوجيا

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا

مقدمة

أدخلت التطوراتُ المتسارعة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تغيرات هامة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فكانت عاملاً أساسياً في نمو الاقتصاد نحو ما يسمى بالاقتصاد المبني على المعرفة أو الاقتصاد الجديد، وعاملاً أساسياً في توجّه المجتمع نحو ما يسمى بمجتمع المعلومات. وقد صار للمعرفة دور أكبر في حياتنا اليوم، وأصبحت تتجسد رقمياً digital في الحواسيب ضمن قواعد المعطيات وقواعد المعرفة database knowledge، وعلى الشبكات وأهمّها شبكة الإنترنت. وإن مجمل ما يُخزَّن من معلومات في لغة ما بصيغة رقمية في الحواسيب offline وما يوضع في الشبكات الحاسوبية online هو ما نصطلح عليه بالمحتوى. فمحتوى اللغة العربية الموجود على الإنترنت

يمثل كل المعلومات المتوفرة على الإنترنت رقمياً في شتى مجالات المعرفة والحياة.

هذا ويزداد المحتوى في جميع اللغات بتسارع هائل سنوياً وبمعدّلات أُسيّه، فقد قدّرت إحدى الدراسات مجمل محتوى كل اللغات على الإنترنْت عام 1997 بما يزيد على مئة مليون صفحة، ثم زاد في عام 1999 على بليون صفحة، وفي عام 2002 زاد على 300 بليون صفحة.

وتنبع أهمية المحتوى في لغةٍ ما من فوائدها وعائداتها على تلك اللغة. فهناك فوائد إدارية وخدماتية من المحتوى المتعلق بالحكومة الإلكترونية، وفوائد اقتصادية من المحتوى المتعلق بالتجارة الإلكترونية وخاصة فوائد التجارة الداخلية على مستوى كل دولة، والتجارة البينية بين الدول العربية في حالة اللغة العربية على سبيل المثال، وهناك فوائد تتعلق بتكوين الأطر البشرية في حالة المحتوى التعليمي والتدريبي أو ما يسمى e-learning، وهناك فوائد علمية وتكنولوجية من وجود المحتوى العلمي والتكنولوجي، وفوائد ثقافية من وجود المحتوى الثقافي والتراثي وهكذا.

وتزداد أهمية المحتوى وعائداته مع ازدياد المستخدمين للإنترنت وللحاسوب، وتقاس هذه الفائدة بعدد هؤلاء المستخدمين المتكلمين للغة المحتوى المعنّي، فكلما ازداد عدد متكلمي لغة المحتوى المدروس ازدادت عائدات ذلك المحتوى، ويعرف هذا المبدأ لدى الاقتصاديين بمبدأ «عائدات التشبيك» network externalities network effects .

لقد وصل عدد مستعملي الإنترنت في العالم في تموز / يوليو 2002 إلى 560 مليون مستخدم منهم 59,8% لا يتكلمون الإنكليزية؛ أي إن نسبة المستعملين ممن تُعدّ الإنكليزية لغتهم الأم هي 40,2% ، وهذا يدل على تزايد المحتوى بغير اللغة الإنكليزية. هذا وإن إيجاد المحتوى باللغات الوطنية يُعدّ من العوامل المقلّلة لما يسمى بظاهرة الهوة الرقمية digital divide. وقد بدأت مختلف الأمم بالمسارعة لزيادة المحتوى بلغتها، أما الأمة العربية فقد بدأت تسعى بهذا الاتجاه.

1 ـ المحتوى على الإنترنت ومستعملوه (content and users)

يزداد المحتوى على الإنترنت بمعدلات أسية، وأحد مؤشرات قياس المحتوى هو عدد الصفحات على الإنترنت web page. وقد وصل عدد الصفحات في تموز / يوليو 2002 إلى حوالي 313 بليون صفحة في كل اللغات، وكان قد زاد هذا العدد من حوالي البليون صفحة عام 1999, أي بمعدل 300 مرة في السنوات الثلاث الأخيرة. وتتصدر اللغة الإنكليزية اللغات الأخرى في عدد الصفحات حيث بلغت نسبتها 68,4 % من الصفحات، تليها اللغة اليابانية فالألمانية فالصينية. يبين **الجدول رقم (1)** اللغات العشر ذات المحتوى الأعلى في الإنترنت، وليست اللغة العربية من بين هذه اللغات العشر مع أنها تأتي عالمياً ضمن اللغات الست الأولى من حيث عدد متكلميها، وهي إلى ذلك إحدى لغات الأمم المتحدة الرسمية الست.

Chart of Web content, by language	
English	68.4 %
Japanese	5.9 %
German	5.8 %
Chinese	3.9 %
French	3.0 %
Spanish	2.4 %
Russian	1.9 %
Italian	1.6 %
Portuguese	1.4 %
Korean	1.3 %
Other	4.6 %
Total Web pages	313 B
Source: Vilaweb. com, as quoted by *eMarketer*	

الجدول رقم (1)

يبين **الشكل رقم (1)** توزع الصفحات web pages حسب المسجلين تحت حقل كل دولة أو حقل عام domain وذلك عام 1999, وكما يبين هذا الشكل فقد كانت الإنكليزية مستعملة من قبل المسجلين تحت حقول الدول والحقول العامة (الحقول العامة هي com ، org ، net ، edu ، gov ، mil). نلاحظ أن اليابانيين والبرازيليين والفرنسيين والمكسيكيين والرومان والألمان والإيطاليين والأسبان والتايوانيين وغيرهم يضعون أكثر من 75 ٪ من صفحاتهم بلغاتهم الأم. ويبين **الشكل رقم (2)** توزيع صفحات الـ web حسب اللغات وحسب حقول الدول والحقول العامة domain بعد استثناء اللغة الإنكليزية واللغات الوطنية، وهذا الشكل يدل على أن جميع المواقع تسعى لوضع محتوى بلغات عديدة حسب مصالحها ولنشر ثقافتها ولتسويق منتجاتها.

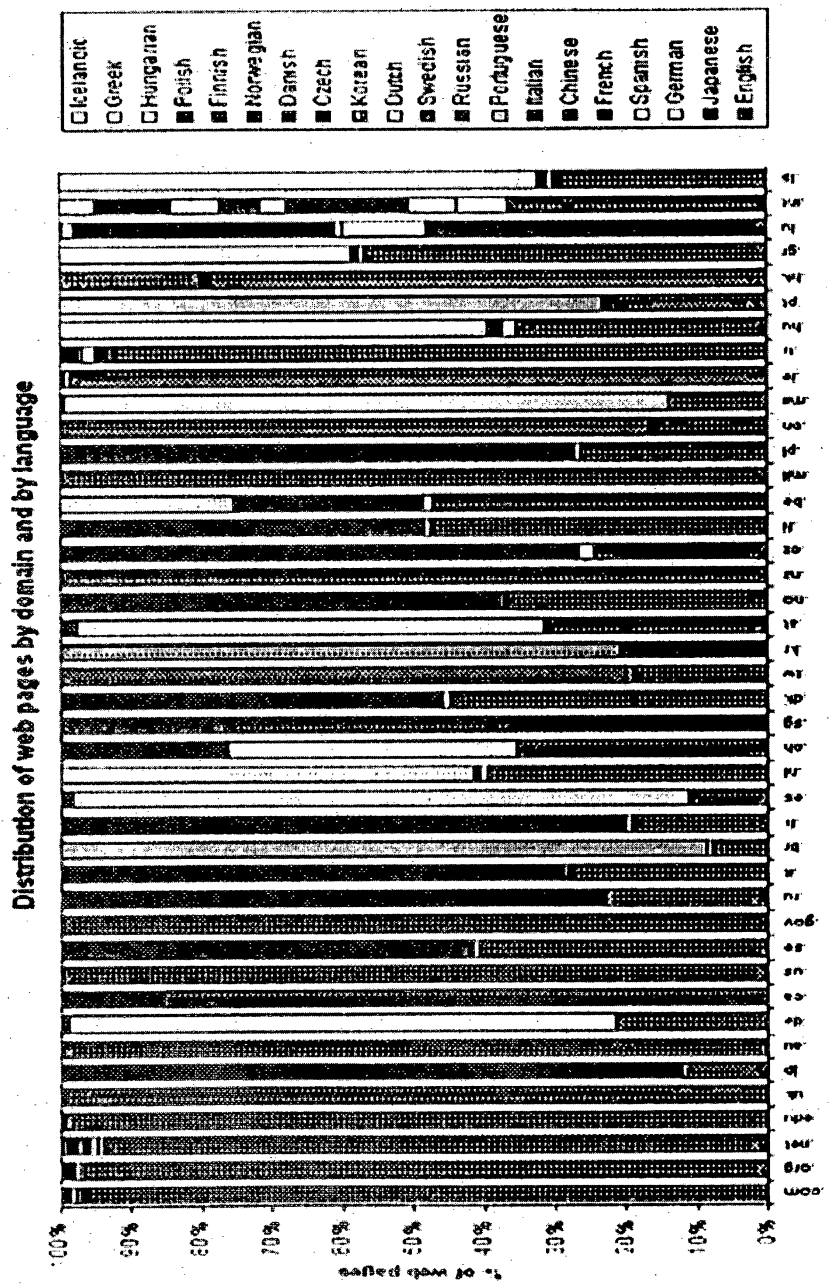
Distribution of web pages by domain and by language
Icelandic
Greek
Hungarian
Polish
Finnish
Norwegian
Danish
Czech
Korean
Dutch
Swedish
Russian
Portuguese
Italian
Chinese
French
Spanish
German
Japanese
English
100%
90%
80%
70%
60%
50%
40%
30%
20%
10%
0%
com
org
net
edu
mil
gov
int
arpa
nato

الشكل رقم (1)

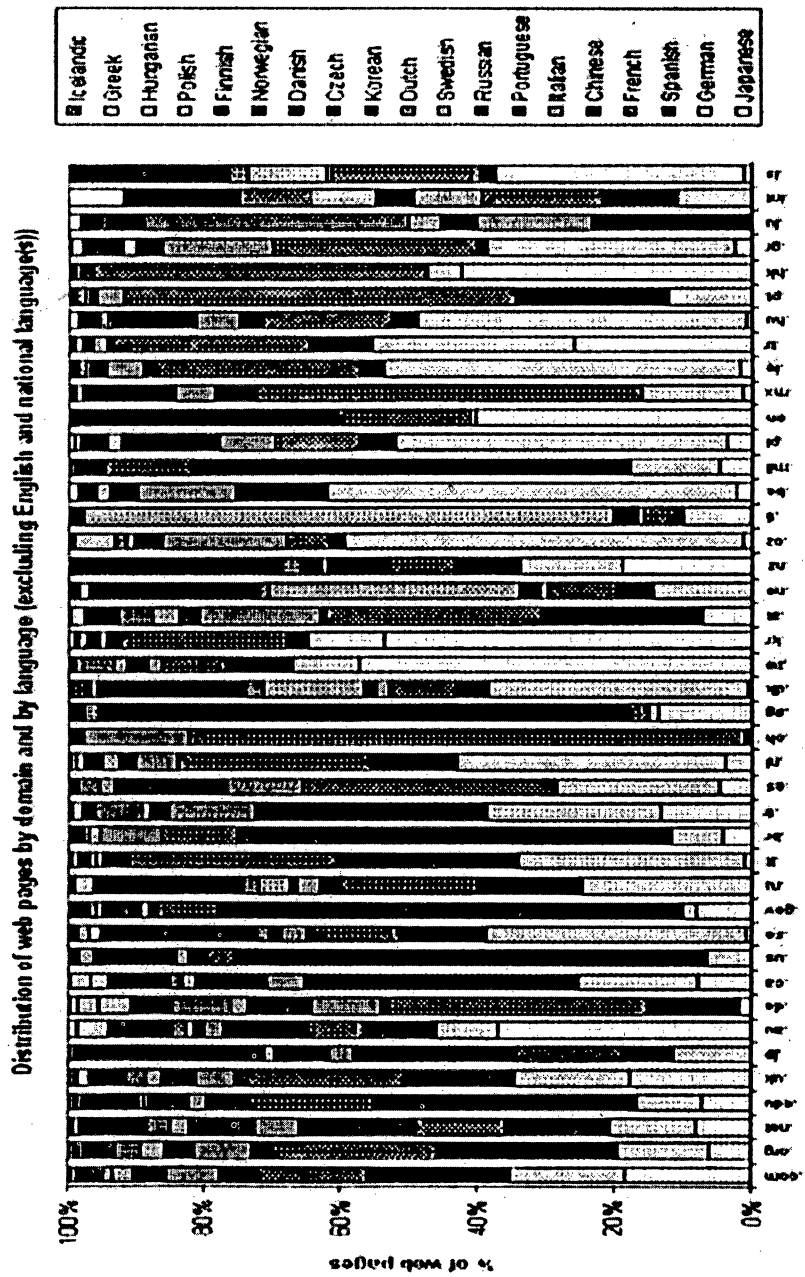
Distribution of web pages by domain and by language (excluding English and national languages))
Icelandic
Greek
Hungarian
Polish
Finnish
Norwegian
Danish
Czech
Korean
Dutch
Swedish
Russian
Portuguese
Italian
Chinese
French
Spanish
German
Japanese
100%
80%
60%
40%
20%
0%
% of web pages

الشكل رقم (2)

ذكرنا في المقدمة، أن فائدة المحتوى بلغة ما تزداد مع ازدياد عدد مستخدمي الإنترنت من متكلمي تلك اللغة. ويبين **الجدول رقم (2)** المؤرَّخ في تموز / يوليو 2002 توزّع مستخدمي الإنترنت في العالم وعددهم 560 مليون شخص حسب اللغات، ونجد أن عدد مستخدمي الإنترنت من متكلمي اللغة العربية هو نحو 4,4 مليون مستخدم في العالم العربي والمهجر، ولا يتضمن هذا الرقم المُلِمّين باللغة العربية في العالم الرسلامي، الذي بلغ تعداد سكانه عام 2002 ما يزيد على مليار ومئتي مليون شخص. ونرى في هذا الجدول أيضاً أن نسبة مستخدمي الإنترنت من متكلمي اللغة العربية هم قرابة 0,89 ٪ من مجمل مستخدمي الإنترنت، في حين أن نسبة سكان العالم العربي هي 5٪ من مجموع سكان العالم. نستنتج من هذا أن نسبة المحتوى العربي ونسبة المستخدمين العرب على الإنترنت لا تزال أقل مما يجب.

	Internet access (M)	%'age world online pop.	2004 (est. in M)	Total pop. (M)	GDP ($B)	%'age of world economy	GDP per capita (K)	Net Hosts
English	228	40.2%	270	567	$13.812	33.4%		
Non-English	339	59.8%	510	5633	$27.590	66.6%		
European Languages (non-English)	1923	339%	2593	1.218	$12.550	30.3%		
Catalan	1.9 [2]		2.2	6.6				
Czech	2.2 [3]		3	12	$53		$5.1	214
Dutch	11.8 [4]	2.1%	13	23.6	$570		$24.2	2485
Finnish	2.1 [5]		3.5	6	$127		$24.4	945
French	22.0 [6]	3.9%	28	77	$1734	4.2%	$21.5	2388
German	38. [7]	6.8%	49	100	$2421	5.8%	$24.9	3784
Greek	1.6 [8]		3	12	$184		$16.9	182
Hungarian	1.3 [9]		3	14.5	$96		$9.4	211
Italian	20.2 [10]	3.6%	27	62	$1471	3.6%	$24.7	2313
Polish	6.7 [11]		8.5	44	$306		$7 8	654
Portuguese	14.9 [12]	2.6%	26	176	$1472	3.6%	$8.34	1909
Romanian	0.8 [13]		1.2	26	$98		$4.4	69
Russian	11.5 [14]	20%	15	167	$730	1.8%	$5.0	415
Danish	3.2 [15]			5.4	$176		$32.9	707
Icelandic	0.2 [15]			3	$6		$23.5	47
Norwegian	2.5 [15]			5	$126		$27.7	630
Swedish	6.2 [15]			9	$223		$22.3	1330
Scandinavian languages (total)	12.0 [15]	2.1%	13	19.7	$525	1.3%	26.0	2714
Slovak	0.7 [16]		1.5	5.6	$47		$8.7	69
Slovenian	0.6 [17]		1	2	$229		$10.9	26

Spanish	40.8 [18]	7.2%	53	350	$3684	8.9%	$11.0	3241
Turkish	3.9 [19]		7	674	$454		$6.7	140
Ukranian	0.8 [20]		2	47	$115		$2.3	56
TOTAL EUROPEAN LANGUAGES (excl. English)	**1923**	**33.9%**	**259**	**1.218**	**$14.112**	**33.9%**		**24.529**
ASIAN LANGUAGES								
Arabic	4.4 [20]	0.8%	6	300	$678	1.6%	$4.2	95
Chinese	55.5 [21]	9.8%	125	874	$5370	13.0%	$5.4	2388
Hebrew	1.9 [22]		2.5	5.2	$132		$21.0	223
Japanese	52.1 [23]	9.2%	75	125	$3.315	8.0%	$26.1	7118
Korean	25.1 [24]	4.4%	35	78	$835	2.0	$17.3	440
Malay	4.8 [25]		7	229	$835	2.0%	$3.7	95
Thai	2.3 [26]		3	46	$453		$7.3	81
TOTAL ASIAN LANGUAGES	**1462**	**26.1%**	**254**					10.440
TOTAL WORLD	**560**		**762**	**6200**		**$41.400**		
Source: Global Reach (global-reach.biz/globstats)								

الجدول رقم (2)

يبين **الشكل رقم (3)** توزع مستخدمي الإنترنت حسب لغاتهم الأم بتاريخ آذار/مـارس 2002, **أمـا الشـكـل رقـم (4)** فيبين تطور أعداد المستخدمين حسب لغاتهم الأم مع الزمن.

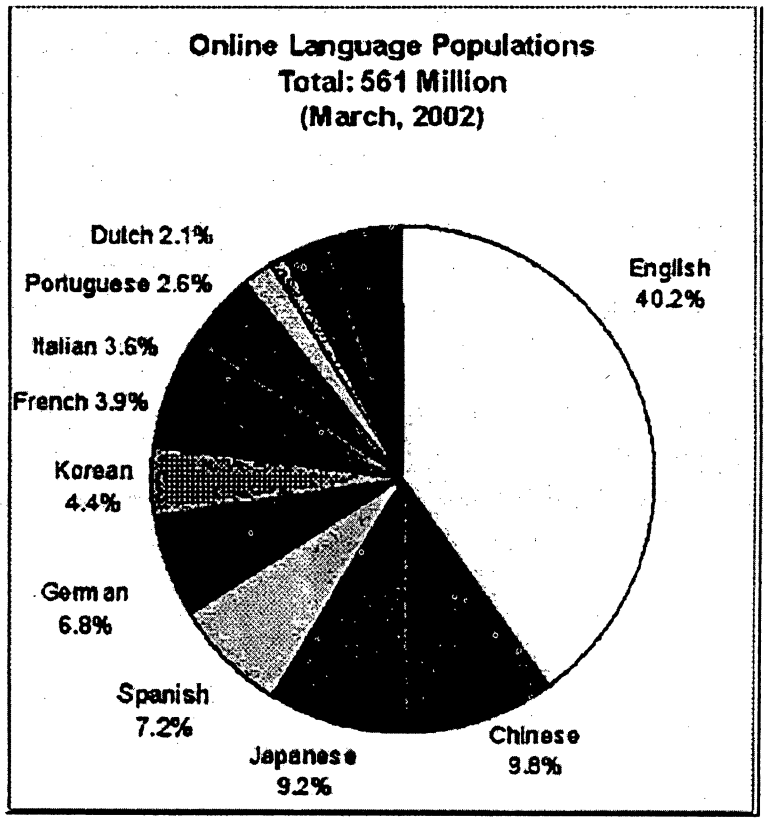

Source: Global Reach 2002, www.globalreach.com

الشكل رقم (3)

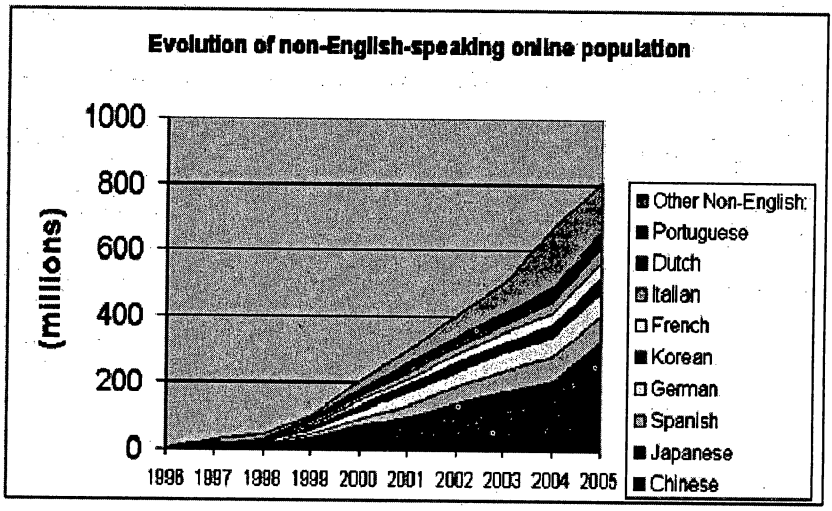

Source Global Reach 2002

الشكل رقم (4)

يخزَّن المحتوى في مخدماتٍ servers حاسوبية تدعى المضيفات host. ويعد خزن المعلومات في مضيفات ضمن الدولة من مكاسب هذه الدولة، وله عائدات اقتصادية واجتماعية وأمنية. وتسعى الدول عادة لزيادة عدد المضيفات لديها، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان تشغيل المضيفات اقتصادياً بالنسبة لواضعي المحتوى، وبتعبير آخر إن نجاح دولة ما في زيادة عدد المضيفات لديها يتطلب أن تكون إدارة هذه المضيفات اقتصادية ومنافسة وموثوقة وآمنة مقارنة بالمضيفات التي تعرضها الدول الأخرى.

والعالم العربي مدعو لزيادة عدد المضيفات لديه، وخفض أسعار استضافة المحتوى العربي، وضمان أمن هذا المحتوى من العبث. يبين **الشكل رقم (5)** تطور عدد المضيفات في العالم؛ إذ زاد على 150 مليون

مضيف عام 2002 ، منها في العالم العربي 112,522 مضيف عام 2001. هذا العدد من المضيفات يمثل مجمل المضيفات الآمنة secure وغير الآمنة. ويبين **الشكل رقم (6)** أن معظم الوصلات للمخدمات الآمنة هي باللغة الإنكليزية (94,45 من المخدمات) أما الوصلات باللغات الأخرى لمخدمات آمنة فلا تزيد على 5,55 ٪ ولا تظهر العربية بين اللغات الـ 17 الأولى في هذا المجال.

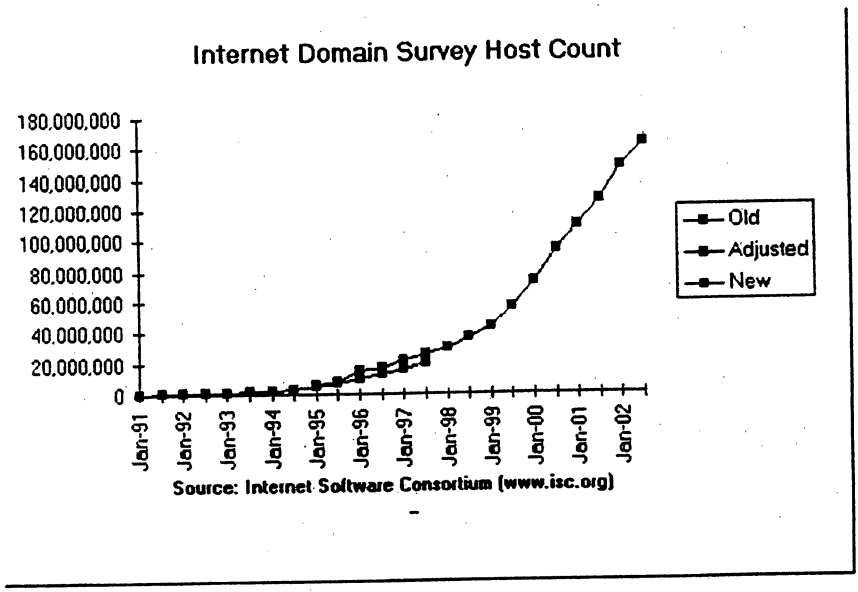

الشكل رقم (5)

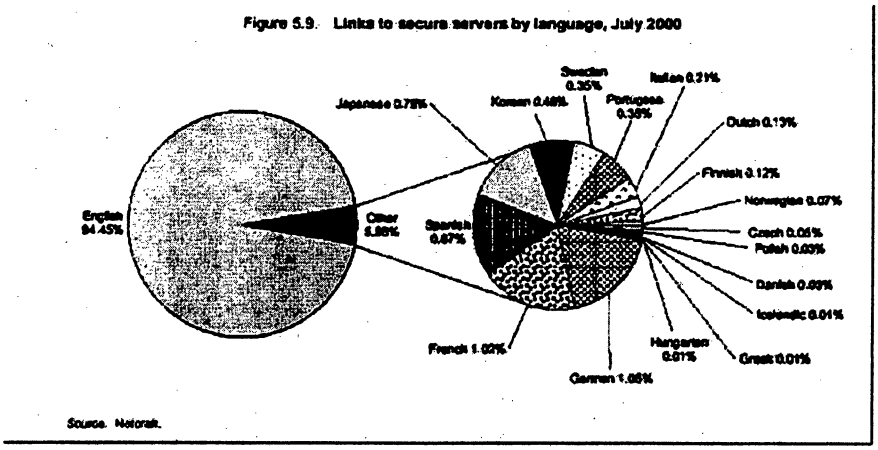

الشكل رقم (6)

2 ـ مجالات وجود المحتوى العربي

ينتشر المحتوى العربي على الإنترنت كانتشار أي لغة أخرى على مختلف مجالات الاقتصاد والاجتماع والثقافة وغيرها. وفيما يلي أمثلة عن بعض هذه المجالات، التي يُؤمَل أن يزداد المحتوى العربي فيها:

* الأعمال: مواقع الشركات، دليل الشركات، دليل المصدرين، دليل المصانع، البنوك، صناديق المال،...

* النشر: الجرائد، المجلات، الدوريات العلمية، الإذاعات، التلفزيونات...

* الحكومة الإلكترونية: البوابة الحكومية، مواقع الوزارات والمؤسسات العامة...

*العلم والتكنولوجيا: الجامعات، مراكز البحوث، الجامعات الافتراضية،...

*المكتبات: النصوص، الأصوات، الصور، الأفلام، الكتب الإلكترونية،...

* الصحة: العيادات، المستشفيات، الطبابة عن بعد،...

* المنظمات: غير الحكومية، الإقليمية، الدولية،...

*الثقافة: المتاحف، بوابات الثقافة والفكر والموسيقي والأدب، والرسم، ....

* الثراث: التراث العربي، التراث الإسلامي، adabwafan و Alwaraq...

* السياحة: المواقع السياحية التاريخية والطبيعية، والفنادق، والمطاعم، والنقل،...

* التسلية: ألعاب أطفال، أفلام،...

* .....

إن تنشيط زيادة المحتوى في كل من هذه المجالات يحتاج لمبادراتٍ من الحكومات العربية، تستهدف كل مبادرة منها زيادة المحتوى في مجال من المجالات. وهذه المبادرات يجب أن تشتمل على النواحي القانونية والمؤسساتية والبشرية والمالية والدعائية والتنظيمية والإدارية.

3 ـ أنواع المحتوى

إن المحتوى الذي يغطي المجالات المذكورة آنفاً يمكن أن يصنف في أربعة أنواع عامة هي: «معرفة ماذا» أو «معرفة المعلومة»، و«معرفة لماذا» أو «معرفة العلة»، و«معرفة كيف» أو «معرفة الكيفية»، و «معرفة من» أو

«معرفة أهل الاختصاص». وتُبرزِ المعرفة مدى السيطرة على الأنواع المختلفة للمعلومات.

وتعمل تكنولوجيا المعلومات الآن على ترميز هذه الأنواع من المعرفة، ومن ثم تحويلها إلى سلع تؤثر (أكثر مما مضى) في الإقتصاد والمال والمنفعة الوطنية.

أ ـ «معرفة المعلومة» أو «معرفة ماذا» -Know what-

وتشتمل على معرفة الحقائق، وهي أقرب ما تكون إلى معرفة المعلومات التقليدية، كمعرفة الحقائق الطبية من قبل الطبيب أو معرفة القوانين والشرائع من قبل المحامي وأمثالها.

ب ـ «معرفة العلة» أو «معرفة لماذا» -Know why-

وتشتمل على معرفة الأسباب وراء ظواهر الطبيعة واستثمارها لخدمة الإنسان، وتكمن هذه المعرفة وراء التقدم العلمي والتكنولوجي ووراء الصناعة وإنتاج السلع المختلفة، وتتركز مصادر هذه المعرفة في وحدات التعليم والبحث والتطوير العام والخاص.

ج ـ «معرفة الكيفية» أو «معرفة كيف» -Know how-

وتشير هذه المعرفة إلى الخبرة في تنفيذ الأشياء سواء كانت هذه الأشياء هي إدارة الأفراد أو تشغيل العمليات أو تشغيل الأجهزة والآلات أو استخدامات التكنولوجيا المختلفة، وعادة ما تكون هذه المعرفة ملكاً للشركات والمؤسسات ويحتاج الحصول على بعضها إلى آليات مختلفة معقدة ومكلفة.

د ـ «معرفة أهل الاختصاص» أو «معرفة من» -Know who-

وتزداد حالياً أهمية هذه المعرفة، وهي معرفة مَن يستطيع عمل شيء ما لا بد منها لتنفيذ هذا العمل بوجه سليم واقتصادي. وتفعيل الاقتصاد حالياً يحتاج إلى هذه المعرفة حاجة كبيرة. وتسرّع هذه المعرفة تنفيذ المشاريع تسريعاً أكيداً وسليماً.

إن تعليم السيطرة على هذه الأنواع الأربعة من المعرفة يجري بوسائط مختلفة. «فمعرفة المعلومة» و «معرفة العلة» تؤخذان من الكتب والمؤسسات التعليمية والتدريبية ومن قواعد المعلومات. أما النوعان الآخران فلا يؤخذان كاملاً إلا بالممارسة.

لكن توفير المعرفة وتحويلها إلى معلومات جعل من تكنولوجيا المعلومات IT أداة هائلة في وضع المعرفة في متناول العالم، خاصة وأن شبكات المعلومات مثل الإنترنت وغيرها تجعل المسافات قصيرة والزمن مختصراً والتكلفة بسيطة والتداول سهلاً. ثم إن ترميز المعرفة وتخزينها رقمياً انطلاقاً من توفر المعلومات على شكل كتب ومجلات ومراجع وفهارس وصور وأصوات وأفلام ورسوم، إضافة إلى تسهيل نقلها عبر الشبكات الرقمية العالمية يجعلها أداة دور فعال جداً في التنمية الاقتصادية والثقافية والأمنية، وهذا ما يقرّبنا من «مجتمع المعلومات» الذي يولّد المعرفة وينقلها ويَستعملها لخدمته في جميع المجالات.

وإن توفير المعرفة وتحويلها إلى معلومات رقمية يجعلها تتحول إلى سلع تزداد أنواعها يوماً بعد يوم، ويزداد دورها في الاقتصاد العالمي الذي يتجه نحو «اقتصاد المعرفة».

4 ـ مراحل تداول المحتوى العربي

هناك مراحل محددة للتداول مع المحتوى العربي بدءاً من توليده وانتهاءاً باستعماله أو استثماره، وكل مرحلة من هذه المراحل تحتاج إلى جهود وأدوات ومشاريع خاصة بها. وسنذكر باختصار هذه المراحل فيما يلي:

1 ـ مرحلة توليد المحتوى الجديد: وهي مرحلة إبداعية تعبّر عن نشاط الأمة وإنتاجها الفكري والثقافي والعلمي والتكنولوجي. يولَد المحتوى الجديد في لغة من اللغات من نشاطات الأمة في البحث والدراسة والتطوير. ويعتمد توليد المحتوى العربي على عوامل عدة منها: تمويل البحث العلمي، وحرية الفكر والتعبير عنه، ووجود الطلب على الإبداع والتجديد. لقد أصبح التعبير في عصرنا الحالي رقمياً digital ويخزن في الحاسوب مباشرةً، فالكتب والدراسات والبحوث والثقافة والأدب تكتب حالياً مباشرة بصيغة رقمية قابلة للنشر الرقمي ولوضعها على الإنترنت مباشرة. وهذا ما بدأت تمارسه الكثير من دور النشر العربي حالياً.

2 ـ مرحلة تحويل المحتوى الموجود أو القديم إلى الصيغة الرقمية go digital: وهي مرحلة تتطلب إدخال معارف الأمة السابقة من كتب

ووثائق وفن ومعلومات وغير ذلك إلى الصيغة الرقمية، وخزنها في الحاسوب أو في وسائط الخزن الرقمية كالقرص المتراصّ CD ROM ، أو القرص المغناطيسي diskette ، ويشهد العالم العربي الكثير من المشاريع في هذا المجال مثل: www.Alwarak.com.

3 ـ **مرحلة تخزين المحتوى وتبويبه ومعالجته:** يجري في هذه المرحلة الهامة تبويب المعلومات المخزنة ضمن أبواب تسهّل البحث فيها، وتسهل استخلاص المعلومات اللازمة منها. وتستعمل في ذلك العديد من الأدوات البرمجية كقواعد المعطيات Databases ، وقواعد المعرفة Knowledge ، والنظم الخبيرة Expert System ، وبرمجيات الفهرسة الآليةIndexing،وبرمجيات معالجات اللّغات الطبيعيةNatural Language Processing، مثل: برمجيات البحث search عن الكلمة أو الوثيقة أو المعنى، ومثل: برمجيات فهم النصوص، وبرمجيات تحليل النصوص، وبرمجيات الترجمة الآلية. ويندرج هذا أيضاً على الكلام العربي مثل برمجيات تعرف الكلام speech recognition وبرمجيات فهم الكلام وترجمته، وبرمجيات تركيب الكلام speech synthesis وغيرها.

وإن التعامل باللغة العربية مع كل هذه الأدوات هو تعامل كثيف اللغة language intensive ، ويعتمد على اللغة وخواصها، والكثير منها لا بد من تطويره ليتلاءم مع اللغة العربية. وللنجاح في هذه المرحلة لا بد للدول العربية من اعتماد مبادرات على مستوى الدولة والقطاع الخاص لدعم البحوث والتطوير فيها، ولتشجيع قيام الشركات الخاصة بها،

ولتوفير البيئة المناسبة لنموها. ولقد قامت في العالم العربي العديد من النشاطات الخاصة في هذه المرحلة، من أهمها نشاطات شركة صخر ونشاطات شركة مايكروسوفت، ولكن ما تحقق أقل بكثير مما هو مطلوب، وما تزال الجهود المبذولة في العالم العربي مشتتة لا يربطها رابط، وذلك على الرغم من أهمية هذه النشاطات وعائداتها الاقتصادية الكبيرة الواعدة التي بدأت تشكل ما يسمى بـ language intensive undustry الصناعات كثيفة اللغة.

4 ـ مرحلة عرض المحتوى أو طباعته: وهي مرحلة تتعلق بالتعامل مع الحرف العربي وأشكال طباعته أو إظهاره أو نقله عبر شبكات الحواسيب وعبر الإنترنت، وهي مرحلة تحتاج إلى جهد في تقييس استعمال حروف اللغة العربية standards . وقد قامت جهود عربية عديدة في هذه المجالات ولا تزال قائمة ولكنها بطيئة وضعيفة منها: نشاطات المنظمة العربية للتقييس سابقاً ASMO ، والآن AIDMO ، و ALECSO .

5 ـ مرحلة نشر المحتوى العربي : أهم ما في هذه المرحلة هو وضع المحتوى العربي الرقمي digital لكل المجالات التي أتينا على ذكرها في الإنترنت، وفهرسته indexing في محركات البحث على الإنترنتsearch engines. ولا يزال النشاط العربي في هذا المجال ضعيفاً وخاصة في مجال اللغة العربية ومحركات البحث.

6 ـ مرحلة استخدام واستعمال المحتوى: يعتمد نجاح هذه المرحلة على جودة المحتوى وعلاقته وفائدته للمستثمر relevant ، ويعتمد على

زيادة معدل النفاذ العربي للإنترنت access ومن ذلك نفاذ الصناعيين والتجار والطلاب والمواطنين والمثقفين، أي جميع شرائح المجتمع. كذلك يعتمد نجاح هذه المرحلة على أسعار الحواسيب وأسعار الاشتراك بالإنترنت والهاتف وتوفرها؛ أي على البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

5 ـ فوائد نمو المحتوى العربي

إن زيادة المحتوى العربي سيعود بفوائد كبيرة سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، فهو أولاً سيسمح بنقل النفاذ إلى المعرفة من نخبة صغيرة في المجتمع تتكلم الإنكليزية أو الفرنسية إلى قوى المجتمع العاملة بأسرها، وهو عامل هام جداً في الاقتصاد الجديد وفي مجتمع المعلومات القادم. والفائدة الثانية ستكون في تنشيط تعليم وتعلّم وتدريب المجتمع العربي لاستعمال التقانات الجديدة الفعالة كالإنترنت عبر e-learning وكالكتاب الإلكتروني e-book ، والتدريب عن بُعد وغيره. والفائدة الثالثة تكمن في تحقّق زيادة التجارة المحلية e-commerce والتجارة البينية العربية. أما الفائدة الرابعة فستتأتى عبر تطبيق الحكومة الإلكترونية e-government التي يُتوخّى أن تؤدي إلى الإدارة الشفافة والفعالة والحكم الرشيد. والفائدة الخامسة هي في تحقيق تشبيك مختلف النشاطات الاقتصادية والاجتماعية العربية networking ؛ كتشبيك مراكز البحوث والجامعات والصناعات عبر

بوابات عربية تُنشأ لهذا الغرض portals. على أن هذه الفوائد ـ التي أتينا على ذكر بعضها ـ لن تتحقق إذا لم يُنمَّى الطلب عليها بمبادرات وطنية وعربية من الحكومات والقطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني demand pull .

6 ـ مؤشرات قياس المحتوى العربي في الإنترنت

لقد بدأت تُعتمد عالمياً بعض المؤشرات لقياس ومقارنة المحتوى لمختلف اللغات، وسنذكر بعض هذه الموشرات باختصار، علماً بأن تحصيل قيم هذه الموشرات ومتابعتها يُعدّ عملاً جديداً في العالم العربي، ويحتاج إلى جهود ومبادرات من الحكومة والقطاع الخاص ومن المنظمات الإقليمية والدولية حتى يجري اعتمادها وقياسها. من هذه الموشرات ما يلي :

* عدد الصفحات باللغة العربية
* عدد المواقع باللغة العربية وفي الدول العربية Web sites
* فائدة المحتوى للدول العربية local relevance
* مدى تغطية المجتمعات النائية communities coverage
* مدى تقييس استعمال اللغة على الشبكات standarts
* وجود محركات بحث وأدلة باللغة العربية directories and search engines
* عائدات الدعاية باللغة العربية في المواقع العربية

وقد ذكرنا في بداية هذا البحث قيم بعض هذه الموشرات كعدد

الصفحات web pages في كل اللغات الذي يساوي 313 بليون صفحة، وعدد الصفحات للغات العشر الأولى على الإنترنت.

7 ـ آليات زيادة المحتوى العربي

ذكرنا سابقاً أن من المحتوى ما هو على الشبكة online content ومنه ما ليس على الشبكة offline content. وزيادة المحتوى أياً كان يحتاج إلى توفير أو دعم آليات ضرورية لتحقيق هذه الزيادة؛ من هذه الآليات ما يلي:

* تعرّف الحروف العربية OCR
* Machine Translation من الإنكليزية إلى العربية
* التحول نحو الرقمية go digital (مبادرات وطنية)
* النشر على الإنترنت Web publishing (web ware)
* تقييس استعمالات اللغة العربية في المعلوميات والاتصالات
* إصدار تشريعات محفّزة لقيام صناعات في المحتوى العربي (Arabic content industries)
* حاضنات شركات المعرفة العربية (language intensive industries)
* تعليم المعلوميات والاتصالات (بالعربية) وخاصة web ware
* دعم مالي لمشاريع زيادة المحتوى العربي (حوافز ضريبية، صناديق...).
* بحث وتطوير في مجالات NLP ، speech ، لسانيات حسابية

* تطوير الأدوات البرمجية لتسهيل التعامل مع اللغة العربية في جميع مراحل تداول المحتوى من التوليد إلى الاستثمار أو الاستخدام.

8 ـ العقبات الفنية أمام توليد المحتوى العربي

هناك عدد من العقبات الفنية التي لا تسهّل وجود المحتوى العربي، وهي تحتاج إلى دراسة خاصة بها تعالج بعض الأمور الفنية والتقنية. وهذه العقبات يمكن إيجاد حلول لها إذا تعاونت الجهات العربية المختصة مع الجهات الدولية المعنية بها في البحث عن هذه الحلول، نذكر منها:

* معايير لتقييس استعمال اللغة العربية على الإنترنت مثل: وجود التعليمات RFC = Request For Comments باللغة العربية، واستعمال اللغة العربية في أسماء الحقوق والعناوين على الإنترنت domain names ، واستعمال اللغة العربية في البريد الإلكتروني، وفي البروتوكول FTP وغيرها، وفي usenet news ، وفي خدمات الأدلة repertoires ، وفي قاعدة المعطيات whois II .

* استعمال اللغة العربية في لغات البرمجة الخاصة بالإنترنت مثل: بروتوكول HTTP ، HTML ، وخاصة المؤشرات في هذه اللغة tags .

* استعمال اللغة العربية في تطبيقات الإنترنت مثل: محركات البحث، والدردشة chat ، وإدارة القوائم list-serve ، وفي برمجيات التعمية أو التشفير.

* إشكالات تتعلق بأنظمة التشغيل Unix و windows و linux و x-window، حيث لا تزال هناك بعض الإشكالات المتعلقة باللغة العربية وغيرها من اللغات. وثمة جهود تبذلها في هذا الاتجاه بعضُ الشركات الخاصة والمنظمات الإقليمية والدولية المعنية، ولكن هذه الجهود بطيئة وضعيفة.

9 ـ خاتمة وتوصية

أصبح المحتوى العربي ضرورة ملحة في زمن التوجّه نحو الاقتصاد المبني على المعرفة ونحو مجتمع المعلومات، ونوصي باعتماد مبادرات على مستوى كل دولة عربية وعلى المستوى القومي، تهدف إلى تحقيق الآليات التي أتينا على ذكرها في هذه الدراسة، وإلى إيجاد الحلول للعقبات التقنية التي تعترض نموّ هذا المحتوى.

10 ـ المراجع

- Robert M. Solow, "***Growth theory***", 2nd edition, oxford, University Press, 2000.
- Albert Breton (editor), "***Economic approaches to language and Bilingualism***", New Canadian perspectives Department of public works and Government Services, 1998.
- Francois Grin, "***Languages and the Economy: European Research on the Economics of Language: Recent Results and Relevance to Canada***", Department of Political Economy, Universite De Genere, www.pch.gc.ca
- Proceeding of the Colloquium "***Official Languages and the Economy***", 271 pages, www.pch.gc.ca
- Ngugi Wa Thiongo; "***The role of colonial Language in Creating the image of a savage Contient***", www.trinicenter.com
- Vikas Nath, "***Heralding ICT enabled Knowledge Societie: Way forward for the developing countries***",Http://membres.tripod.com
- "***Global Competitiveness Report 2000/2001***", Center for International Development, Harvard University, 2000.
- M. Mrayati, "***Knowledge-Based-Economy, and the Need to Arabization of Information Technology in the ESCWA Region***", Expert Panel on IT and Development priorities competing in a knowledge - based global economy,UN-ESCWA, 15-16 May 2000. And Review of S &T in the ESCWA Member Countries, No. 3,2000.
- M. Mrayati, "***Arabization and Localization of E-Business: Status and Requirements***". EGM on Trade Facilitation and e-commerce in the ESCWA region, UN-ESCWA, Beirut, 8-10 November 2000.
- M. Mrayati, "***Technology Transfer and Emerging Markets***", Environment 2001 Conference: Challenges and Solution for Sustainable Development, Abu Dhabi, 4-7 February 2001.

- محمد مراياتي، **«الإنترنت والوطن العربي»**، مجلة العلوم، الألكسو، تونس، كانون الأول / ديسمبر 1999.

- محمد مراياتي، **«تغيير منظومة العلم والتكنولوجيا إلى نظام وطني للإبداع من ضرورات التنمية في القرن الحادي والعشرين»**، مجلة العلوم، الألكسو، تونس، كانون الأول / ديسمبر 1999.

- محمد مراياتي، **«التكنولوجية الحديثة والمصطلح العلمي العربي في ظل اقتصاد المعرفة»**، ندوة إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده وإشاعته، اتحاد مجامع اللغة العربية، دمشق، 25 - 27 تشرين الأول / أكتوبر 1999.

- محمد مراياتي، **«تعريب المعلوماتية في ظل اقتصاد المعرفة ودور التربية والتعليم فيه»**، ندوة أسئلة التعريب ورهاناته في التعليم العالي بالمغرب وسورية، فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، 25 - 26 تشرين الثاني / نوفمبر 1999.

- محمد مراياتي، **«صناعات تكنولوجيا المعلومات واللغة العربية: الفرص الكامنة»**، ندوة تعريب البرمجيات، الجامعة اللبنانية الأمريكية، بيروت، 30 / 3 / 2000 .

- محمد مراياتي، **«تطور مهن المعلوماتية ومردودها الاقتصادي»**، ندوة الدراسات الإنمائية، المؤتمر الوطني السابع عشر للإنماء، بيروت، 9 - 11 / 11 / 2000.

- محمد مراياتي، **«تعريب العلوم والتكنولوجيا وضرورته مع توجه العالم نحو اقتصاد المعرفة»**، ندوة الترجمة والتقانة العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 4 - 11 / 1 / 2001 .

قراءة في مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية
الحلقة الثالثة - الجزء الأول

مخطوطات ابن مالك المنظومة والمنثورة وشروحها

د. محمد عيسى وموسى

جامعي

المستخلص

يعد التراث المخطوط اليوم المادة الخام الوحيدة في العالم العربي والإسلامي، من بين الثروات المادية الأخرى، التي وقع القبول ضمنا بتجاهلها وعدم التنقيب عنها واستغلالها، فإن نسبة ما تم تحقيقه وإخراجه للناس اليوم، لا يكاد يتجاوز الخمسة في المائة، وفي أحسن الحالات في بعض المواقع تسعة في المائة مما هو محفوظ في الخزائن. هذا ما خلص إليه الباحثون المهتمون بالمخطوط في الملتقى الدولي للمخطوط: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية من خلال المخطوط، الذي التأم شمله في مدينة أدرار، من 20 إلى 24 أبريل 2008.

في هذه الحلقة مواصلة البحث في مساهمة المخطوط الجزائري في علوم اللغة، لعلها تساعد على تأريخ جانب من الحركة العلمية، والاعتراف لها بدورها في إثراء المعرفة، وعنايتها بالنحو والنحاة بخاصة.

تحاول الدراسة الكشف على عينة من المنثور والمنظوم، وتضمنت مادة جمعت وعرضت في جزأين، يتناول الأول في هذا العدد، مخطوطات ابن مالك النحوي في المكتبة الوطنية الجزائرية وشروحها. ويخص الجزء الثاني في عدد لاحق، شروح متن الألفية.

أدرك علماء النحو منذ القديم، الجدوى من فهم أسرار اللغة، ودورها في حل مشكلات التأويل والتفسير، وعلاقتها الوطيدة بالأداء في المهمة العلمية.

وقد كشفت الدراسات النحوية الحديثة، عن الدور المحوري الذي قام به المتمكن من أدوات التعبير والتركيب، الأمر الذي صقل حسه ومكنه من التأويل، كنتيجة منطقية للتوظيف الجيد لمداركه وحسه اللغوي، مدعومة بقاعدة معرفية صحيحة لأسرار اللغة وتراكيبها ودلالة نصوصها، مع التوفيق بين قواعد النحو والإعراب، وأسرار البلاغة والبيان، والاحتكام إليها في توضيح المقاصد، والتمييز بين الدلالات عند الاختلاف في التراكيب والقرائن. ويعد إدراك مغزى الاشتغال بعلوم اللغة وعلى رأسها النحو حافزا هاما، وعاملا من أهم العوامل التي ساعدت على تطوير العلم، وبقائه في إطار الاهتمامات الرئيسية التي ترتكز عليها علوم اللغة في العصر الحديث.

اللوحة رقم 1

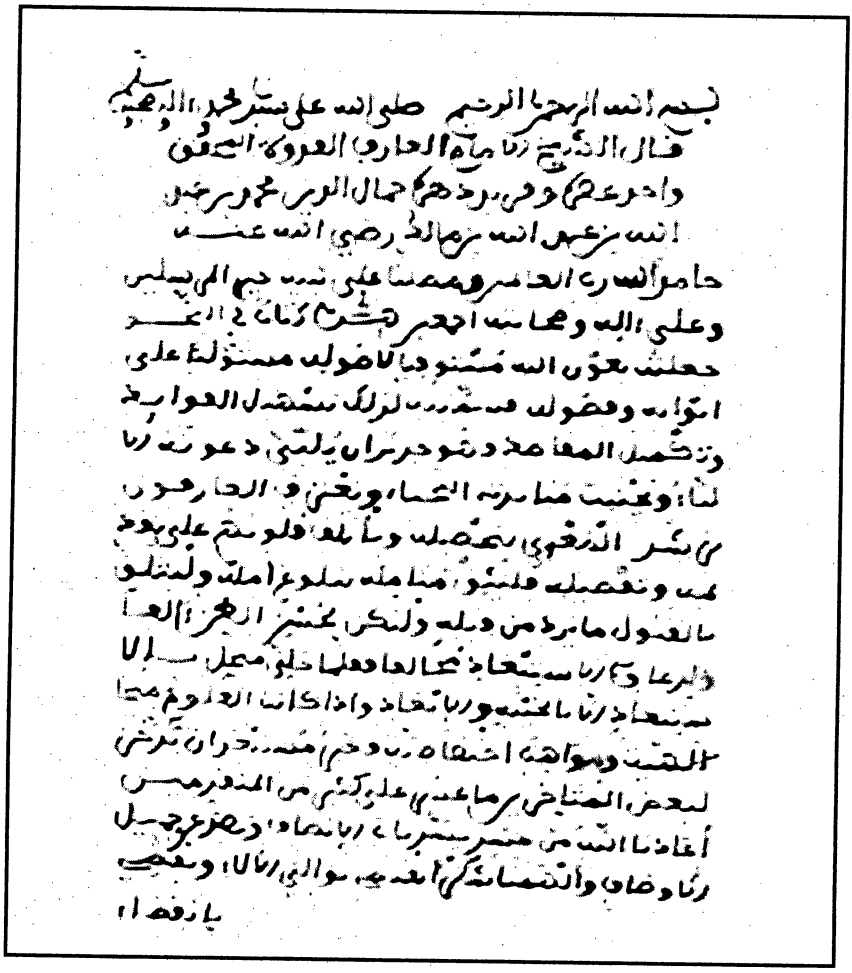

نموذج: 1 ـ بداية المخطوط

2 ـ مقدمة المؤلف يدعو إلى إنصافه وقبول عمله

العنوان: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد

المؤلف : محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي أبو عبد الله جمال الدين.

رقم المخطوط: 116 المكتبة الوطنية الجزائرية

ومن هذا المنطلق قد تدرج تفسير ظاهرة خط الكتب ونسخها عند القدماء، أصبحت وافرة متداولة يتناقلها الطلاب في حلقات العلم المنتشرة في الحواضر، تلبية للدعوة الصادرة عن العلماء العاملين على نشر العلم وتداوله، وقد أفصح عن ذلك ابن مالك في مقدمته لكتابه المنثور: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: « هذا كتاب في النحو جعلته بعون الله مستوفيا لأصوله مستوليا على أبوابه وفصوله فسميته لذلك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد فهو جدير أن يلبي دعوته الألباء، ويجتنب منابزته النجباء، ويعترف العارفون برشد المغزى بتحصيله، وتأتلف قلوبهم على تقديمه وتفضيله، فليثق متأمله ببلوغ أمله، وليتلق بالقبول ما يرد من قبله، وليكن بحسن الظن آلفا، ولدعاوى الاستبعاد مخالفا، فقلما حلي متحل بالاستبعاد إلا بالخيبة والإبعاد، وإذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين. أعادنا الله من حسد يسد باب الإنصاف، ويصد عن جميل الأوصاف، وألهمنا شكرا يقتضي توالي الآلاء، ويقضي بانقضاء اِلّأْواءِ. وها أنا ساع فيما انتدبت إليه مستعينا بالله ومتوكلا عليه. ختم الله لي ولقارئه بالحسنى، وفتح لي ولهم الحظ الأوفى في المقر الأسنى بمنه وكرمه» . (اللوحة رقم 1).

اللوحة رقم 2

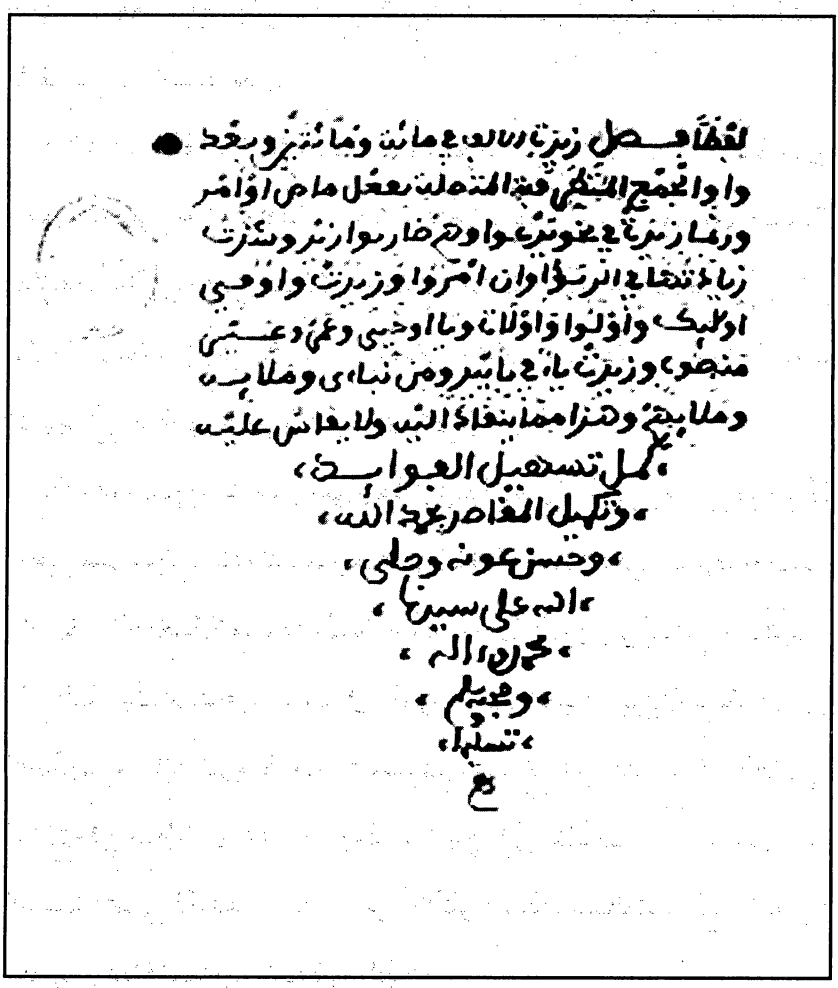

نموذج: نهاية المخطوط

العنوان: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد

المؤلف : محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي أبو عبد الله جمال الدين.

رقم المخطوط: 116 المكتبة الوطنية الجزائرية

إنها دعوة لأولي الألباب فهم أولى بمعرفة نبل المقاصد من الكتاب، حتى ينزلوه منزلة يظفر منهم بالقبول لما فيه من إضافات مقارنة بكتب المتقدمين في التخصص.

إن دراسة لظاهرة التأليف، وتصفحا لمدونة الأدوات اللغوية، تبين الدور العلمي عند الأقدمين من النحاة، وقد عملت مؤلفات متعاقبة منظومة ومنثورة على تشكل حلقات متصلة لأعمال ساهمت في نشر اللغة العربية، وترقية الأداء من خلال تلك الشبكة التي تولى العلماء نسجها في حلقاتهم مع طلابهم دون كلل.

إن أهمية دور النحاة يظهر جليا في الموروث العلمي وما تركوه إذْ لا يخلو عصر منهم، انتقلت عبرهم علوم اللغة، وعملوا على تداولها، فجنت الأجيال اللاحقة ثمارها المتمثلة في أعمال التدوين والشرح والتأويل، فشاركوا بذلك بنصيب وافر في الدراسات الحديثة التي استفادت من أعمالهم، وكانوا شهداء على عصرهم، وقد نتج عن هذا الثراء الفكري اتساع في مجالات عديدة، ووفرة وتنوع في التأليف، قد يساهم هذا البحث على الكشف عن بعض الآثار لتلك المسالك التي اندثرت معالمها، وقد كانت يوما تنبض بالحياة.

اللوحة رقم 3

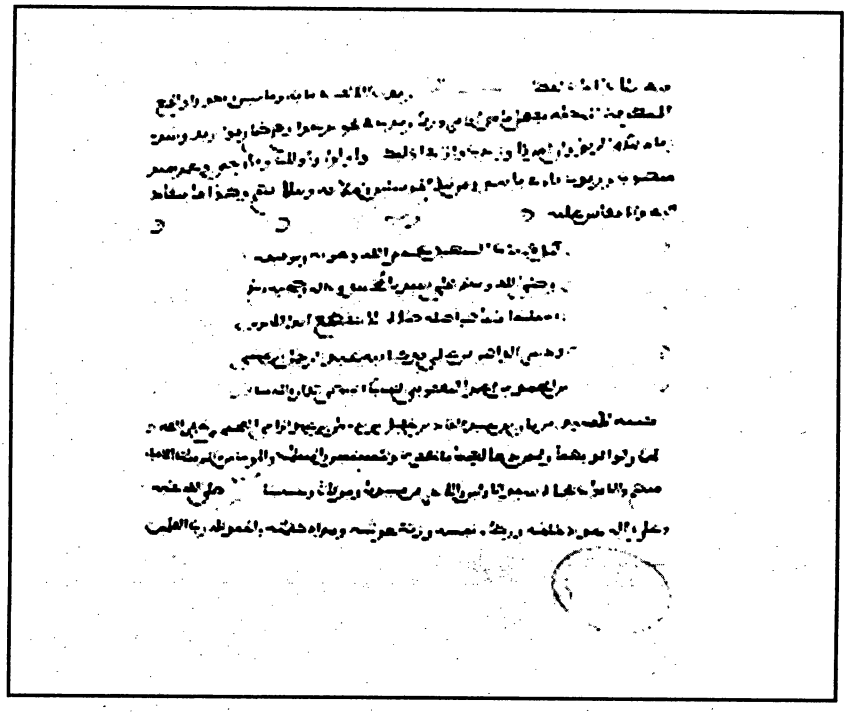

نموذج: 1 ـ نهاية المخطوط

2 ـ الناسخ

3- مالكها

العنوان: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد

المؤلف : محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي أبو عبد الله جمال الدين.

الرقم في المجموع: 2

رقم المخطوط: 119 المكتبة الوطنية الجزائرية

إن تأمين التواصل الفكري عموما والنحوي بخاصة يوفر أداة مناسبة للتعبير، ويضمن وصول اللغة سالمة على أيدي العاملين عليها، والذين سلكوا طريقا صعبا، وفتحوا أبواب الاجتهاد واسعة في وجه النحاة اللاحقين.

إن عملية الكشف عن مساهمة الفكر الجزائري قديما في إثراء ورعاية النحو العربي عبر العصور، لا يزال محاطا بغموض ينتظر جهودا من طرف المفكرين، والباحثين المهتمين بالتخصص، وذلك بالتعريف بالمخطوط وإخراجه وتحقيقه وطبعه ليكون مادة في متناول الدارسين، قد يساعد على ذلك هذا التعريف هنا ببعض المخطوطات، وكانت في وقت مضى تشغل النحاة والدارسين عندنا، نحاول نفض الغبار عنها والتنبيه إلى دورها وأهميتها، إنها خطوة أولى في طريق يهدف سلوكه إلى المساهمة في أعمال التحقيق، ونشر التراث المخطوط لاحقا.

تتناول هذه الحلقة الثالثة في الجزء الأول، عينة من مخطوطات ابن مالك في المكتبة الوطنية الجزائرية، وهي في ثلاثة أقسام: يتناول القسم الأول التعريف بمخطوطات كتاب التسهيل وشروحه، ويخص القسم الثاني مخطوطات منظومة لامية الأفعال وشرحها، وفي القسم الثالث مخطوطات متون الألفية. أما الجزء الثاني، فسيخصص لمخطوطات شروح الألفية في عدد لاحق. يضم البحث تسعة عشر لوحة من المخطوطات المختارة المذكورة في هذا البحث ووقع الاستشهاد بها.

اللوحة رقم 4

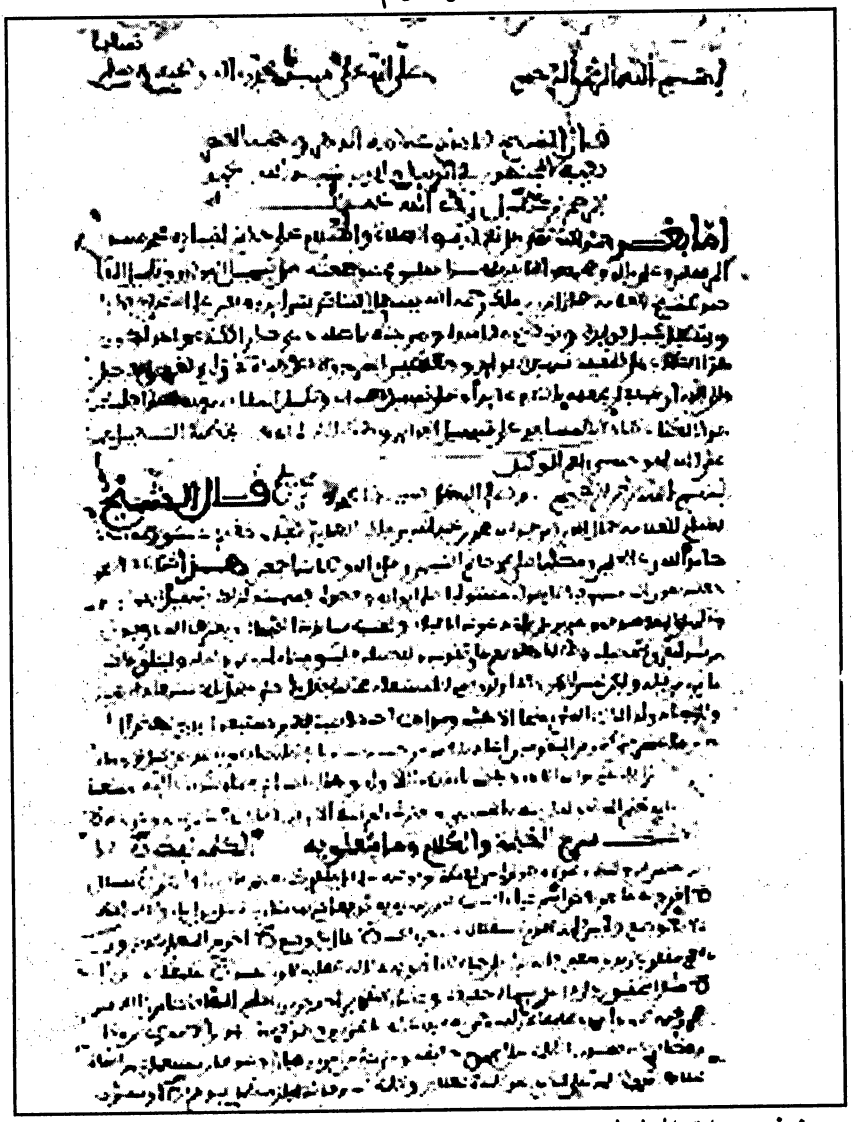

نموذج: بداية المخطوط

العنوان: المساعد على تسهيل الفوائد مج1

المؤلف : عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل.

رقم المخطوط:117 المكتبة الوطنية الجزائرية

ابن مالك محمد بن عبـد الله
(600هـ / 1203م - 672 هـ / 1274م)

هو العالم المعروف بالنحوي، ينسب إلى حيان بالأندلس، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الحياني الأندلسي أبو عبد الله جمال الدين، نشأ بالأندلس ثم رحل إلى حلب، أقام بها مدة ثم استقر في دمشق، واشتغل فيها بالتدريس والتأليف.

يعد ابن مالك النحوي من أبرز العلماء، تعددت مؤلفاته، فأعطى دفعا قويا للنحو العربي. شغل اللغويين والنحاة وتناولوه بالدراسة، واعتمدوه في التدريس، وقد نقلت إلينا خزائن مخطوطاتنا مادة وافرة تعبر عن تعلق الجزائريين عبر العصور بهذا العالم الأندلسي يفرق بكثير عن اهتمامهم بالنحاة الآخرين، ولم تكن تلك العناية بابن مالك من قبيل الصدفة، وإنما كان ذلك تفضيلا له عن غيره، للمكانة المتميزة التي تبوأها، وللأهمية البالغة لمؤلفاته، وما لاقته من قبول ورواج عند الدارسين المشتغلين بعلم النحو في الجزائر.

اللوحة رقم 5

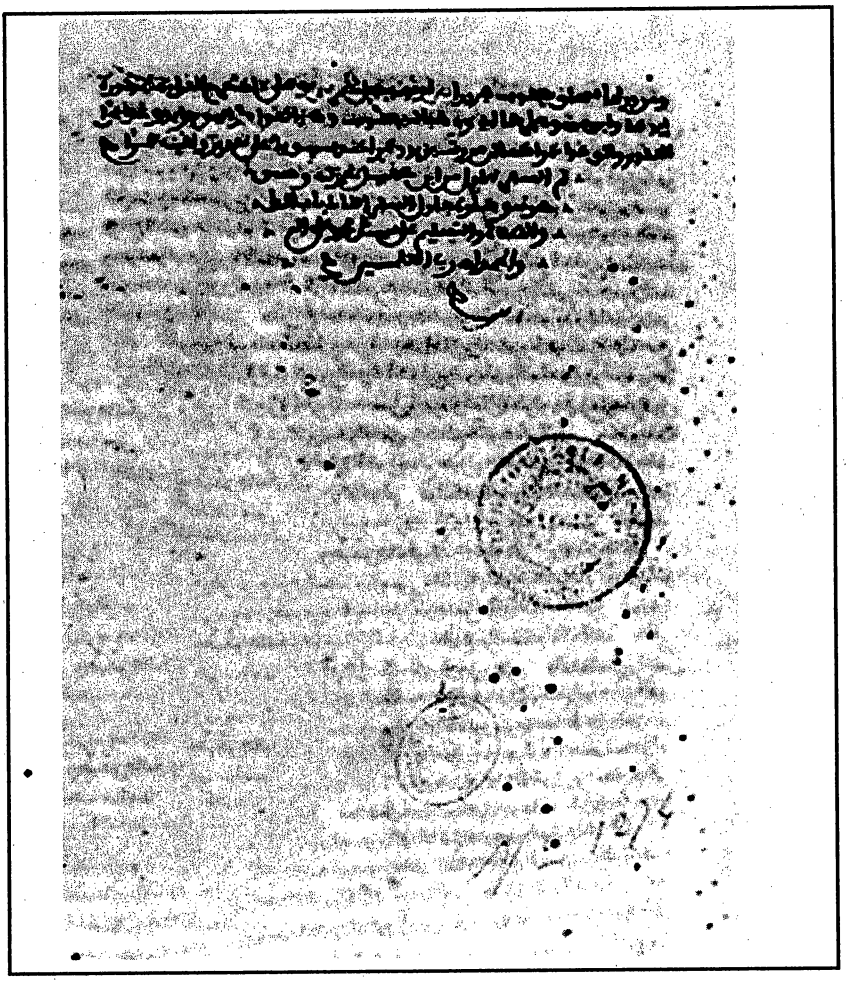

نموذج: نهاية المخطوط

العنوان: المساعد على تسهيل الفوائد - مج 1

المؤلف : عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل

رقم المخطوط: 117 المكتبة الوطنية الجزائرية

من تصانيفه:

1- الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة 2- الألفية 3- الإعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد وشرحه 4- إكمال الأعلام بمثلث الكلام 5- إيجاز التعريف في علم التصريف 6- تحفة المودود في المقصور والممدود 7- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 8- ثلاثية الأفعال 9- الخلاصة الألفية 10- رسالة في الاشتقاق 11- شبك المنظوم وفك المختوم 12- سماء حرز المعاني في اختصار حرز الأماني 13- شرح الكافية الشافية 14- شفاء العليل في إيضاح التسهيل 15- شواهد التوضيح 16- الضرب في معرفة لسان العرب 17- عدة الحافظ وعمدة اللافظ 18- العروض 19- الكافية الشافية 20- لامية الأفعال 21- المؤصل في نظم المفصل 22- مختصر الشاطبية في القراءات 23- مفتاح الأفعال 24- المقدمة الأسدية 25- منظومة في الصرف.

* **القسم الأول:**

- التسهيل وشروحه

أ- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد

توجد نسختان من المخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية.

وصف الأولى: رقمها 116، كاملة، 74 ورقة، الخط مغربي واضح جميل، مشكول بالأحمر، لم يرد ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ في المخطوط. في المقدمة دعوة المؤلف الناس إلى الاستفادة من كتابه التسهيل،

اللوحة رقم 6

نموذج: - أول المخطوط

- فهرس محتوى المجلد الأول والثاني

العنوان: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد

المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل

رقم المخطوط: 117 المكتبة الوطنية الجزائرية

وإنزاله منزلة رفيعة في قلوبهم تكون جديرة بالكتاب، وأن يحسنوا الظن بصحة ما جاء فيه، باجتناب الجدل، فإن الله قد منحه الاختصاص في الموضوع، فأضاف إليه ما عسر على كثير من المتقدمين.

أولـه: قال الشيخ الإمام العارف القدوة المحقق واحد عصره... حامدا لله رب العالمين ومصليا على نبيه خير المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين. هذا كتاب في النحو... (اللوحة رقم 1)

آخـره: صلى الله عليه وعلى آله عدد خلقه ورضا نفسه وزينة عرشه ومراد كلماته والحمد لله رب العالمين (اللوحة رقم 2).

وصف النسخة الثانية: رقمها 119، ناقصة، الثانية ضمن مجموع. خطها مغربي جميل، وهي مجموعة أوراق من نهاية المخطوط.

آخـرهـا: كمل كتاب التسهيل بحمد الله وعونه وتوفيقه.... على يد كاتبه عبد الرحمن بن عيسى بن امحمد بن اعمر اليعقوبي النسب البيضى الدار والمنشأ، كتبه للسيد بزيان بن عبد القادر بن خليل بن عثمان بن عبد الوافي الفجيجى (اللوحة رقم 3).

اللوحة رقم 7

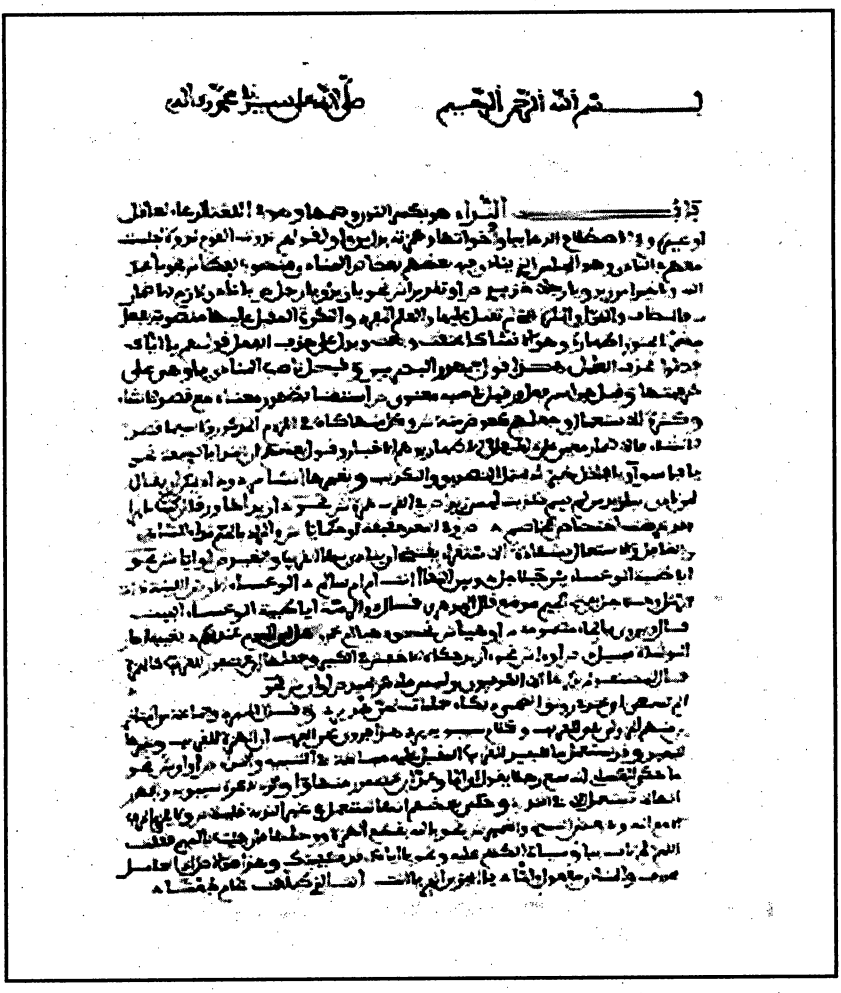

نموذج: بداية المخطوط

العنوان: المساعد على تسهيل الفوائد مج2

المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل

رقم المخطوط: 118 المكتبة الوطنية الجزائرية

ب ـ شرح التسهيل لابن عقيل:

هو بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عقيل، من علماء القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي. اشتهر بشرحه لألفية ابن مالك المعروف بشرح ابن عقيل، ألف ابن عقيل في النحو والفقه والتفسير. قال في مقدمة كتابه لشرح التسهيل لابن مالك: فهذا تعليق مختصر جمعته على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، للشيخ العلامة جمال الدين بن مالك، يسهل اقتناص سرائره ويعين على استخراج فوائده، ويتكفل بتكميل فوائده وتوضيح مقاصده، ومزجته بأصله حتى صار ككتاب واحد، ليكون هذا الكتاب على الحقيقة «تسهيل الفوائد» وجعلت بين الشرح والأصل، هيئة دائرة، لغرض الفصل، وإلى الله أرغب في أن يجعله بالنفع عائدا وعلى تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد مساعدا، فليلقب تفاؤلا بالمساعد على تسهيل الفوائد. وها أنا أبدأ لما ذكرت، بخطبة التسهيل معتمدا على الله، فهو حسبي ونعم الوكيل بسم الله الرحمن الرحيم قال ... (اللوحة رقم 4).

التعريف بمخطوطات ابن عقيل في شرح التسهيل لابن مالك

توجد في المكتبة الوطنية ثلاث مخطوطات:

- **الأولى:** وهي المجلد الأول من شرح التسهيل

رقمها: 117، الناسخ: أحمد بن عيسى، الخط: مغربي واضح، عدد أوراقها: 155.

اللوحة رقم 8

نموذج: نهاية المخطوط

العنوان: المساعد على تسهيل الفوائد

المؤلف : عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل

رقم المخطوط: 118 المكتبة الوطنية الجزائرية

أولـه: قال الشيخ ...عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل: أما بعد حمدا لله على نعمائه، والصـلاة والسـلام على خاتم أنبيائه، محمـد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين، فهذا تعليق مختصر جمعته على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد...

آخـره: تم السفر الأول من ابن عقيل، بحمد الله وحسن عونه، ويتلوه في أول السفر الثاني باب النداء، والصلاة والتسليم على سيدنا محمـد وعلى آله والحمـد لله رب العالمين (اللوحة رقم 5).

- **الثانية:** وهي المجلد الثاني من شرح التسهيل

رقمها: 118, الناسخ: أحمد بن عيسى، خطها: مغربي واضح، عدد الأوراق: 142

أولهـا: باب النداء، هو بكسر النون وضمها، وهو في اللغة الدعاء لعاقل أو غيره، وفي الاصطلاح، الدعاء بياء وأخواتها... (اللوحة رقم 7).

آخرهـا: تمت هذه التكملة، بعون الله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا، عـلى يـد عبد ربـه، وأحوجه إليه، عيسـى بن أحمـد. (اللوحة رقم 8).

اللوحة رقم 9

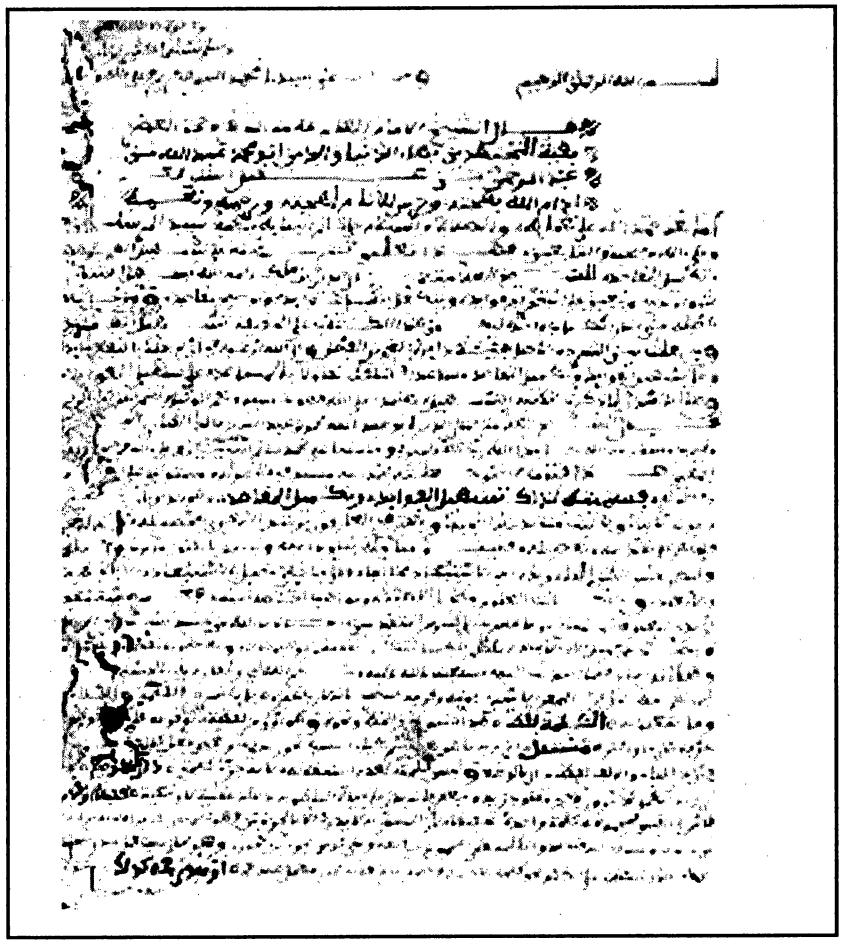

نموذج: بداية المخطوط

العنوان: المساعد على تسهيل الفوائد الجزء 1 و2

المؤلف : عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل

الرقم في المجموع: 3

رقم المخطوط: 700 المكتبة الوطنية الجزائرية

في بداية المجلد الأول، فهرس لمحتوى المجلد الأول والثاني جاء فيه:

هذه تراجم تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد للامام العلامة ابن مالك رضي الله عنه:

شرح الكلمة والكلام وما يتعلق به. إعراب الصحيح الآخر. إعراب المثنى والمجموع على حده. كيفية التثنية وجمعي التصحيح. المعرفة والنكرة. المضمر. العلم. الموصول. الإشارة. المعرف بالأداة. المبتدأ. كان وأخواتها. ما. المقاربة. إن وأخواتها. همزة النقل. الفاعل. النائب. الاشتغال. تعدد الفعل ولزومه. التنازع. المفعول المعلوم. المفعول به. الظرف. المفعول معه. المستثنى. الحال. التمييز. العدد. التاريخ. نعم وليس. حبذا. التعجب. أفعل التفضيل. اسم الفاعل. الصفة. المصدر. حروف الجر. القسم. الإضافة. التابع. التوكيد. النعت. البيان. البدل. النسق. النداء. الاستغاثة وشبهه. الندبة. أسماء لازمة النداء. الترخيم. الاختصاص. التحذير والإغراء. أبنية الفعل. همزة الوصل. مصادر الثلاثي. مصادر غيره. ما زيدت الميم في أوله. أسماء الأفعال والأصوات. نونا التوكيد. الصرف. إعراب الفعل وعوامله. التذكير والتأنيث. ألفا التأنيث. المقصور والممدود. التقاء الساكنين. النسب. أمثلة الجمع. التصغير. التصريف. الإبدال. مخارج الحروف. الإدغام. الإمالة. الوقف. الهجاء. انتهى تراجم الكتب. (اللوحة رقم 6).

- **الثالثة:** الجزء الأول والثاني

رقمها: 700، ورقمها في المجموع: 3، خطها: رقيق غير واضح، عدد الأوراق: 214

أولها: قال الشيخ الإمام العالم علامة الدهر وحجة العصر، بقية المجتهدين بهاء الدنيا والدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعي أدام الله بهجته، وحرس للأنام لهجته، ورحمه ونعّمه. أما بعد حمدا لله على نعائمه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين، فهذا تعليق مختصر، جمعته على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد... (اللوحة رقم 9).

آخرها: هذا آخر الكتاب والحمد لله أولا وأخيرا وظاهرا وباطنا، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم، عدد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، ورضي الله عن أبي بكر وعمر وعثمان، وعن سائر الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

كمل الجزء الثاني من شرح ابن عقيل على التسهيل، بتمامه كمل تجميع الديوان لأول شهر ذي القعدة من عام 1115، على يد كاتبه لنفسه ومن بعد من ذريته، أحمد بن مزيان الزواوي البتروني اليانيوى، لطف الله به اللطف الجميل، وجازاه في المقر والرحيل، وأتم الله له جميع مراداته آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما (اللوحة رقم 10).

اللوحة رقم 10

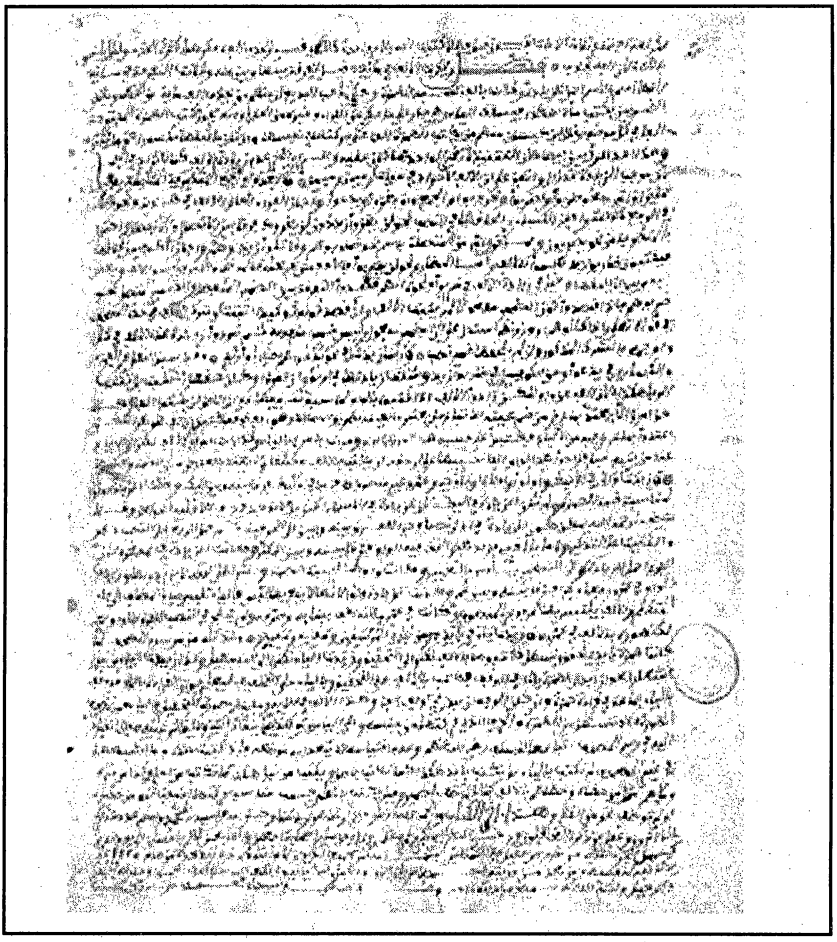

نموذج: نهاية المخطوط

العنوان: المساعد على تسهيل الفوائد

المؤلف : عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل

الرقم في المجموع: 3

رقم المخطوط: 700 المكتبة الوطنية الجزائرية

اللوحة رقم 11

نموذج: بداية المتن

العنوان: لامية الأفعال

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك

رقم المخطوط: 12 المكتبة الوطنية الجزائرية

*** القسم الثاني**

- مخطوط لامية الأفعال لابن مالك وشرحها للطنجي

أ- متن لامية الأفعال لابن مالك:

المخطوط جيد، مجلد، وكامل. يقع في خمس ورقات، يحتوي على مائة وأربعة عشر بيتا، بخط مغربي جميل، واضح بالأسود والأحمر، الناسخ هو عبد السلام بن الحاج علي طويشل.

أوله: قال الشيخ الإمام العالم الأستاذ النحوي اللغوي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك الطائي الأندلسي الحياني: الحمد لله لا أبغي به بدلا... (اللوحة رقم 11).

وفي آخره: كملت بحمد الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى (اللوحة رقم 12).

يحتوي الكتاب على خمسة أبواب رئيسية: 1- باب أبنية الفعل وتصاريفه. 2- باب أبنية الفعل المزيد فيه. 3- باب أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين. 4- باب أبنية المصادر. 5- باب المفْعَل والمفعِل ومعانيهما.

اللوحة رقم 12

نموذج: نهاية المتن

العنوان: لامية الأفعال

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك

رقم المخطوط: 12 المكتبة الوطنية الجزائرية

ب- الكوكب الجوال في شرح لامية الأفعال لمحمد بن محمد بن سعيد الطنجي الجزائري

ولد وعاش بمستغانم، تحدث في مقدمة شرحه عن فضل علم العربية، وعن اهتمامه بعلم التصريف واطلاعه على مؤلفات من سبقوه، من أجل ذلك قرر أن يسلك طريقهم، ويتفرغ للبحث، بطلب ممن لا يسعه رده، ولكنه لم يفصح عن هويته، ويذكر أنه حشّي من قبل لامية الأفعال، فحول ذلك إلى شرح جامع في هذا الكتاب، ثم يبين غرضه من التأليف يقول: (اللوحة رقم 13).

« وقصدي في هذا الكتاب النفع لنفسي وللمبتدئين، والتذكرة لأولي العلم المنتهين، وتعرضت لخوائص تراكيبها بحسب علم المعاني والبيان، والإشارة إلى أنواع الأساليب البيانية عند الحاجة إلى التبيان، من الاستعارة والكناية والمجاز اللغوي والعقلي وغير ذلك، مما سيوقف عليه إن شاء الله تعالى في أماكن من هذا الكتاب، منبها على أنواع التصرفات الأصولية الجلائية والخفائية من العام والخاص، والمبين والمطلق والمقيد، ودليل الخطاب وغير ذلك مما يتعلق بغصون الكتاب، فأبذلت جهدي في تسهيل موارده، وبينت فيه فوائد تبلغ اللبيب إلى مقاصده، وأركزت فيه من كل فن ألفاظ المتن خلاصة لباب اللباب، وجمعت فيه فوائد فتحت من كنوزه كل باب. وسلكت في تهذيبه أحسن المذاهب، وقرعت في التماس الإعانة باب الجواد الواهب، وخضت بحار فنونه، فاستخرجت دررها، وقصدت مدارة أفلاكه، فاقتطفت غررها، وجعلته بحول الله

اللوحة رقم 13

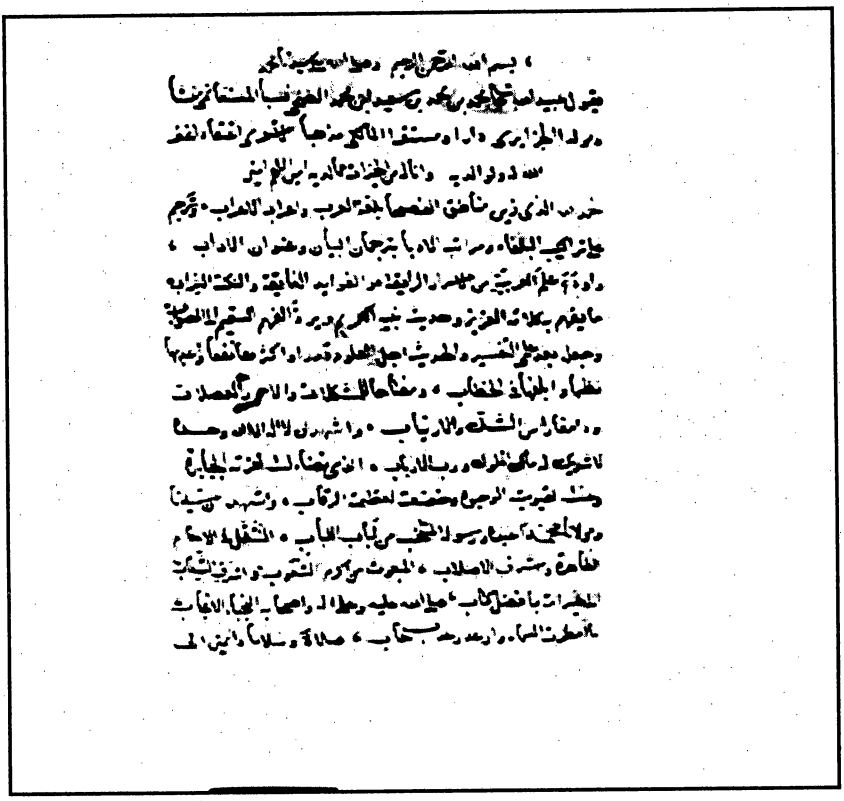

نموذج: من مقدمة المؤلف، صفحة يذكر فيها الغرض من التأليف

العنوان: الكوكب الجوال في شرح لامية الأفعال

المؤلف : محمد بن محمد بن سعيد الطنجي الجزائري

رقم المخطوط: 13 المكتبة الوطنية الجزائرية

وقوته رياضا أشجاره النكت الغراب، وثماره الأسئلة الموصلة إلى الصواب، فجاءت أشجاره بحمد الله يانعة، وثمارها غير متمانعة ظلها ظليل، والظافر بجنبها جليل، وسميته والله المعين وبه أستعين وعليه أتوكل وإليه أنيب: الكوكب الجوال في شرح لامية الأفعال. »

المخطوط جيد ومجلد لكنه ناقص. أوراقه مائتان وثمان، خطه واضح، لأحمد بن عثمان خوجة.

أوله: يقول عبد الله تعالى محمد بن محمد بن سعيد بن محمد الطنجي نسبا، المستغانمي منشأ ومولدا، الجزائري دارا ومستقرا، المالكي مذهبا...

الحمد لله الذي زين مناطق الفصحى بلغة العرب... (اللوحة رقم 14).

آخره: بحيث أنه لا يخفى وذلك لعدم إمكان صدور الفعل عن غيره، نحو أحل لكم صيد البحر.

اللوحة رقم 14

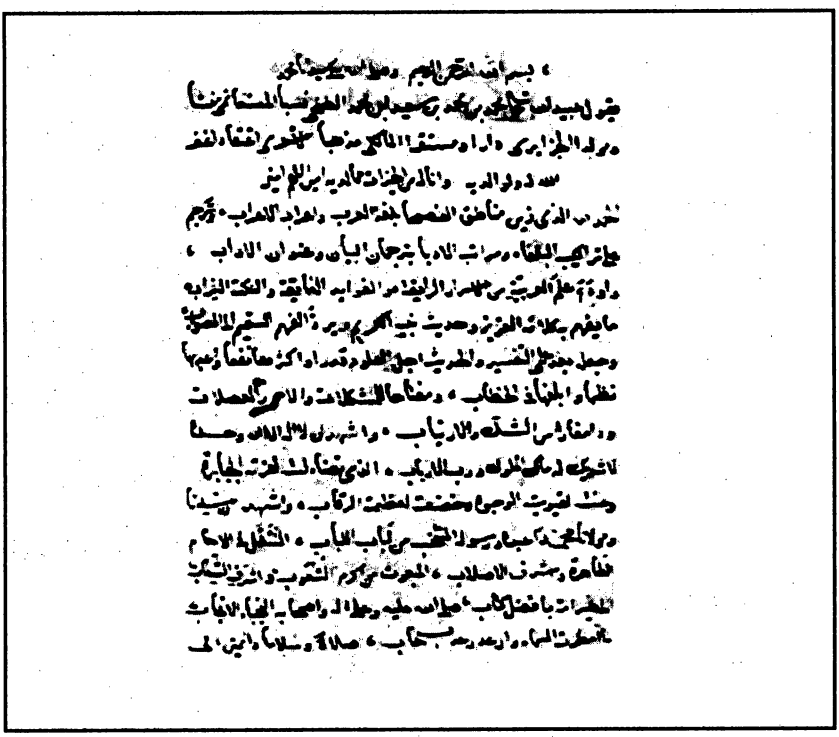

نموذج: بداية المخطوط

العنوان: الكوكب الجوال في شرح لامية الأفعال

المؤلف : محمد بن محمد بن سعيد الطنجي الجزائري

رقم المخطوط: 13 المكتبة الوطنية الجزائرية

*** القسم الثالث**

- مخطوطات متون ألفية ابن مالك في المكتبة الوطنية الجزائرية

إن الاشتغال بالنحو يستدعي الاهتمام بالنظم وشروحه وقد سبقت الإشارة في بحث سابق (العدد الخامس) إلى ذكر لظاهرة انتشار تداول الأجرومية في مجالس العلم في الجزائر ونتناول في هذا العرض متون الألفية من خلال النسخ الموجودة في المكتبة الوطنية. أما الشروح فسنفرد لها حلقة خاصة في عدد لاحق لأهمية الموضوع ولوفرة المخطوطات في المكتبة الوطنية.

توجد عدة نسخ لمتن الألفية، وفيما يلي عرض لعينة تتشكل من ثلاث مخطوطات مختلفة وهي:

1- المخطوط رقم 70

يتميز المخطوط بورقة لعنوان المتن ومؤلفه عليها حواشي في مواضيع عديدة، يتعلق أغلبها بمحتوى الكتاب (اللوحة رقم 15)، وفيما يلي عينة من تلك الحواشي على صفحة العنوان:

المثال الأول: قال بعضهم، أي بعض شراح ألفية ابن مالك عند قوله: وهبات وافرة، تنبيه، وصف هبات بوافرة وهو مفرد لتأويله بجماعة، وإن كان الفصيح: وافرات، لأن هبات، جمع القلة مما لا يعقل وفي العاقل مطلقا المطابقة.

اللوحة رقم 15

نموذج: للمخطوط صفحة عنوان وفيها تعليقات وهوامش.

العنوان: متن الألفية في النحو

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك

رقم المخطوط: 70 المكتبة الوطنية الجزائرية

المثال الثاني: ولبعض الأدباء في مدح الألفية:

لقد هتكت لحظي سهام لحاظها ما هتك اللخمي مذهب مالك

وصال على الأوصال بالهمّ قدها فأمست كأبيات بتقطع مالك

وقلدت إذ ذاك الهوى في مرادها كتقليد أعلام النحاة ابن مالك

خط مغربي واضح بالأسود والأحمر أوراقه منفصلة عددها تسعة وعشرون تنقصها الورقة الأخيرة.

أولـه: قال الشيخ الإمام الهمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي رحمه الله، قال محمد هو ابن مالك (اللوحة رقم 16).

2 المخطوط رقم 72

عدد أوراقه 28 على الورقة الثانية، هذه نسخة أخرى من ألفية ابن مالك، عدد أوراقها 28, خط مغربي مشكول بالأسود والأحمر، المخطوط كامل بدون غلاف على بعض أوراقه حواشي وتعليق على النص.

أولـه: قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك

(اللوحة رقم 17).

آخـره: وآله الغر الكرام البررة وصحبه المنتخبين الخيرة

(اللوحة رقم 18).

اللوحة رقم 16

نموذج: بداية المخطوط

العنوان: متن الألفية في النحو

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك

رقم المخطوط: 70 المكتبة الوطنية الجزائرية

اللوحة رقم 17

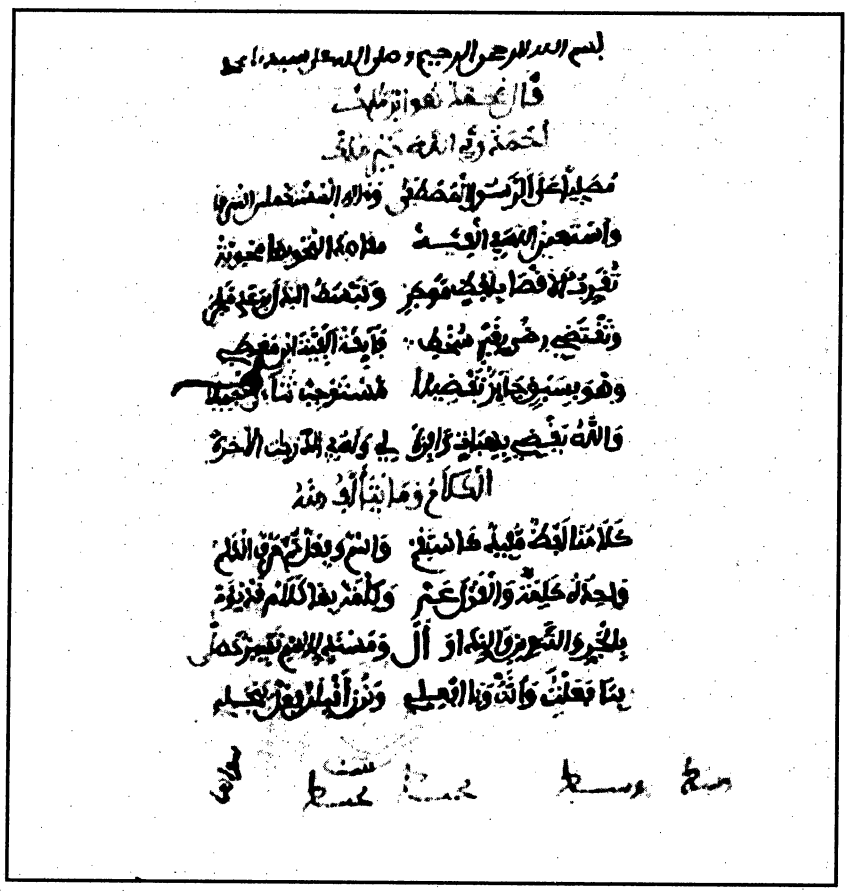

نموذج: بداية المخطوط

العنوان: متن الألفية في النحو

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك

رقم المخطوط: 72 المكتبة الوطنية الجزائرية

اللوحة رقم 18

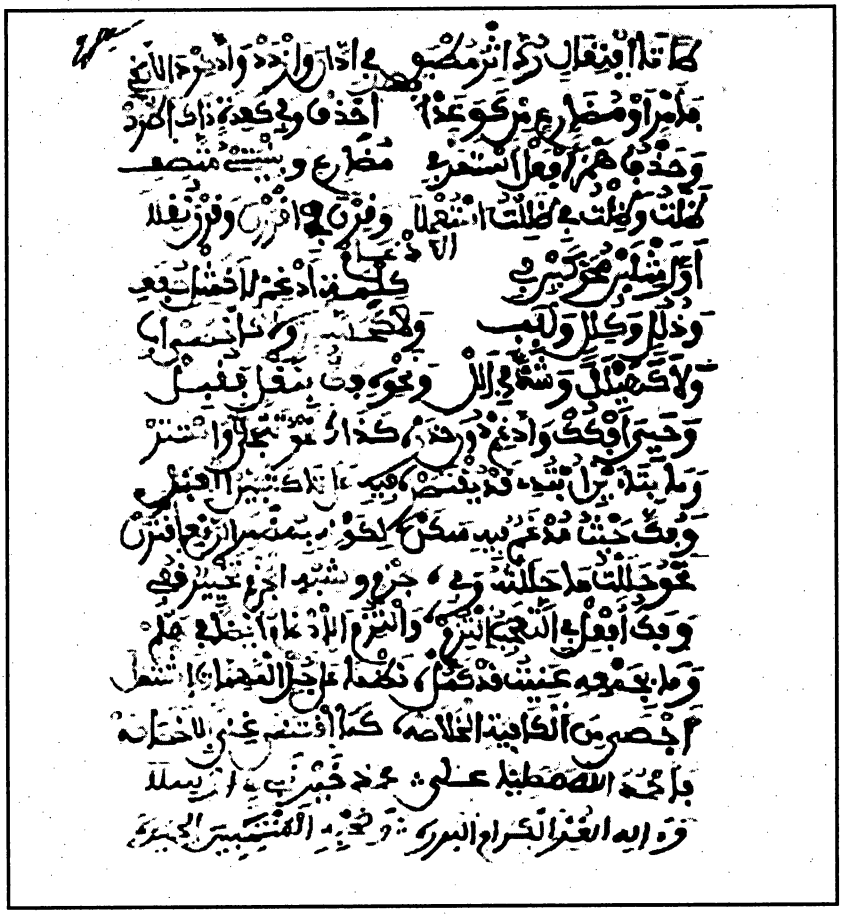

نموذج: نهاية المخطوط

العنوان: متن الألفية في النحو

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك

رقم المخطوط: 72 المكتبة الوطنية الجزائرية

3- المخطوط رقم 69

عدد أوراق المخطوط 25 تنقص الورقة الأخيرة، الخط مغربي مشكول واضح.

أوله: قال الإمام النحوي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الأندلسي رحمه الله وأسكنه دار الجنة بمنه وكرمه أمين.

قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك

(اللوحة رقم 19).

اللوحة رقم 19

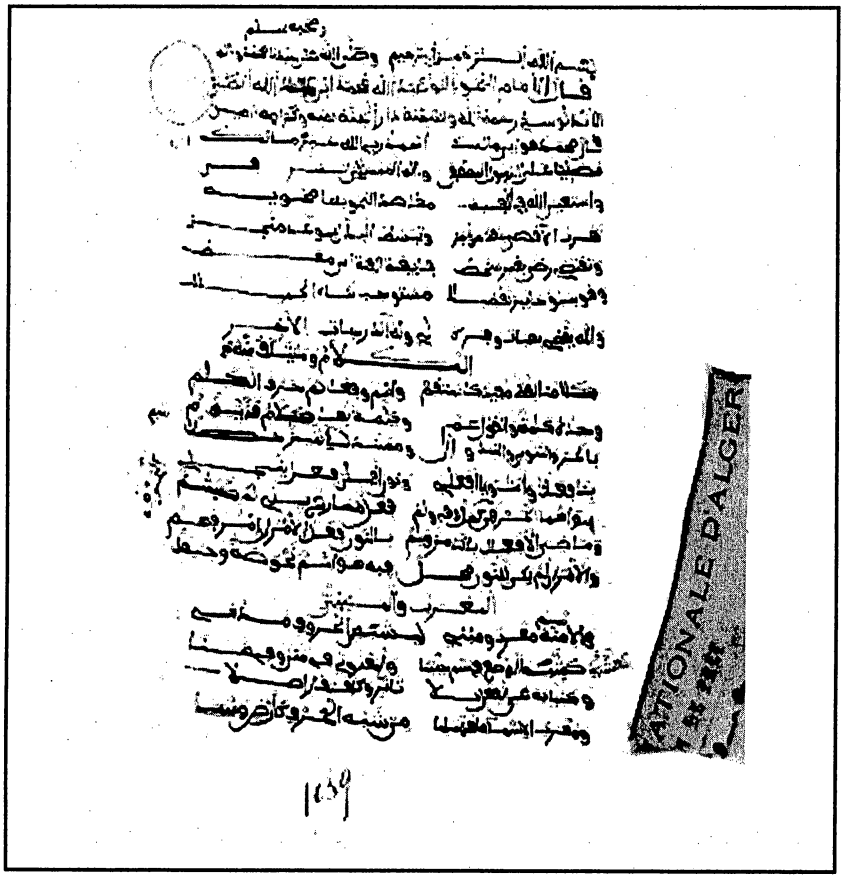

نموذج: بداية المخطوط

العنوان: متن الألفية في النحو

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك

رقم المخطوط: 69 المكتبة الوطنية الجزائرية

المصـادر المخطـوطة فـي المكتبة الوطنية الجزائرية

* ألفية ابن مالك النحوي محمد بن عبد الله الطائي.

رقم المخطوط: 70

نسخة أخرى: رقم المخطوط: 72

نسخة أخرى: رقم المخطوط: 69

* تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد / لابن مالك النحوي محمد بن عبد الله الطائي.

رقم المخطوط: 116

نسخة أخرى: رقم المخطوط: 119

الرقم في المجموع: 2

* الكوكب الجوال في شرح لامية الأفعال / لمحمد بن سعيد الطنجي الجزائري.

رقم المخطوط: 13

* لامية الأفعال / لابن مالك النحوي محمد بن عبد الله الطائي.

رقم المخطوط: 12

* المساعد على تسهيل الفوائد مج1 / لبهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل.

رقم المخطوط: 117

* المساعد على تسهيل الفوائد مج2

رقم المخطوط: 118

نسخة أخرى الجزء الأول والثاني

رقم المخطوط: 700

مصطلح العامل عند السكاكي
(ت ـ 626 هـ)
من خلال مفتاح العلوم

أ. علي فراجي.
أستاذ مكلف بالدروس بكلية العلوم الإسلامية.
قسم اللغة والحضارة ـ جامعة الجزائر.

مقدمة:

المصطلح لفظ جيء به ليدل على ما اتفق عليه من طرف القوم. ويأخذ المصطلح أشكالا متنوعة بتنوع الموضوع، وعليه فيوجد لدينا مصطلحات للعلوم الدينية، وأخرى للعلوم الدنيوية، وثالثة للعلوم الأدبية مع فارق بينها ذلك أن العلوم الدينية التي تشتمل على أمور شرعية هي «موضوعات الشارع وحده لا يتصالح عليها بين الأقوام». [1] ببساطة لأنها ليست من وضعهم بل من وضع الله الواحد لا شريك له.

وإذا كان ذلك كذلك فإن الاصطلاح « هو اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان

المراد. ويستعمل الاصطلاح غالبا في العلم الذي تُحصل معلوماته بالنظر والاستدلال». [2]

إن علم النحو من العلوم التي تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال، ذلك أن من أهم ما اتصف به من سمات قضية القياس الذي يعد «عملية فكرية يقوم بها الإنسان الذي ينتمي إلى جماعة لغوية، ويجري بمقتضاها على الاستعمال المطرد في هذه الجماعة. وهذه حقيقة من حقائق الاجتماع اللغوي التي تنبني عليها الاستعمالات اللغوية».[3] ومن هذه الاستعمالات «العامل» .

العامل كمصطلح نحوي هو تعلق الكلام بعضه ببعض حيث تؤثر الكلمة السابقة في اللاحقة تأثيرا ينشأ عنه تحقيق الغرض والمعنى المراد من عملية التخاطب.

نشأة العامل النحوي :

لقد أولى اللغويون دراسة العامل أهمية كبيرة سواء بإثباتها بأنها العمود الفقري للدرس النحوي، أو إنكارها تحت فرضيات متعددة. وقد أخذت هذه الدراسات تنمو وتتفرع على أيدي النحاة منذ نشأة فكرة إعراب القرآن على يدي أبي الأسود الدؤلي عن طريق نقط أواخر الكلمات فيه كما تؤكده أغلب الروايات. وفي اعتقادي أن عمل أبي الأسود الدؤلي هذا ـ أي إعراب القرآن ـ هو السبب المباشر في نشأة نظرية العامل. «وهو إنما وضع أول نقط يحرِّر حركات أواخر الكلمات في القرآن

الكريم بأمر من زياد بن أبيه أو ابنه عبيد الله. وقد اتخذ لذلك كاتبا فطنا حاذقا من بني عبد القيس وقال له: إذا رأيتني قد فتحت شفتيَّ بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت شفتيَّ فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتيَّ فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غُنَّة (تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين».[4] هذه العملية هي التي تسمى في الاصطلاح اللغوي بإعراب القرآن. وفرق بين وضع نقط الإعراب، ووضع قواعده . «ولكن المنطقي هنا والموافق لطبائع الأشياء أن تثير نقطُ الإعراب التي وضعها أبو الأسود كلاما وملاحظات عما هو مرفوع وعما هو منصوب وعما هو مجرور. وذلك الكلام ليس من السهل أن نتبينه، ولا أن نحدده، فقد ضاعت كل الآثار المادية التي تنير أمامنا الطريق في هذا إلاّ أنه من المقطوع به أن هذه الملاحظات لم تتناول مسألة العامل، أو الأسباب التي أدت إلى الرفع أو النصب أو الجر».[5] وعندما تحدث د/ شوقي ضيف عن صنيع أبي الأسود الدؤلي لم ينسب إليه رسم علم النحو، كما تحدث في المقابل عن صنيع علي بن أبي طالب وأنه هو من وضع علم النحو استنادا للمقدمة التي رآها القفطي(المتوفى سنة 646هـ) في أيدي الوراقين بمصر وفيها جزء من أبواب النحو والتي «يجمعون على أنها مقدمة علي ابن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي».[6] ولكن شوقي ضيف يستبعد ذلك كون علي بن أبي طالب عاش ظروفا لا تسمح له منطقيا في التفكير في وضع علم النحو يقول: «وكأنه لم يكن مشغولا حين ذهب إلى العراق والكوفة بإعداد

الجيوش لحرب معاوية ولا كان مشغولا بحروب الخوارج، إنما كان مشغولا بالنحو ووضع رسومه وأصوله وفصوله. وطبائع الأشياء تنفي أن يكون قد وضع ذلك».[7]. وربما تسألني وتقول: وما علاقة علم النحو بالعامل؟ والجواب إن نظرية العامل هي قوام علم النحو، لأن هذا الأخير ـ علم النحو ـ مختص في دراسة العلاقات بين الكلمات في الجملة، وهذه العلاقات ينظر إليها من الناحية الأفقية لا العمودية حسب الدراسات الحديثة لعلم اللسان. ولكن ليس معنى هذا أن الناحية العمودية لا دخل لها في إنشاء هذه العلاقات، وإن أهميتها تكمن في التباين الموجود بين كلمات الجملة إن في النوع كتكوينها من فعل واسم كقولك: «جاء الإمام» أو اسم وما يشتق من الفعل كقولك: «الإمام واقف» أو حرف واسم كقولك: «الطالب في القسم».

وتظهر لك ضرورة هذا التباين عند ما تكون الكلمات نوعاً واحدا لا تباين فيها كقولك في المثال الأول السالف الذكر «جاء جاء» أو «الإمام الإمام» أو «الطالب في في» فإنك بعدم هذا التباين لا تحصل على معنى يحسن السكوت عنده.

ثم تسألني مرة أخرى، وهل هذه النظرة موجودة عند النحاة الأوائل؟ وأقول لك نعم ولكن ليس عند علي بن أبي طالب، ولا عند أبي الأسود الدؤلي ولكن نجد ذلك عند عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي، وكان ذلك في القرن الثاني الهجري عندما نكتشف ما كان بينه وبين الفرزدق، عندما خطّأه في بعض أشعاره. من ذلك قوله:

ـ وَعَضُّ زمانٍ يا بنَ مروانَ لم يَدَعْ من المال إلا مُسْحتاً أو مجرَّفُ

«اعترضه، لرفعه قافية البيت وكان حقها النصب لأنها معطوفة ـ كما يتبادر ـ على كلمة «مُسحتا» المنصوبة، أو بعبارة أدق لأن القياس النحوي يحتم ذلك ويوجبه».[8]

فلولا النظرة الأفقية لابن أبي اسحق للتركيب، ثم اكتشاف أن ما بعد « أَوْ » يتبع ما قبلها في الإعراب ما خطأه، معنى ذلك أن «مجرف» متأثر بـ « يدع » بواسطة « أو» كما تأثرت «مسحتا» قبلها بـالفعل «يدع»، والتابع يتبع المتبوع في الإعراب.

هذه التخطئة إن دلت على شيء، فإنما تدل على دراية من ابن أبي إسحاق بالعامل وأثره في الكلام. كما خطأه في موضع آخر يصف رحلته إلى الشام في قصيدة مدح بها يزيد بن عبد الملك « وسمعه مرة يصف رحلته إلى الشام في قصيدة مدح بها يزيد بن عبد الملك على هذا النمط:

ـ مستقبلين شمالَ الشام تضربنا بحاصب كـنديف القطن منثـور

ـ على عمائمنا يلقى، وأرحلنـــا على زواحفَ تُزجى، مخُّها ريرِ

فقال له: أسأت إنما هو «مخُّها ريرُ» مشيرا بذلك إلى قياس النحو في هذا التعبير، لأنه يتألف من مبتدأ و خبر».[9].

هذه الملاحظات التي لاحظها عبد الله بن أبي اسحق على الفرزدق إن دلت على شيء فإنما تدل على أن أبا اسحق على دراية تامة بتعلق الكلمات بعضها ببعض أفقيا وبضرورة تباينها عموديا، حتى يكون للجملة معنى يحسن السكوت عنده.

إن تخطئة ابن أبي اسحق للفرزدق كانت مبنية على تعليل أو على سبب بحيث إننا نستطيع أن نعد مثل هذه الملاحظات إرهاصاتٍ لظهور نظرية العامل فيما بعد. هذه الملاحظات لم تقتصر على نحوي واحد بل كانت منهجية كل النحاة في ذلك الوقت، حيث نجدها عند عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة 149هـ، وكذلك عند أبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة 145هـ. الذي قال فيه ابن جني: «حكى الأصمعيّ عن أبي عمرو قال: سمعت رجلا من اليمن يقول: فلان لغوبٌ، جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول جاءته كتابي! قال: نعم أليس بصحيفة. أفتُراك تريد من أبي عمرو وطبقته وقد نظّروا، وتدربوا، وقاسوا، وتصرّفوا» (10).

كما هو معروف إن أوّل كتاب لغوي وصلنا هو «الكتاب» لسيبويه (المتوفى سنة 180هـ) ، فإننا نجد فيه كثيرا من المصطلحات اللغوية التي كان بدون شكٍّ قد نقلها عن أستاذيه الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى سنة 175هـ) «الذي سمّى علامات الإعراب في الأسماء باسم الرفع والنصب و الخفض وسمى حركات المبنيات باسم الضم والفتح والكسر أما سكونهما فسماه الوقف، وسمى الكسرة غير المنونة في مثل «مررت بعبد الله» باسم الجر، كما سمى السكون الذي يقع في أواخر الأفعال المضارعة المجزومة باسم الجزم». ويونس بن حبيب (المتوفى سنة 182هـ) الذي قال فيه القدماء: «كانت ليونس مذاهب وأقيسة تفرد بها». إذا كانت له أقيسة معنى ذلك كانت له تعليلات أي كانت له فكرة العامل.

ومع ذلك تبقى قضية نشوء المصطلح اللغوي صعبة التحديد، وفي اعتقادي أن المصطلح ينشأ في خط متواز مع العلم الذي ينتمي إليه ويخصه، إذ لكل علم مصطلحاته كما أشرت في المقدمة. وبما أن علم النحو متأخر في نشأته عن علوم كثير من بينها علم المنطق، فإن هذا الأخير قد ترك أثره في الدرس اللغوي، وبالتالي فلا عجب أن نجد بعض مصطلحاته فيه أي في الدرس اللغوي. وأخذا بمقولة التأثير والتأثر فإن لكل مصطلح أصول ومصادر.

وإني في هذا المقال أسلط الضوء على المصطلحات التي تقيم نظرية العامل عند أبي يعقوب يوسف السكاكي، الذي عاش حياته بين نهاية القرن الخامس الهجري وبداية القرن السادس الهجري، هذا من حيث الزمان. أما المكان فهو بلاد خوارزم التي لم يبرحها إلى منطقة أخرى. فيها ولد وفيها ترعرع واشتغل بالسكاكة ودرس على مشايخها بعد أن بلغ العقد الثالث من عمره حتى وفاته بها سنة 622هـ.

كانت خوارزم في وقته مدينة زاخرة بشتى العلوم؛ دينية وأدبية وطبيعية. فلا عجب أن يتأثر هذا الرجل بتلك السمات التي ميزت عصره، وأن يتميز بنظرة علمية طبعت علوم العربية التي فصّل فيها القول في كتابه " مفتاح العلوم" موظفا في ذلك كل معارفه خاصة تلك التي تخص علم الكلام والمنطق إلى جانب العلوم الشرعية. وبالتالي فلا عجب أن نرى في مؤلفه المشار إليه آنفا من المصطلحات ما له صلة بكل تلك العلوم وعلى رأسها المنطق.

أسس نظرية العامل عند السكاكي:

لعل أول نص وصلنا يتحدث عن العوامل هو قول سيبويه في باب مجاري أواخر الكلم من العربية، حيث يقول: «وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف. وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف. وإنما ذكرت لك ثمانية مجارٍ لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يُحدث فيه العامل ـ وليس شيء منها إلاَّ وهو يزول عنه ـ وبين ما يُبنى الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب».[11]

فالنص كما هو واضح يتحدث فيه سيبويه عن مجاري أواخر الكلم حين التركيب، فذكر علامات الإعراب والبناء، وعلاقة العامل بالإعراب والبناء.

أما في الإعراب فذكر العامل والأثر الذي تسبب فيه ـ أي العلامة ـ وهو قوله على سبيل المثال عن النصب «فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد» معنى ذلك يجب أن تقول: منصوب بكذا، وعلامة نصبه الفتحة، والحرف الذي عليه هذه العلامة الإعرابية، هو حرف الإعراب على حد قول سيبويه.

أما في البناء فتكتفي بذكر نوع البناء على آخر اللفظ كمرحلة أولى، وهي عملية وصفية ظاهرة، ثم تذكر أثر العامل فيه عن طريق الإعراب

المحلي، وهو كما ترى مجرد من حرف الإعراب. مثل قولك: «هُوَ مُجْتَهِدٌ» فهو مركب من وحدتين، الأولى من البناء «هو» والثانية من الإعراب «مجتهد» تقول في الأولى: «ضمير منفصل مبني على الفتح» وهذه هي العملية الوصفية، وهي المرحلة الأولى. ثم في المرحلة الثانية وتخص الإعراب تقول: في محل رفع مبتدأ، وتكون بذلك قد ذكرت أثر العامل فيه أي في الضمير المنفصل.

وعندما نبَّه ابن جني من أن الفاعل الحقيقي هو المتكلم في «باب في مقاييس العربية» فإنه لم ينكر بهذا التنبيه فكرة العامل كما يظن أو ظن البعض، ولكنه في اعتقادي يريد أن المتكلم هو الذي يتحكم في العوامل وليس العكس، حيث هو صاحب المعاني الموقورة في ذهنه. وعندما يريد إيصالها إلى الطرف الآخر، فهو الذي يختار الأسلوب المناسب والصيغة النحوية المناسبة، التي بدورها تحكمها قواعد معينة ومقررة، عليه بتوظيفها حتى يتسنى له أن يعرب عما في نفسه، وحتى كذلك يكون لخطابه معنى واضح في نفس المتلقي أو الطرف الآخر. «فأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه، لا لشيء غيره. وإنما قالوا: لفظيّ ومعنويّ لمّا ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامّة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ».[12]

لقد تناول السكاكي نظرية العامل في إطارها العام، على أنها الأساس الذي يقوم عليه علم النحو إذ يقول: « ضبط ما يفتقر إليه علم النحو: وهي أن تلك الهيئات التي يلزم رعايتها على تفاوتها بحسب المواضع

وجهة التقديم والتأخير، منحصرة بشهادة الاستقراء في أنها اختلاف كلم دون كلم اختلافا لا على نهج واحد، لاختلاف أشياء معهودة. فيظهر من هذا أن الغرض في هذا الفصل إنما يحصل بضبط ثلاثة: القابل والفاعل والأثر. فلنضمنه ثلاثة أبواب، أحدهما في القابل وهو المسمى عند أصحابنا معربا، وثانيهما في الفاعل وهو المسمى عاملا، وثالثهم في الأثر وهو المسمى إعرابا. ولا يذهب عليك أن المراد بالقابل ههنا هو ما كان له من جهة اقتضاء للأثر فيه من حيث المناسبة، وبالفاعل هو ما دعا الواضع إلى ذلك الأثر أو كان معه داعية له إلى ذلك، وإلاّ فالفاعل حقيقة هنا هو المتكلم».[13] والسكاكي في هذا متأثر بابن جني، لأنه حذا حذوه في هذه المسألة ألا وهي العامل المتكلم فهو مثله يرى أن العامل الحقيقي هو المتكلم.

لقد انطلق السكاكي في حديثه عن نظرية العامل من ضبط الهيئات وعلاقاتها ببعضها أثناء الكلام «لأن الكلام لا يستقيم، ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد إلاّ بمراعاة أحكام النحو التي هي، الإعراب والترتيب الخاص.»[14] وهذه العلاقة التي يحكمها الترتيب الخاص، الذي يكون بين العامل والمعمول، وذلك حسب المواضع، وجهة التقديم والتأخير. هذا الإطار الذي توجد فيه نظرية العامل عند السكاكي نجده عند علماء اللسان الوظيفيين، لأنهم يرون أن النحو يقوم أساسا على النظر في الوسائل التي بها يمكن وسم العلاقات الموجودة بين الهيئات في الكلام، وذلك بتحديدعلاقة كل

عنصر ببقية عناصر القول في الكلام وذلك بالاعتماد على مبدأي العلاقة والرتبة.

وهنا تظهر خبرة المتكلم في ترتيب هذه الوحدات في سياق القول، وربما هذا الذي ترجمه السكاكي بقوله: «وهي أن تلك الهيئات التي يلزم رعايتها، على تفاوتها بحسب المواضع وجهة التقديم والتأخير. منحصرة بشهادة الاستقراء في أنها اختلاف كلم دون كلم اختلافا لا على نهج واحد، لاختلاف أشياء معهودة».[15] إن ظاهرة الإعراب ونظرية العامل مرتبطان فيما بينهما ارتباطا قويا، إنهما وجهان لعملة واحدة هي علم النحو. والإعراب هو المحور الأساس الذي بُنيت عليه أهم أصول نحو اللغة العربية، « من العلوم الجليلة التي خُصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يُعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيِّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، و لا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولانعت من تأكيد...» [16] ولقد بدا أثر المنطق واضحا في طرح السكاكي لنظرية العامل حيث نجد أثر التقسيمات اللغوية التي جاء بها أرسطو في دراساته والتي مزج فيها النحو بالمنطق، ومن تلك التقسيمات التي سلف ذكرها: الفاعلية، والقابلية.

ولأن تغير الحركات في أواخر الكلمات التي يدخلها الإعراب لا يأتي بلا سبب، والسبب الأصل فيه أن يسبق الكلمة المعربة فسمى السابقَ فاعلا، ولم يسمه عاملا. «لأن العامل من يعمل على الدوام وإن قل،

والفاع لأعم منه» .[17] ولأن الفاعل عند السكاكي إلى جانب هذه العوامل، المتكلم كونه المحدِث له. والكلمات حين يضم بعضها إلى بعض ويحصل الائتلاف، يحصل التركيب ويسمى كلاما، وجملة. كقولك: «انطلق زيد» و «زيد منطلق» و «يا زيد». ويظهر لك من الجمل السالفة الذكر أن الائتلاف إنما يحصل بين الاسم والفعل، وبين الاسمين، وبين الاسم والحرف. ففي هذه الجمل لفظة «زيد» اختلف حكمها من جملة إلى أخرى: ففي الأولى هي «فاعل» وفي الثانية هي «مبتدأ» وفي الثالثة هي «منادى». هذا الاختلاف إنما حدث لاختلاف أشياء معهودة، وهذا بعد ما رأى أن الإعراب بالحركات عوارض للكلام تتغير بتبدل التركيب على نظام فيه شيء من الاطراد. ومنهم من عبر على هذه الظاهرة بقوله:«عرض حادث لا بد له من محدث، وأثر لا بد له من مؤثر، فكانت العوامل».[18]

فالفعل عامل وهو عامل لفظي، والابتداء عامل وهو عامل معنوي، وحرف النداء عامل وهو عامل لفظي. وبهذا يكون السكاكي قد أحاط بالحدود العامة لكيفية البناء اللغوي، وذلك بتحديد الطرق في كيفية تعليق الكلم بعضها ببعض، وعليه ينبغي معرفة الوسائل التي تنشأ عنها اختلافات في البنية اللغوية، ومعرفتها إنما يكون بالإحاطة بنظرية العامل التي يجعلها العمود الفقري الذي يقوم عليه علم النحو حيث يقول: «فيظهر من هذا أن الغرض في هذا الفصل ـ علم النحو ـ إنما يحصل بضبط ثلاثة: القابل، والفاعل، والأثر».[19] أما القابل فهو الاسم المعرب،

والفاعل هو العامل، والأثر هو الإعراب. وإنما قال: قابل وفاعل وأثر، تأثرا بالمنطق الأرسطي.

1) القابل (المعرب)

لقد سمَّى السكاكي المعرب القابل وحدده كما يلي: «اعلم أن ليس كل كلمة معربة، بل في الكلم ما يعرب وفيها ما لا يعرب، ويسمى مبنيا. فلا بد من تمييز البعض عن البعض، ويتعين أحدهما بتعيين الآخر، والمبني أقرب إلى الضبط فلنعينه يتعين المعرب».[20] من خلال هذا التحديد تتضح لنا في البداية النزعة المنطقية في معالجة الموضوع، إذ كانت الانطلاقة من تمييز ما لا يعرب من ما لا يدخله الإعراب، لأنه أقرب إلى الضبط وكذلك الوصف الدقيق للكلم من حيث قابليتها الأثر (الإعراب) وهو بهذا التحديد يكون قد ضبط من الكلم المعرب بالأصالة وبالتقدير، فما ظهر فيها الأثر فهي المعربة بالأصالة، وما لم يظهر عليها الأثر لسبب خارج عنها فهي المعربة بالتقدير: الأولى نحو قولك: « جاء الولدُ.» و « رأيت الولدَ » و « سلمت » سلمت على الولدِ » و في الأخرى نحو قولك: « جاء صديقي» و « رأيت صديقي» و « سلمت على صديقي ». إن لفظة « صديقي » رغم جريانها في الظاهر على أثر واحد في الحالات الثلاثة، إلاّ أنها معربة. وعدم ظهور الأثر الإعرابي سببه اتصالها بالمضمر(ياء المتكلم)، وهو ليس من الكلمة، وهو كذلك سبب خارج عنها لأن حد الكلمة هو « القاف » وليس« الياء».

وما لا يظهر عليه الأثر الإعرابي لأنه لا يتحمله لسبب منه فهو المبني نحو قولك: « نجح هذا الولد » و « رأيت هذا الولد » و « مررت بهذا الولد» إن الكلمة « هذا » لم تقبل الأثر الإعرابي، لسبب في طبيعة الكلمة. يبقى أن نعرف أن من كلا النوعين:المعرب والمبني، يتشكل كلامنا الموضوع لمعنى.

كما نستنتج من التحديد السالف الذكر للقابل أن الأغلبية الساحقة للكلم في العربية معرب، وذو دلالة معجمية، وأما المبنية فإن أغلبها لا يدل على معنى معجمي لأنه منحصر في الكلم التي لها دلالة صرفية، كون لكل وحدة صرفية دلالة.

والقابل لا يشمل المبني، لأنه وببساطة غير قابل للأثر الإعرابي لعلة فيه؛ كونه فعل ماض، أو فعل أمر، أو مضمرا، أو مبهما. . . إلخ، من المبنيات.

وبهذه الكيفية باللجوء إلى طريقة الخلاف يعين السكاكي القابل، الذي يأتي منه النوع الفعلي والنوع الاسمي.

ثم ما هو القابل الذي يريد السكاكي من خلال التحديد السالف الذكر؟ إنه القابل الذي يتوفر فيه شرط الاقتضاء. « ولا يذهب عليك أن المراد بالقابل ههنا هو ما كان له من جهة اقتضاء للأثر فيه من حيث المناسبة.» [21] ويجدر بنا هنا أن نقف عند مصطلح «اقتضاء » وماذا يريد به السكاكي، خاصة وأنه ذكره هكذا عن طريق اسم المصدر الدال على الحدث مجردا من الزمن. هذا التجريد يدل على ما يتألف منه الاقتضاء

وهما المقتضِي وهو العامل الإعرابي والمقتضَى المعرب أما الأول فهو المؤثِّر والآخر هو المتأثِّر. مع أن «الاقتضاء يرد في اللغة بمعنى الطلب أو الاستيجاب أو الدلالة، والمقتضي هو الطالب للشيء». [22] وللاقتضاء مفهومان أحدهما لغوي والآخر نحوي. أما اللغوي فيكون في الأسماء التي إذا ما ذكرت ورد في ذهن السامع ما يستلزمها مثال ذلك «طالب»، فهو يقتضي أساتذة وعلم وجامعة. مع فارق بين اللزوم والاقتضاء، «وأما الاستلزام فهو عبارة عن امتناع الانفكاك فيمتنع فيه وجود الملزوم بدون اللازم، بخلاف الاقتضاء، فإنه يمكن وجود المقتضى بدون مقتضاه».[23]

أما النحوي فقد تحدث عنه السكاكي في تحديده لوجهي الإعراب، يقول: «ثم إن المعرب في قبوله الإعراب على وجهين: أحدهما: أن يكون بحيث لا يقبله إلاَّ بعد أن يكون غيره قد قبله، والثاني: أن لا يكون كذلك. والوجه الأول من النوع الاسمي خمسة أضرب تسمى التوابع وهي: صفة وعطف بيان ومعطوف بحرف وتأكيد وبدل ... والوجه الثاني من وجهي المعرب من النوع الاسمي تسعة عشر ضربا؛ ستة في الرفع... وأحد عشر في النصب... واثنان في الجر. ومن النوع الفعلي ثلاثة أضرب:

ما ارتفع وانتصب وانجزم، لغير العطف والتأكيد والبدل».[24] أو كما مثله ابن يعيش في شرح المفصل، وكما جاء عن د/ فخر الدين قباوة: «ففي مثل قول ابن يعيش: « ألا ترى أن الضرب والقتل يقتضيان

مضروبا و مقتولا؟ ... وكل واحد من أفعال الحواس يقتضي مفعولا، مما تقتضيه تلك الحاسة. فالبصر يقتضي مُبْصَراً، والشم يقتضي مشموماً، والسمع يقتضي مسموعاً. فكل واحد من أفعال هذه الحواس يتعدى إلى مفعوْل، مما تقتضيه تلك الحاسة.» يضاف إلى ذلك ما يكون من زمان ومكان وسبب وغاية وآلة ومصاحبة وبيان». [25]

وللحركة دور كبير في التمييز بين نوعي الاسمي، إذْ بها نميز بين المنصرف الذي يقبل الحركة مع التنوين، وغير المنصرف الذي لا يقبل الحركة مع التنوين، إضافة إلى هيئة الكلمة كونها ممنوعة من الصرف لعلة أو لعلتين. كما أن للحركات الإعرابية دورا في تحديد معاني الألفاظ داخل التركيب، لأنها الظواهر اللغوية التي تستند عليها البنية النحوية. «وتستند في اللغة العربية زيادة على الحركات الإعرابية التي تؤدي دورا مهما في تحديد معاني الكلمات داخل التركيب الذي ترد فيه».[26] وفي النهاية حاصل القابل عند السكاكي خمسة وعشرون نوعا، واحد يخص الفعل المضارع، والباقية من الأسماء. وأن القابل نوعان؛ نوع يقبل حركة العامل، ونوع لا يقبلها لعلة ليست منه، ولكنها تقدر في عقولنا على حرف الإعراب احتراما للعامل فيه، ولقوانين العملية التركيبية بين الكلم. وتبقى الصفة المشتركة بين النوعين، هي قبول الفاعل «العامل» والتأثر به إما ظاهرا أو غير ظاهر، هذا الأخير يكون مع الابتداء في التركيب الإسنادي الاسمي، نحو: « السماء صافية » والخلو في التركيب الإسنادي الفعلي الذي فعله مضارع نحو « ينمو الرضيع» ولكون المعرب

يقبل العامل ويتأثر به نعته السكاكي « بالقابل» وهو مصطلح في اعتقادي مرتبط بالوصف.

لم يدرج السكاكي في القابل بالأصالة من الأسماء المنصرفة « نائب الفاعل»، لأنه تناوله باعتبار الوظيفة في السياق، التي هي القيام بالفعل بالنيابة على وجه المجاز لا الحقيقة، وذلك لطبيعة الفعل الذي لم يُسمَّ فاعله، هذا في المرفوع. أما في المنصوب فقد جمع المفاعيل؛ المطلق، له، فيه، به. تحت عنوان واحد وهو المفعول، وذلك باعتبار العلاقة التي تربطها بالفعل من حيث الوقوع، والإخبار، ومن أجل ذلك لم يدرج معها المفعول معه، لأن العامل فيه عنده واو المعية وليس الفعل. يقول: «وضرب لا ينصب أينما وقع، بل ينصب في موضع ولا ينصب في آخر، ويجوز فيه الأمران في ثالث. وهو حرفان: «الواو» بمعنى «مع» و «إلاَّ» في الاستثناء. فإن الواو إذا تقدمها فعل أو معناه ولم يحسن حملها على العطف نصبت، كنحو: « ما صنعت وأباك» و « ما شأنك وعمرا». وإذا لم يتقدم ذلك لم تنصب نحو: « كيف أنت وزيد» فيمن لا يؤوله على: «كيف تكون أنت» وهم الأكثرون. وعلى مذهب القليل جاء: « ما أنا والسير في متلف» وإذا تقدم مع حسن العطف جاز الأمران وإن افتر العطف على الرجحان. هذا كله عند من لا يقصر النصب بالواو على السماع، ويسمى هذا المنصوب مفعولا معه.»[27] ومن أجل هذا أخرج السكاكي المفعول معه من زمرة المفاعيل الأخرى، وعليه كانت حصيلة القابل عند السكاكي خمسة وعشرين.

إن السكاكي في وصفه للقابل يعتمد طريقة التفريع القائمة على جملة من الثنائيات، وهي: القابل يتكون من ثنائية هي: معمول بالأصالة ومعمول بالتبعية « المعرب في قبوله الإعراب على وجهين، أحدهما أن يكون بحيث لا يقبله إلاَّ بعد أن يكون غيره قد قبله. و الثاني أن لا يكون كذلك».[28] المعمول بالأصالة يتكون من ثنائية هي: الفعل والاسم. « وأنه نوعان: نوع من الأسماء، وهو يختص بالرفع والنصب والجر، ونوع من الأفعال، وهو ما يختص بالرفع والنصب والجزم».[29]الاسم المعمول بالأصالة يتكون من ثنائية هي: منصرف وغير منصرف. «النوع الاسمي صنفان:

صنف يقبل الحركات مع التنوين، ويسمى منصرفا، وصنف لا يقبلها مع التنوين ويسمى غير منصرف».[30] ومن حصيلة التفريع نستنتج ما يلي:

ـ أن الاسم معمول بالأصالة، والفعل معمول بالشبه بالاسم ومتطفل عليه.

ـ الفاعل أصل في الرفع، والمفعول أصل في النصب، والمضاف إليه أصل في الجر. وهذه هي مدار الكلام، الكائن على ثلاثة معان: الفاعلية والمفعولية و الإضافة، ولكل علامته، وكلها وظائف نحوية تتوسط العامل والمعمول.

2) الفاعل (العامل)

القطب الثاني الذي ترتكز عليه نظرية العامل هو « العامل» ويسميه السكاكي «الفاعل»، كما يذكره بلفظ العامل. وفي تحديده يقول: «... وبالفاعل هو ما دعا الواضع إلى ذلك الأثر أو كان معه داعية له إلى ذلك، وإلاّ فالفاعل حقيقة هنا هو المتكلم».[31] وقبل أن يحدد عمل الفاعل انطلق من نقطتين هامتين:

أما الأولى فهي ماهية الفاعل، وهو في هذا لم يخرج عمن سبقوه. حيث جعله مثلهم لفظيا ومعنويا، واللفظي يكون اسما أو فعلا أو حرفا، إنه في الجملة أربعة أنواع. «فينحصر العامل في أربعة أنواع كما ترى».[32] والأصل في العمل للأفعال دون الأسماء و الحروف، لأنه أقواها ومؤثر في غيره دوما بدون تقوية. «لأن المؤثر يلزم أن يكون أقوى من المتأثر، والفعل أقوى الأنواع من حيث المناسبة لكونه أكثر فائدة لدلالته على المصدر وعلى الزمان».[33] ونستنتج من هذا التحديد ما يلي:

1 ـ هناك قانون عام في طرق التعليق بين الكلم طبقا للأبواب النحوية يشكله أنواع الفاعل؛ السكاكي في هذه الفكرة متأثر بعبد القاهر الجرجاني، صاحب نظرية التعليق في النظم، ولكنه ـ السكاكي ـ ربط فكرة التعليق بدرجة التأثير والتأثر، التي تحدث بين الفعل والاسم وبينهما والحرف.

وبهذا يكون السكاكي قد سبق اللغويين المحدثين الذين يرون أن نحو اللغات يدرس طرق تأليف الكلمات في الجمل، ويضع طرائق

تركيبها، كما يحدد أبعادها من حيث المدلول الشكلي للوحدات اللغوية، الذي تتوقف عليه عمليات التركيب.

2ـ هذا التأليف يحدث بمضامة الكلمات بعضها إلى بعض، وفق ترتيب خاص فيحدث أن تؤثر الكلمة السابقة في اللاحقة، وتعلق هذه الأخيرة بالسابقة .

3 ـ هذا التأثير ليس على درجة واحدة من القوة، فهناك كلمات أقوى في التأثير من أخرى، وهذا راجع إلى تنوعها من جهة وتنوع التعليق من جهة أخرى،علما أن التعليق يكون على ثلاث طرق: فهناك تعليق اسم باسم، وتعليق فعل باسم، وتعليق حرف بهما.

والسكاكي إذ يسمي العامل فاعلا تأثرا بأصحاب المنطق،لأن المتكلم في الحقيقة هو من فعل الرفع، أو النصب، أو الجر، أو الجزم، بواسطة أدوات هي العوامل، ويظهر هذا في قول أحدهم للآخرعند قوله: « زيدٌ منطلقٌ » بم رفعت زيدا؟ أي بم فعلت الرفع في «زيدٌ». فيكون الجواب، بالابتداء، أي بواسطة الابتداء المستعمل كأداة. أما الذي فعل فهو المتكلم، الذي كما يفعل الرفع، يفعل كذلك النصب والجر والجزم فهو ـ أي الفاعل ـ يتسم بالعموم .أما الابتداء، فهو العامل المعنوي الذي لا يعمل إلاّ الرفع في الأسماء. وبهذا نستنتج أن الفاعل أعم من العامل، ومصطلح الفاعل عند السكاكي مرتبط أشد الارتباط بالمتكلم، ويبرز دوره ـ أي المتكلم ـ جليا حين نضطر إلى تقدير العوامل في كثير من المواضع، لأنه هو الذي يجلب العامل المناسب لجمله حتى تكون

صحيحة وفق القواعد النحوية المقررة، لتأدية المعنى المراد. أما مصطلح العامل فهو مرتبط بالمعنى الوظيفي، من رفع ونصب وجر وجزم.

تناول السكاكي للفاعل كان مما عُرف عن المدرسة البصرية، لأنه متأثر بها إلى درجة أنه في كثير من المواقف يكني عنها بلفظة " أصحابنا". لكنه في حديثه عن الفاعل لم يذكر عدده كما فعل قبله عبد القاهر الجرجاني، وفي هذا إشارة منه إلى أننا أمام لغات ولكل لغة نظام عمل وهو قد آثر لغة الاتجاه البصري. وهو في هذا السلوك كسائر النحاة الذين سبقوه شعارهم في ذلك إنما قلت كذا، أخذا بلغة هذه أو بتلك القبيلة.

ينتقل السكاكي بعد تحديده وتعريفه لمصطلح الفاعل، إلى الحديث عن أنواعه: اللفظي الفعلي والحرفي والاسمي والمعنوي، والمنهجية المتبعة في حديثه عنه هي نفسها التي اعتمدها في حديثه عن مفهوم علم النحو وعن القابل بعده. لقد بنى مفهومه للفاعل على جملة من الثنائيات، كتلك التي بنى بها مفهومه لِلقابل. وهو في هذا يتميز بالدقة في تحديده للعناصر التي تكون فاعلا، كما كان تصنيفه للفاعل متسلسلا و محكما في التقسيم والتنظيم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أثر ثقافة وحضارة ونتيجة فكر وتعميق نظر وإحاطة فهم، وهو في هذا كله متأثر بما ورد في « العوامل المائة النحوية » لعبد القاهر الجرجاني لكنه أكثر تفصيلا وتوضيحا، بل وتطويرا لنظرية العامل وبالتالي مبتكرا.

من تلك الإضافات التي تراءت لي على سبيل المثال، تحديده للفاعل المعنوي فهو عنده ضربان: أما الأول «التزامي، وذلك أن تأخذ معنى فعل

من غير الفعل، لدلالة له عليه وأنه يرفع إذا كان المأخوذ منه جملة ظرفية ومعتمدة على أحد الأشياء الخمسة، كنحو: « هل في الدار أحد؟ »، «وما عندنا شيء» و﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ ﴾.[34] و « لقيته عليه جبة وشي » و « زيد له فرس هو الأعرف ».[35] والثاني ليس التزامي، وأنه «شيئان: أحدهما الابتداء وأنه يرفع المبتدأ والخبر».[36] هذا في الجملة الاسمية « وثانيهما صحة وقوع الفعل المضارع موقع الاسم فإنها ترفعه».[37] كما لم يجعل اهتمامه منصبا على أثر الفاعل في القابل من حيث الحركة الإعرابية فحسب، بل اهتم بدلالة الفاعل وما يحدثه في التركيب من أثر في المعنى بمضامة الكلمات بعضها إلى بعض وفي ترتيبها. وما إدراجه للاسم الفاعل الجزمَ في الفعل المضارع إلاّ دليل على ذلك، وهذا ما نراه في أسلوب الشرط. بيد أن عبد القاهر الجرجاني في كتابه « العوامل المائة » يجعل ما يجزم فعلين في خانة ما يجزم فعلا واحدا، ولا يخفى علينا أن الأولى ـ ما يجزم فعلين ـ أغلبها أسماء، والثانية كلها حروف.

وهذه في اعتقادي أن عبد القاهر الجرجاني كان اهتمامه منصبا على ما يحدث الحركة الإعرابية فقط في ما يخص الفاعل، وقد أضاف السكاكي لهذه الرؤية اهتمامه بالأدوات التي بها نفعل الجزم في الفعل المضارع والمسماة أسماء الشرط، والتي لها معاني غير المعاني التي في الحروف.

وقد رتب السكاكي الفاعل اللفظي ترتيبا منطقيا حسب درجة قوة العمل، فقدم الفاعل الفعلي كونه «أقوى الأنواع من حيث المناسبة لكونه

أكثر فائدة، لدلالته على المصدر وعلى الزمان. وعندهم في تقريرهم فيقدمون الفعل في باب العمل».[38] ثم الاسمي ثم الحرفي اللذان لا يعملان إلاّ بتقويتهما به.

أ) الفاعل اللفظي الفعلي:

الفعل يعمل الرفع والنصب فقط، وهو يعمل متقدما ومتأخرا، والأصل في الفاعل أن يلي الفعل، وأن لا يخلو الفعل عنه. ولامتناع خلوه عن الفاعل، إذا بُني الفعل للمجهول أقيم المفعول به المنصوب مقام الفاعل « إذا ظفر به في الكلام، وإلاّ فالمجرور أو المفعول فيه أو المطلق على الخيرة، لكن يلزم وصف المطلق والمفعول فيه إذا كان مبهما استحسانا، هذا بعد الاحتراز عن المفعول الثاني في باب علمت أبدا وستحققه، والثالث في باب أعلمت، فإنه ليس غير ذلك».[39]

وقد تعرض السكاكي في ثنايا حديثه عن طريق عمل الفعل في جملته إلى ما يسمى في اللسانيات الحديثة بالبنية العميقة والسطحية بشكل واضح. إذْ نعت الفعل بأنه يرفع الفاعل مقدما ومؤخرا نحو: «ضرب زيدٌ غلامَهُ» و « ضرب غلامَهُ زيدٌ» وفي هذه الأخيرة تقدم المفعول به على الفاعل الذي خصه السكاكي بالتحديد التالي «والأصل فيه أن يلي الفعل. فإذا قُدّم عليه غيره كان في نية المؤخر، ومن ثمة جاز « ضرب غلامَه زيدٌ».[40] والحديث هنا عن الفاعل، ويجدر بنا هنا أن نتوقف قليلا عند قوله:

(كان في نية المتأخر) . ويقصد بالذكر المفعول به، وهذه إشارة واضحة منه إلى التفريق بين البنية السطحية والبنية العميقة بمفهوم اللسانيات الحديثة. أما السطحية فهي الكلام المنطوق، والذي تمثله الجملة الأصلية، ذات الترتيب الأصلي لعناصرها.

وأما البنية العميقة فهي الموجودة في ذهن المتكلم معنى، والذي مفاده: أن زيدا هو الضارب،والغلام هو المضروب، والحدث هو فعل الضرب.إذا فتقديم المضروب على الضارب لفظا، هو في نية المؤخر في الذهن عند قولك: « ضرب غلامَه زيدٌ» ومعنى هذا فإن جملة « ضرب غلامَه زيدٌ » متحولة عن جملة « ضرب زيدٌ غلامَه» وإلاّ كيف نفسر بقاء لفظ «زيدٌ» مرفوعا مقدما ومؤخرا، إن سبب بقائه مرفوعا في كلا الحالتين، هو أنه في البنية العميقة في ذهن المتكلم: زيدٌ قام بالفعل، والغلام وقع عليه فعل الفاعل، ولأن من مهام البنية العميقة أنها «تحدد الوظائف النحوية، وترتب عناصر الجملة».[41] وبمعنى آخر في نية المؤخر هو التقدير في العقل، والتقدير عند التحويليين هو البنية العميقة. ولا يظهر عمل الفعل إلاّ ضمن عملية الإسناد، الذي يعرفه السكاكي كالتالي: «تركيب كلمتين أوما جرى مجراهما على وجه يفيد السامع. نحو: عرف زيدٌ».[42] لأن الفائدة إنما تحصل بالإسناد الذي لا بد له من طرفين؛ مسند ومسند إليه. ويقول عن الفعل وعلاقته بالفاعل: « لا يخلو الفعل عنه، ولهذا يُقدر في نحو « زيد ضرب» ضمير».[43] وللفعل مع الفاعل صور تمثلها القواعد التركيبية الخاصة للعلاقات النحوية التجريدية، ولا

تخلو منها كتب النحو في اللغة العربية. أما عمل الفعل ناصبا فهو متعدد، لأنه ينصب وجوها مختلفة من الأسماء، التي هي في اصطلاح النحاة «المنصوبات». هذه المنصوبات الثمانية كما جاءت عن السكاكي لها مواصفات، منها أنه يجوز تقديمها على الفعل والفاعل معا، إلاّ في باب التعجب. كذلك «ليس لهذه المنصوبات عند اجتماعها ترتيب على حد ملتزم إلاّ المفعولين في باب أعطيت وعلمت، فهما متى كانا ضميرين، فلكونهما ضميرين في اتصالهما إذا تفاوتا، حكاية وخطابا وغيبة، وهو الكثير، يجب تقديم المتكلم على غيره، كما يجب تأخير الغائب عن غيره، وفي انفصال أحدهما، وهو المختار في باب علمت، يجب تأخير المنفصل كيف كان».[44]وهذه المنصوبات كلها هي متعلقات الفعل « لأن حول الفعل تدور متعلقات، أو تسبح في مجاله لدلالته على الحدث، وهذه المتعلقات هي: من صدر عنه ومن عليه، وزمانه، ودرجته، ونوعه، والحال التي تم فيها، وعلته، وعدده»[45] والسكاكي إذ يجعل هذه الأصناف الثمانية معمولة للفعل لأنها متعلقة به، هذه العلاقة مبنية على فكرة الاقتضاء و المحورية. وربما كانت فكرة المحورية تلك هي أساس أساس نظرية العامل عند النحاة، فالمحور هو العامل وما يدور في فلكه معمول له، وبالتالي فالتعليق هو في حقيقته تفسير للعلاقات القائمة بين ما يتأثر بالفعل والفعل.

والفعل كما يعمل مظهرا يعمل مضمرا، ويكون الإضمار خاصا ببعض الأساليب المعروفة في باب علم النحو كالتحذير، والاختصاص،

والاشتغال. على حد قول أغلب النحاة. وإن كان النصب على الاشتغال غير مختار عند السكاكي، فعنده المختار في مثل هذا الأسلوب الرفع. لسبب منطقي وهو في حالة الرفع على أنه مبتدأ نكون قد استغنينا عن الإضمار المحوج إلى التفسير.يقول: « وكنحو قولهم فيما يضمر، شريطة أن يفسر إما بلفظه ومعناه نحو: « زيدا ضربته» أي «ضربت زيدا»، أو بمعناه نحو: « زيدا مررت به» أي «جزته» أو بلازم معناه نحو: «زيدا لقيت أخاه» أي «لا بسته» أو «ضربت غلامه» أي «أهنته»أو « أكرمت أخاه» أي سررته. وعلى ذا فقس، فيمن يترك المختار في هذه الأمثلة، وهو الرفع بالابتداء لعدم الحاجة معه إلى الإضمار المحوج إلى التفسير».[46]

ب) الفاعل اللفظي الحرفي:

الفاعل اللفظي الحرفي، يجعل السكاكي مرتبته بعد الفعلي وهذا الترتيب لم يكن اعتباطيا، بل لصفات في نفس العامل اللفظي الحرفي، من بينها أن الحرف عندما يعمل في الأسماء أو في الأفعال فإنه لا يُعتمد بخلاف الاسم، كذلك الحروف في عملها تقوى من الفعل وليس من الاسم. ومن حيث العدد فإن العامل اللفظي الحرفي أكثر عددا مماسواه، وأنه عند السكاكي يتفرع إلى خمسة وأربعين عاملا، وسر الأكثرية التي يتمتع بها هي أنه يتعلق بكل من الفعل والاسم، وكون الفعل أصل في العمل وأنه يعمل دون تقوية من الحرف والاسم، نجد الحروف المتعلقة به

أقل عددا من التي تتعلق بالاسم وقد أحصيتها تسعة حروف، مما يدل بطريقة أخرى قوة الفعل في العمل. بخلاف الاسم فإن الحروف المتعلقة به هي ستة وثلاثون حرفا، تسعة عشر حرفا منها تنحصر في معنى الإضافة وهي الجر بالحرف.

وربما ينفرد السكاكي عمن سبقه بتقسيمه إياها ـ أي الحروف ـ إلى حروف بسائط، وأخرى مركبة، والمركبة على ثلاثة أقسام ثنائية، وثلاثية، ورباعية. وهي من الحروف التي تعمل عملا واحدا «الحروف الجارة تسعة عشر وأنها لازمة للأسماء وهي نوعان، بسائط ومركبة».[47]

ومن النوع الذي يعمل عملا واحدا كذلك؛ حروف النداء وهي تعمل النصب وقد حصرها في ستة حروف، مضيفا إليها «إلاَّ» في أسلوب الاستثناء الذي تكون جملته تامة موجبة، و مع المفعول معه «واو المعية» فإنها تنصب كذلك الاسم. ومن أجل ذلك لم يدرج السكاكي المفعول معه مع المفاعيل الأخرى السالفة الذكر، لأن الذي يعمل فيه عنده «الواو» وليس الفعل. كما إليه البصريون في تفسير نصب المفعول معه، بأنه بتأثير من الفعل الذي قبل الواو. قال السيرافي: (مذهب سيبويه أن ما بعد الواو منصوب بالفعل، لأنها بمعنى «مع»).[48]

نلاحظ من خلال طرح السكاكي للعامل اللفظي الحرفي، خاصية التقسيم الثنائي التي تميز به تحليله للمواضع التابعة لعلم النحو. وهذا التقسيم الثنائي هو كالتالي:

ـ العامل اللفظي الحرفي ينقسم إلى قسمين: قسم يعمل عملا واحدا، وقسم يعمل عملين.

والذي يعمل عملا واحدا، ينقسم إلى قسمين: قسم يعمل في الأسماء، وقسم يعمل في الأفعال. والعاملة في الأسماء تنقسم إلى قسمين: قسم عمله الجر، وقسم عمله النصب. وتنقسم الحروف التي عملها الجر كذلك إلى قسمين: قسم بسيط، وقسم مركب، والحروف التي تنتمي إلى القسم المركب تنقسم إلى ثلاث فئات؛ ثنائية، ثلاثية، ورباعية. أما القسم الذي عمله النصب فينقسم إلى فئتين؛ فئة تنصب أينما وقعت، وتسمى حروف النداء. وفئة أخرى لا تنصب أينما وقعت، بل تنصب في موضع ولا تنصب في آخر، ويجوز فيه الأمران في ثالث وهما حرفان: «واو المعية»، و«إلاَّ» في الاستثناء. وأما الذي يعمل في الأفعال، فينقسم إلى قسمين: قسم يعمل الجزم في الفعل المضارع، وقسم يعمل النصب في الفعل المضارع. أما الجازمة فهي قسمان: قسم يلزم الفعل المضارع، وهي أربعة: لم، لمَّا، لا الناهية، لام الأمر. وقسم يجري مجرى اللازم للمضارع، وهو «إن» للشرط والجزاء. والناصبة، وهي أربعة حروف: أن، لن، إذن، كي.وبحروف النصب ينهي السكاكي حديثه عن الحروف التي تعمل عملا واحدا.

ـ أما العامل اللفظي الحرفي الذي يعمل عملين، فينقسم إلى قسمين: قسم ينصب ثم يرفع وهي سبعة: إنَّ، أنَّ، لكنَّ، كأنَّ، ليت، لعل. «تسمى مشبهة بالأفعال؛ لانعقاد الشبهة بينها وبين الماضية منها، خصوصا بلزم

الأسماء وانفتاح الأواخر، وكونها على أكثر من حرفين يمد ذلك».[49]
والحرف السابع هو « لا النافية للجنس» « وهو ملحق « بأن» إلحاق النقيض بالنقيض مع اشتراكهما في الاختصاص بالاسم».[50]

أما القسم الآخر فهو يرفع ثم ينصب، وهم حرفان: « ما، و لا» للنفي في لغة أهل الحجاز «شبهوهما بـ « ليس» في النفي، والدخول على الاسم والخبر، فرفعوا بهما الاسم ونصبوا الخبر، حيث لم يقدموا الخبر على الاسم، ولا نقضوا النفي بـ « إلاّ أو لكن» ولزيادة شبه «ما» بـ « ليس» لكونه لنفي الحال أعملوه في المنكر، والمعرف، ولم يعملوا «إلاّ» في المنكر» .[51]

ج) الفاعل اللفظي الاسمي:

أما النوع الثالث من الفاعل اللفظي فهو الاسم، ويحصره في تسعة أنواع وهي: المصدر، اسم الفاعل، اسم المفعول، اسم الفعل، الصفة المشبهة، أفعل التفضيل، الاسم المبهم، الاسم المضاف، أسماء الاستفهام.

وهذا النوع يعمل الرفع والنصب والجر والجزم. أما الرفع والنصب فللمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، واسم الفعل؛ لأنها تعمل عمل فعلها الذي اشتقت منه، ولأن الفعل ليس له إلاّ الرفع والنصب فكذلك هي، وأفعل التفضيل لا ينصب مفعولا به البتة «لأن بناءه من باب أفعال الطبائع».[52] والتمييز

عند السكاكي غير منصوب بهذه الستة السالفة الذكر، ومعنى هذا فهو غير منصوب بفعلها الذي اشتقت منه كذلك. يقول: «أما الرفع والنصب فلما يرتفع عن الفعل وينصب عنه ليس إلاّ، وإنهما لا يكونان إلاّ للمصدر، واسمي الفاعل والمفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، واسم الفعل. سوى نصب التمييز فهو غير مقصور على ما ذكر».[53] وهذه الأسماء الفاعلة تعمل عمل فعلها بشروط معينة . أما المصدر فيشترط ألاّ يُقدم شيء مما يدور في فلكه عليه «كما لا يصح تقديم منصوبه على مرفوع تقديرا في الضمائر من نحو: ضربتك، أو إياك وهو المختار».[54] أما اسم الفاعل فهو يعمل عمل فعله المبني للمعلوم إذا كان على أحد زماني ما يجري هو عليه؛ أي اسم الفاعل.

«وهو المضارع دون المضي أو الاستمرار عندنا. وكان مع ذلك معتمدا على موصوف أو مبتدأ، أو ذي حال، أو حرف نفي، أو حرف استفهام».[55] أما اسم المفعول فهو يعمل بنفس الشروط التي يعمل بها اسم الفاعل إلاّ انه يعمل عمل فعله المبني للمجهول.والصفة المشبهة كذلك تعمل عمل فعلها الذي اشتقت منه، شريطة أن تكون معتمدة كذلك كاعتماد اسم الفاعل.أما أفعل التفضيل وكون بنائه من باب أفعال الطبائع فهو لا يتعدى، وبالتالي فلا ينصب مفعولا به بل يرفع المظهر دون المضمر. «وفي رفعه للمظهر دون المضمر للأكثر منع».[56] ويكون استعماله إما معرفة باللام، وإما مضافا، وإما مصحوبا بـ «من». ولكل حالة ضوابط لا تخلو منها كتب النحو.

أما اسم الفعل « في باب الرفع والنصب شأن مسماه، وتقديم المرفوع على الرافع في جميع ذلك ممتنع، وكذا حذفه، اللهم إلاّ عند المصدر كقوله تعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾[57]. »[58]

أمّا ما ينصب تمييز الذات عند السكاكي هو كل اسم يكون محلا للإبهام، لأن التمييز متعلق به ويدور في فلكه، وبالتالي فهو معمول له ويسمى العامل فيه الاسم المبهم، ولا يجوز تقديم المنصوب عليه نحو: «عندي درهما عشرون». « وتقديم المنصوب هنا على الناصب ممتنع».[59] إلاّ أن بعض اللغويين يرون في المثال السالف الذكر أن «درهما» منصوب بالعامل اللغوي؛ الذي اصطلح عليه «نحاة الكوفة بـ «الخلاف» وفي مواضع «الصرف».[60] وأما الجر، فلما يضاف هو إليه كنحو:

«غلام زيد»، و «خاتم فضة»، و«ضارب عمرو»، و «حسن الوجه».[61] والإضافة نوعان: لفظية و معنوية. أما اللفظية فهي إضافة اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعل التفضيل في معنى الزيادة. « وهي لا تفيد زيادة فائدة على فصلها معنى، لكن المطلوب منها التخفيف في اللفظ: وهو حذف ما يحذف لها من التنوين، ونوني التثنية والجمع».[62] والمعنوية وهي التي في الأمر العام تكون بمعنى « من» مثل: « اشتريت خاتم فضة» «وعلامتها صحة إطلاق اسم المضاف إليه على المضاف الذي لا يجانسه في اللفظ بالموضع الواحد».[63] وتفسير ذلك عند السكاكي كالتالي: « وقولي لا يجانسه، احتراز عن نحو: «غلام غلام زيد»، وقولي

بالموضع الواحد احتراز عن نحو: «غلام زيد» إذا اتفق أن يكون اسم الغلام زيدا».[64] وتكون الإضافة المعنوية كذلك بمعنى«اللام» التي لا تحمل معنى « في» مثل «ثوب رجل» وفي الإضافة المعنوية إذا كان المضاف إليه نكرة، أفادت تخصيصا، وإلاّ فإنها تفيد التعريف. «أما الجزم، فللفعل إذا أفاد فيه معنى الشرط والجزاء».[65] وذلك عن طريق أسماء الشرط لأنها تفيد في جملتها معنى فعل الشرط وجوابه، والأسماء التي تفيد ذلك لا تخلو منها كتب النحو. فيكون الفعل مجزوما بها، وكما يكون الجزم ظاهرا يكون غير ذلك.

1) الفاعل المعنوي:

الفاعل المعنوي عند السكاكي صنفان، صنف التزامي والآخر غير التزامي. أما الالتزامي فضابطه «أن تأخذ معنى فعل من غير الفعل؛ لدلالة له عليه، وأنه يرفع أذا كان المأخوذ منه جملة ظرفية ومعتمدة».[66] والاعتماد يكون إما على النفي مثل: «ما + عندنا شيء» أو على الاستفهام مثل: «هل في الدار أحد» . أما إذا كانت الجملة الظرفية غير معتمدة، أو لم يكن المأخوذ منه جملة ظرفية لم يصلح هذا الفاعل «إلاّ لنصب المفعول المطلق، أو ما يقوم مقامه كنحو: عليّ لفلان ألف درهم عرفا».[67] وكما يصلح لنصب الفعول المطلق يصلح كذلك لنصب المفعول فيه نحو: « في العجلة الندامة أبد» وكذلك يصلح لنصب الحال كقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾[68] وكقولك للآخرين

«مالكم نياما» «ولا ينصب إلاّ وهو متقدم على المعمول في الأقوى».[69] أما الذي هو ليس بالتزامي فيكون في الابتداء؛ وهو عنده يرفع المبتدأ و الخبر. «اعلم أن المعنى العامل، فيما عرفته، عند سيبويه ومن تابعه من الأئمة شيئان: أحدهما الابتداء، وأنه يرفع المبتدأ والخبر... وثانيهما: صحة وقوع الفعل المضارع موقع الاسم، فإنها ترفعه».[70] والابتداء معناه تجريد الاسم عن العوامل اللفظية، التي بدونها يبقى أول أحواله الابتداء. «واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء، وإنما يدخل الناصبُ والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ. ألا ترى أن ما كان مبتدأ قد تدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مبتدأ، ولا تصل إلى الابتداء ما دام مع ما ذكرت لك، إلاّ أن تدعَه».[71] والعوامل اللفظية قد تكون الفعل التام أو الناقص في «كان» وأخواتها أو «إنَّ» وأخواتها وتجريد الاسم عن هذه العوامل يكون لأجل الإسناد، أين تتحقق لنا الصيغة الاسنادية؛ المسند إليه وهو المبتدأ، والمسند وهو الخبر. « فالمبتدأ أول جزء كما كان الواحد أول العدد، والنكرة قبل المعرفة».[72] وإذا كان ذلك كذلك، فإن الابتداء بهذا المنطق يعتبر «الصفر».

والقسم الثاني من العامل المعنوي عند السكاكي « صحة وقوع الفعل المضارع موقع الاسم، فإنها ترفعه».[73] والضمير في «ترفعه» عائد إلى الصحة لأنها السبب. وسمي مضارعا لمضارعته الاسم في صفة الإعراب وذلك من ثلاثة أوجه: أما الأول: فإنه يكون شائعا ثم يختص بحروف تدخل عليه مثل «سوف» التي تخصصه للاستقبال. نحو قولك:

«يخرج» / «سوف يخرج». ونظير هذا في الاسم كقولك: «أستاذ» فيصلح لجميع الأساتذة، فإذا قلت: الأستاذ. اختص بعد شياعه. «فلم اختص بعد شياعه كما أن الاسم يختص بعد شياعه فقد شابهه من هذا الوجه».[74] « والوجه الثاني: أنه تدخله لام الابتداء، تقول: «إن زيدا ليقوم» كما تقول: «إن زيدا لقائم»، فلما دخلت عليه لامُ الابتداء كما تدخل على الاسم دلّ على مشابهة بينهما».[75]

« والوجه الثالث: أنه يجري على اسم الفاعل في حركته وسكونه، ألا ترى أن قولك: «يضْـرب» على وزن « ضارِب» في حركته وسكونه».[76] وكما أن الاسم يعمل فيه الابتداء الذي هو التجريد من العوامل اللفظية، مثل«كان» وأخواتها و «إن» وأخواتها. فكذلك الفعل المضارع يعمل فيه الخلو وهو عامل معنوي أيضا.

«واعلم أنه لا يجتمع عاملان لفظي ومعنوي إلاّ ويظهر عمل اللفظي، ويقدر عمل المعنوي، كنحو: «بحسبك عمر»، و «هل من أحد قائم» ولا لفظيان إلاّ ويظهر عمل الأقرب لا محالة عندنا، كنحو: «ليس زيد بقائم» و « ما جاءني من رجل»، و «أكرمني وأكرمت زيدا».[77] أي أنه متى اجتمع عاملان لفظي ومعنوي في جملة واحدة، فإننا نظهر عمل الفاعل اللفظي ثم نقدر عمل الفاعل المعنوي، ففي قولك: « هل من أحد قائم» الشاهد فيه « من أحدٍ» نقول:

أحدٍ: اسم مجرور لفظا ـ أي أننا أظهرنا عمل الفاعل اللفظي ـ مرفوع محلا على أنه مبتدأ ـ أي أننا قدرنا عمل الفاعل المعنوي الذي هو

الابتداء ـ وفي جواب لسؤال سائل. بم رفعت «أحد» ؟ الجواب: بتقدير الفاعل المعنوي الابتداء. أما إذا اجتمع فاعلان لفظيان في جملة واحدة، فيظهر عمل الأقرب إلى المعمول. ففي قولك: « ليس زيدٌ بقائمٍ» الأصل فيه « ليس زيدٌ قائماً» ولكننا بإعمال الفاعل اللفظي الذي هو حرف الجر «الباء» فيكون «قائم» مجرور به لفظا. لأنه ـ أي الباء ـ أقرب إليه ـ أي قائم ـ من ليس؛ الذي عمله الدخول على الجملة الاسمية فيرفع الأول فيكون اسما له، وينصب الثاني ويكون خبرا له. وكذا «رجل» في المثال الثاني عمل فيه حرف الجر المتصل به. وكان حقه الرفع بالفعل «جاء». وكذلك «زيدا» مفعول «لأكرمتُ» المتصل به، عوض الرفع على الفاعلية للفعل الأول «أكرمني».

3) الأثر: (الإعراب)

لمصطلح الإعراب دلالات، فمنه ما يدل على البيان، ومنه م يدل على التغيير، ومنه ما يدل على التحسين « يقال: أعرب عن حاجته: إذا أبان عنها، وعربت معدة الفصيل: إذا تغيرت لفساد، وامرأة عروب: أي متحببة، وجارية عروب: أي حسناء».[78]

أما في الاصطلاح فهو يكون على أقوال متنوعة منها: بأنه لفظي، ومنها بأنه معنوي. أما على الأول « فهو أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في أخر الكلمة أو ما ينزل منزلته، وبأنه معنوي هو تغيير أواخر الكلم أو ما نزل منزلتها لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا، وعليه أكثر

المتأخرين». [79] لغرض الفهم و الإفهام والبيان والتبيين، وبهذا المفهوم فهو يكمن في الكلام المنطوق الذي نطقت به العرب ومعلوم« فإن للأشياء مراتب في التقديم والتأخير، إما بالتفاضل أو بالاستحقاق أو بالطبع أو على حسب ما يوجبه المعقول فتحكم لكل واحد منها بما يستحقه وإن كانت لا توجد إلاّ مجتمعة».[80] هذا الكلام المنطوق يجري في محورين: أفقي صرفي، وعمودي تركيبي، وهذا من مميزات اللغة العربية، ويراعى في المحورين ما توجبه مرتبة كل كلمة في السياق بما يوجبه المعقول، والمعاني المعربة التي هي في النفس.

وإذا كان ذلك كذلك فالإعراب في الاستحقاق داخل على الكلام القائم على الاختلاف ولا يظهر إلاّ من خلال السياق؛ لأن الجملة التي تجري على نمط واحد من الكلم لا تعد في سلك الكلام المعرب، نحو قولك: «الرجل الرجل.» أو «صادق صادق» ولأننا وببساطة لم نحترم قوانين التعليق التي ترتكز على مبدأ الاختلاف. ولكن عند احترام ذلك ونقول: «الرجل صادق.» نكون قد بينَّا ووضَّحنا المراد، وهذا بفضل مبدا الاختلاف الذي تحكمه قواعد المحورين الأفقي والعمودي،فحدث الإعراب.

وعليه فإننا نستنتج من هذا «أن نظام اللغة العربية من حيث نظام الكلمات داخل التراكيب اللغوية نظام مقيّد غير حر».[81] والخروج عن هذا النظام لا يكون إلاّ لأسباب يحركمها المقام. لأن «التصرف الأفقي في الجملة العربية محكوم بقوانين وقواعد صارمة، فيها من الوجوب

أحيانا، ما فيها من الجواز. فكل شيء يجري داخل الجملة العربية وفق نظام دقيق يمكن في ضوئه أن تتعدّد الأساليب وتتكاثر الأنماط اللغوية، ويكون للدلالة المطلوبة من التركيب المعين الدور البارز في تحديد طبيعته ونسجه. فلا يتقدم الخبر على المبتدأ إلاّ في شروط محددة، ولا يتقدم المفعول على الفاعل إلاّ لأغراض دلالية معينة، وكذلك الحال في تقديم الاسم على الفعل، أو تقديم الفعل على الاسم، أو الحال على صاحبه أوغير ذلك»[82] و من الإعراب ما يدل على«ما يعتور الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة لها بحركات تباين بين المعاني المتكافئة التي لولاها لجُهل أصل الإفادة». [83] والسكاكي عندما تحدث عن الإعراب، تحدث عنه بهذا المفهوم الذي ينص على موصوفية آخر تلك الكلمة بحركة أو سكون بسبب العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا، ويسميه في كتابه «مفتاح العلوم» «الأثر» وكان سيبويه قبله قد سماه في مصنفه «الكتاب» «مجاري أواخر الكلم».

وإني أتحدث عن الإعراب بالمفهوم الثاني السالف الذكر، الدال على مصطلح التغيير الذي يطرأ على أواخر الكلم، بتغير العوامل الداخلة عليه، حتى تتم المعادلة التي تشكل نظرية العامل عند السكاكي.

لقد السكاكي تحدث عن الإعراب بمفهومه الخاص، وسماه «الأثر» وتحدث عنه من جانب الظهور وعدمه في البداية، كونه أثرا وأنه يتفاوت بحسب تفاوت القابل، مبتدئا بالمعرب الذي يعرب بحركات أصلية ظاهرة أو مقدرة، ثم ينتقل إلى المعرب الذي تنوب فيه الحروف عن

الحركات، أو ما يعرب بحركات فرعية وذلك في الأسماء: كالمثنى والجمع السالم والأسماء الستة والممنوع من الصرف. وفي الأفعال: كالفعل المضارع المعتل الآخر في حالة الجزم والأفعال الخمسة.

ولعل مصطلح الأثر الذي جاءت به الدراسات اللغوية الحديثة عن طريق اللغوي الأمريكي «نعوم تشومسكي» كان من تأثير أبي يعقوب يوسف السكاكي، إلاّ أن تشومسكي وظفه على مستوى الجمل في حين وظفه السكاكي في الحركات الأصلية والفرعية وكان ذلك على مستوى الهيئات. هذه الحركات الأصلية؛ والتي هي: الضمة والفتحة والكسرة، وما ينوب عنها من علامات فرعية هي التي تشكل ما يسمى بالأثر عند السكاكي، وكذلك عند غيره من اللغويين العرب. فالضمة « وهي علامة الإسناد، أي أن لكل مسند إليه أو مخبر عنه أو محكوم عليه فعلامته الضمة، أو ما ينوب عنها من واو أو ألف».[84] وثبوت النون في الأفعال الخمسة تعتبر هي الأخرى علامة الإسناد. والفتحة لا تختص بفصيلة معينة من الأسماء، ولا بمعنى من معاني الإعراب، فهي تأتي مع المفعولات جميعا، ومع المنادى و الحال والتمييز، والتي هي ليست من المفعولات، لكنها متأثرة بالفعل، ويؤثر هو فيها، وبالتالي فهي علامة إعرابية يجلبها الفعل المتعدي أو ما يقوم مقامه، كالنواسخ والحروف المشبهة بالفعل وحروف النداء. وإلاّ فالذي يجلبها هو العامل اللغوي. «الذي تشبث به مؤسسو النحو الكوفي ومن احتذى حذوهم، فسموه الخلاف في مواضع، والصرف في مواضع أخرى ليفسروا به حالات

إعرابية متعددة».[85] وبه فسروا النصب في المستثنى بـ «إلاّ» وكذلك التمييز في قولك: «عندي عشرون درهما». أما ما ينوب عن الفتحة في الأسماء، فهي الألف والياء والكسرة. وذلك في المثنى والجمع السالم والأسماء الستة والممنوع من الصرف. وفي الأفعال الخمسة حذف النون. «أما الكسرة وهي علامة الإضافة، أي إن كل مضاف إليه تكون علامته الكسرة أو ما ينوب عنها وهو الياء سواء أكان ما أضيف إليه اسما أو فعلا، فإضافة الاسم تكون مباشرة، وإضافة الفعل تكون بواسطة حرف الجر. فقولنا: «مررت بالصديق»، أضفت فيه المرور إلى الصديق بواسطة حرف الجر. وقولي: « قرأت أشعار الجاهلين» أضفت فيه الأشعار إلى الجاهلين بغير واسطة وهذه قاعدة مطردة لا استثناء فيها».[86]

وهناك ما تكون علامته فرعية مقدرة، وذلك في الفعل المضارع المؤكد توكيدا غير مباشر، فإنه يُرفع وعلامته نون محذوفة نقدرها في عقولنا و السبب توالي الأمثال والمتمثل في حرف النون على أنه علامة فرعية عوضت الضمة. وكذلك في جمع المذكر السالم في حالة في حالة الرفع شريطة أن يكون مضافا إلى ياء المتكلم، فإنه يُرفع وعلامته واو محذوفة نقدرها في عقولنا، والسبب صرفي وهو القلب والإدغام.

«السكون ضد الحركة، ومحله محلها وهو العضو، إذ لا تقوم الحركة والسكون إلا بجسم أو جوهر... والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف، فلا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك، أي ينقطع فتسميه جزما. اعتبارا بالصوت وانجزامه وتسميه سكونا

اعتبارا بالعضو الساكن». [87] إذا السكون من صفة العضو، والجزم من صفة الصوت، وعند السكاكي اعتبار أواخر الكلم ساكنة راجعة لخفة السكون بشهادة الحس، وكون الخفة مطلوبة بشهادة العرف.

والسكون كذلك أقرب حصولا لتوقفه على اعتبار واحد وهو جنسه، دون الحركة لتوقفها على اعتبارين جنسها ونوعها، والسكون في اللفظ اختصار فإذا منع عنه مانع ترك إلى الحركة، كلزوم الجمع بين ساكنين نحو: «حَيْثُ» و «أَمْسِ» لأن في هذه بناؤها على السكون هو الأصل، وعند السكاكي السكون نوعان: حسّي وعقلي.

« الحسي وهو مجامعته لسكون لآخر، ألا تراك كيف تحس في نحو: «اضرب اضرب»، إذا رمت الجمع بين الباء والضاد ساكنين بشيء من الكلفة، وربما تعذر أصلا على البعض». [88] و العقلي « وهو وروده وأنه شيء لا نوع له كما تعلم». [89] لأنه يتوقف على اعتبار واحد وهو جنسه، بخلاف الحركات على اعتبارين جنسها ونوعها.

الـخاتمة

بهذا المفهوم المنطقي يقيم السكاكي دعائم نظرية العامل في علم النحو العربي، ومستندا في كل ذلك على فكرة الغرض، كما بنى من قبل مفهومه لعلوم العربية على فكرة الاحتراز عن الخطأ. ومن خلال هذه الرؤية اتضح أن الفاعل والقابل والأثر عليها ينبني علم النحو ولا مجال لإنكار هذه النظرية بحجة أن الفاعل الحقيقي هو المتكلم. لأن هذا الأخير له الحرية المطلقة في اختيار موضوع حديثه، ولكن لتبليغه للآخر وحصول الـفـهـم لامـنـاص لـه مـن احترام هذه العوامل التي تفعل التميز بين السياقات والأساليب، لضمان وصول الرسالة. وما الحركات التي في أواخر الكلم إلاّ إمارات على جود الفاعل وعمله.

الهوامش:

1) ـ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات ، ص 129.

2) ـ المصدر السابق، ص130.

3) ـ منى إلياس، القياس في النحو، ص9.

4) ـ شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 16.

5) ـ أحمد سليمان ياقوت ، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ص 63.

6) ـ شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 14.

7) ـ المصدر السابق، ص 14.

8) ـ المصدر السابق، ص 23.

9) ـ المصدر نفسه، ص24.

10) ـ ابن جني، الخصائص، ج/1، ص249.

11) ـ سيبويه ، الكتاب، ج/1 ، ص 13.

12)ـ ابن جني، الخصائص، ج/1 ، ص 110.

13) ـ السكاكي، مفتاح العلوم، ص126.

14) ـ الشيخ خالد بن عبد الله، العوامل المئة في أصول علم العربية، ص 23 .

15) ـ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 126.

16) ـ ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص 77 .

17) ـ الشيخ خالد بن عبد الله، العوامل المئة في أصول علم العربية، ص 141.

18) ـ إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص 23.

19)ـ السكاكي، مفتاح العلوم ، ص 126.

20)ـ المصدر السابق، ص127.

21) ـ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 126.

22)ـ فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي، ص 121.

23)ـ أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، ص 159.

24ـ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 140.

25)ـ فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي، ص 122.

26)ـ هادي نهر، الأساس في فقه اللغة العربية، ص 240 .

27) ـ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 164.

28)ـ المصدر السابق ، ـ ص 137.

29) ـ المصدر نفسه، ص136.

30) ـ المصدر نفسه، ص136.

31) ـ المصدرالسابق، ص126.

32) ـ المصدر نفسه، ص141.

33) ـ المصدر نفسه، ص141.

34) سورة البقرة، الآية18.

35) ـ السكاكي، مفتاح العلوم ، ص 241.

36)ـ المصدر نفسه، ص 215.

37) ـ المصدر نفسه، ص 216.

38) ـ المصدرالسابق، ص 141.

39)ـ المصدر نفسه، ص 142.

40) ـ المصدر نفسه، ص141.

41) ـ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية، ص164.

42) ـ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 141.

43) ـ المصدر نفسه، ص 142.

44)ـ المصدر السابق، ص 150.

45) ـ إبراهيم عبادة ، الجملة العربية ـ دراسة لغوية ونحوية ـ ص42.

46)ـ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 148.

47)ـ المصدر السابق، ص 154.

48)ـ سيبويه ، الكتاب، ج / 1 ، هامش ص297.

49)ـ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 173.

50)ـ المصدر نفسه، ص 176.

51)ـ المصدر نفسه، ص 177.

52)ـ المصدر نفسه، ص 199.

53)ـ المصدر السابق، ص 197.

54)ـ المصدر نفسه، ص 197.

55)ـ المصدر نفسه ، ص198.

56)ـ المصدر نفسه، ص 199.

57)ـ سورة البلد ، الآيات 14، 15.

58)ـ السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 199.

59)ـ المصدر نفسه، ص 200 .

60)ـ صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي ، ص42.

61)ـ السكاكي، مفتاح العلوم ، ص 201.

62)ـ المصدر نفسه، ص 201.

63)ـ المصدر نفسه، ص 202.

64)ـ المصدر نفسه، ص 202.

65)ـ المصدر نفسه، ص211.

66)ـ المصدر نفسه، ص 213.

67)ـ المصدر نفسه، ص 214.

68)ـ سورة هود ، الآية 71.

69)ـ السكاكي ، مفتاح العلوم، ص 214.

70)ـ المصدر نفسه، ص 215.

71) ـ سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 24.

72) ـ المصدر نفسه ، ص 24.

73) ـ السكاكي، مقتاح العلوم، ص 216.

74) ـ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن أبي الوفاء بن عُبيد الله الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج / 2 ، ص 81 .

75) ـ المصدر نفسه، ص 81.

76) ـ المصدر نفسه، ص 82.

77) ـ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 216.

78) ـ أبو البقاء أيّوب بن موسى الحُسيني الكفوي ، الكليات، ص143.

79)ـ المصدر السابق ، ص 143.

80) ـ المصدر نفسه، ص143.

81)ـ هادي نهر ، الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها (الفصائل أو الأسر)، ص 117.

82) ـ المصدر السابق ، ص 117.

83)ـ سالم علوي ، وقائع لغوية وأنظار نحوية، ص 244.

84)ـ صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي، ص24.

85)ـ المصدر السابق، ص 42.

86)ـ صاحب أبو جناح ، دراسات في نظرية النحو العربي، ص 24.

87)ـ السهيلي، نتائج الفكر في النحو ، ص67.

88)ـ السكاكي مفتاح العلوم، ص 219.

89)ـ المصدر نفسه، ص 220.

المصادر والمراجع:

1) القرآن الكريم ، على رواية الإمام ورش ـ دار المصحف ـ شركة ومطبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة ، 1383هـ/ 1964م.

2) أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، حققه وقدم له وفهرسه د/ عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط/1 ، 1420هـ/2000م.

3) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد بإشراف د/ إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط/1، 1418هـ/1998م.

4) أبو علي الفارسي، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت ، 1964م.

5) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.

6) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/2 ـ 1413هـ/1993م.

7) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو .

8) إبراهيم عبادة، الجملة العربية ـ دراسة لغوية ونحوية ـ

9) د/ أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

10) سيبويه، الكتاب، ج/1، ت/ محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

11) سالم علوي، وقائع لغوية وأنظار نحوية، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 1421هـ/2000م.

12) السهيلي، نتائج الفكر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1412هـ/ 1992م.

13) الشيخ خالد الأزهري، شرح العوامل المائة للعلامة عبد القاهر الجرجاني، تحقيق البدراوي زهران، دار المعارف مصر، ط/1، 1983م.

14) شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط/5 ، 1983م.

15) صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1 ، 1419هـ/ 1998م.

16) فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، دار الفكر ، دمشق، ط/1، 1424هـ/ 2003م.

17) منى إلياس، القياس في النحو، دار الفكر، دمشق، ط1، 1405هـ/1985م.

18) ميشال زكرياء ، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1982م.

19) هادي نهر، الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، ط/1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1423هـ/ 2002م.

الجوانب النحوية في القراءات القرآنية سورة الكهف نموذجًا

أ.حورية عبيب

أستاذة بكلية العلوم الإسلامية

ـ جامعة الجزائر ـ

تتناول هذه الدراسة القراءات القرآنية في سورة الكهف، وتركز على الجوانب النحوية التي تشكّل الأساس في اختلاف قراءة عن قراءة أخرى وذلك لتبيين ما ينتج عن تعدّد القراءات القرآنية من اختلاف في التوجيهِ الإعرابي في القضايا النّحوية، وللكشف عن بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم وثراء أسلوبه بالمعاني، ويشمل هذا التوجيه سبع آيات قرآنية احتوت على تغيّر إعرابي في القراءة هي: 5 ، 25 ، 26 ، 39 ، 44 ، 88 ، 102.

ـ الآية الخامسة وهي قوله تعالى(كَبُرت كلمةً تخرج من أفواههم) [1]

ذكر الفرّاء أنّ أصحاب عبد الله بن مسعود قرأوا قوله تعالى: "كلمة" من هذه الآية الكريمة نصبًا باضمار الفاعل، وأنّ الحسن البصري قرأها بالرفع على الفاعلية وكذا بعض أهل المدينة [2].

كما أوضح الطبري اختلاف القرّاء في قراءة هذه الآية الكريمة مبيّنا أنّه قرأ عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة «كبرت كلمةً» بنصب «كلمة» على معنى: كبُرت مقالتُهم التي قالوها كلمةً على التمييز كما يقال: نعم رجلاً عمرو. وأشار أنّ بعض نحويي أهل البصرة يقول: نُصبت «كلمة» لأنّها في معنى: أكْبِرْ بها كلمة كما قال جلّ ثناؤه: «وساءت مرتفقا»[3]، وأوضح الطبري أنّ بعض المكّيين كان يقرأ «كبرت كلمةٌ» رفعًا، كما يُقال: عظُم قولك وكبُر شأنك، فلا اضمار في هذه القراءة لأن «كلمة» هي الفاعل، ثم ذهب إلى أنّ الصواب من تينك القراءتين قراءة من قرأ «كبرت كلمة» نصبًا لإجماع الحجّة من القراء عليها، وتأويلها: عظُمت الكلمة كلمةً تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا والملائكة بنات لله[4].

وعلى هذا، فإن قوله تعالى: «كبرت كلمة» قرىء بالنّصب وبالرفع، أما النّصب فقراءة الجمهور، ونصبه على التمييز، والفاعل مضمر تقديره: كبرت مقالتهم «اتخذ الله ولدًا»[5]. وفي هذا معنى التعجب قدّره الأخفش[6]: أكْبِرْ بها كلمةً، وشبّهه بقوله تعالى: «وساءت مرتفقًا»[7] وقد ذكر هذا الطبري كما سبق بيانه، وقدّره الزمخشري[8] وأبو حيان الأندلسي[9]: ما أكبرها كلمة! وقوله تعالى: «تخرج من أفواههم» صفة «للكلمة» استعظامًا لإجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم[10].

وذهب الزجّاج إلى أنّ «كلمة» منصوبة على الحال كما أنّ «مقتا» في قوله تعالى: «كبر مقتا عند الله أن تقولوا»[11] حال، لأنّ إضمار الفاعل

الذي يعود على اتّخاذ الولد لا يجعله بمنزلة «نعم»، لأنّ فاعل«نعم» لا يكون معهودًا [12].

أمّا رفع «كلمة»، فقد قرأ بها يحيى بن يعمر والحسن البصري وابن محيصن وابن أبي إسحاق والثقفي والأعرج-بخلاف-وعمرو بن عبيد[13] وهي قراءة مجاهد أيضا[14].

ووجه الرفع في هذه القراءة أنّ «كلمة» فاعل«كبرت» بمعنى: عظمت كلمتُهم وهي قولهم:«اتخذت الله ولدًا [15] وقد سبق ذكره، وعلى هذا فلا إضمار في الفعل«كبرت».

-الآية الخامسة والعشرون وهي قوله تعالى: «ولبثُوا في كهفهم ثلاثَ مائةٍ سنين وازدادوا تسعًا»[16].

أشار الفراء إلى أن كثيرًا من القراء يقرأون قوله تعالى:«ثلاثَ مائةٍ سنين» من هذه الآية الكريمة بتنوين «مائة» ونصب «سنين» على تقدير: ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة، فينصبون «سنين» بالفعل على التفسير، ثم بيّن الفراء أنّ مِن العرب من يقرأ ذلك بالإضافة، فيضع السّنين في موضع سنة، فهي حينئذ مجرورة[17].

وأكّد الطبري قول الفراء ذاك، فذكر أنّه قرأ عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين «ثلاثمائةٍ سنين«بتنوين مائة»، بمعنى: ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة، وقرأ عامة قراء أهل الكوفة «ثلاث مِائةِ سنينَ» بإضافة «ثلاثمائة» إلى «السنين» غير منّون، ورأى أنّ أولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ «ثلاثَ مائةٍ» بالتنوين، وذلك أنّ العرب إنّما

تضيف المائة إلى ما يفسرها إذا جاء تفسيرها بلفظ الواحد كقولهم: عندي ثلاثمائة درهم، وعندي مائة دينار، لأنّ المائة والألف عدد كثير، والعرب لا تفسّر ذلك إلا بما كان بمعناه في كثرة العدد، والواحد يؤدي عن الجنس، وليس ذلك للقليل من العدد، وإن كانت العرب ربّما وضعت الجمع القليل موضع الجمع الكثير، وليس ذلك بالكثير، وأمّا إذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع فإنّها تنّون فتقول: عندي ألفٌ دراهمُ، وعندي مائةٌ دنانير[18].

كما بيّن ابن مجاهد هذا الاختلاف في القراءة، فذكر أنّه قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: «ثلاثمائة سنين» منونًا، وقرأ حمزة والكسائي: «ثلاثمائةِ سنين» مضافًا غير منّون[19].

وعلى هذا فتنوين «مائة» قراءة الجمهور، والحجّة لمن أثبت التنوين أنه نصب «سنين» بقوله تعالى: «ولبثوا»، ثمّ أبدل «ثلاثمائة» منها، وكأنّه قال: ولبثوا سنين ثلاثمائة[20]، فيكون من التقديم والتأخير، فقدم الصفة على الموصوف، فتكون «سنين» على هذا بدلاً[21]، أو عطف بيان[22]، وقيل على التفسير والتمييز[23].

والتنوين في «مائة» يستبعد الإضافة إلى الجمع، لأنّ أصل هذا العدد كما بين الطبري سابقا أن يضاف إلى واحد يبيّن جنسه.

أمّا القراءة الثانية، فهي بإضافة «مائة» إلى «سنين» وترك التنوين كما سبق ذكره، وقد قرأ بها حمزة والكسائي من القرّاء السبع[24] وهي قراءة خلف كذلك [25]وجه الإضافة في هذه القراءة وضع الجمع موضع المفرد

في التمييز[26]، أي أنّهم أضافوا «مائة» إلى الجمع، فأتوا بالعدد على وجهه وأضافوه على خصّه بالمفسّر مجموعًا على أصله، لأنّ إجماع النحويين على أنّ الواحد المفسّر عن العدد معناه الجمع[27]، وإذا كان قوم[28] قد قالوا إنّ هذه قراءة ليست مختارة، لأنّ العرب إذا أضافت هذا الجنس أفردت، فإنّ أبا زرعة قد ردّ عليهم معتبرا إياها قراءة مختارة ومبيّنا أن حجة قارئيها أنّهم أتوا بالجمع بعد قوله: «ثلاثمائة» على الأصل، لأنّ المعنى في ذلك الجمع وذلك أنّك إذا قلت: عندي مائة درهم، فالمعنى: مائة من الدراهم، والجمع هو المراد من الكلام، والواحد إنّما اكتفي به من الجمع إذا قيل ثلاثمائة سنةٍ وثلاثمائة رجل، لأن الواحد ها هنا يؤدّى على معنى الجمع بذكر العدد قبله، فعاملوا الأصل الذي هو مراد المتكلم ولم يكتفوا بالواحد من الجمع هذا مذهب قطرب، وقال الكسائي: العرب تقول: أقمت عنده مائة سنة ومائة سنين[29]، وقال مكي بن أبي طالب إن «سنة» بمعنى «سنين» لا اختلاف في ذلك، فحمل الكلام على المعنى، وهذا حسن في الاستعمال قليل في القياس، لأنّ الواحد في الاستعمال أحق من الجمع، فإنّما يبعد هذا الوجه من جهة قلّة الاستعمال وإلاّ فهو الأصل[30] واعتبر العكبري هذه القراءة ضعيفة[31]، ويقصد بذلك القلة والندرة في هذا الاستعمال الذي خالف فيه القرآن الكريم قواعد النحاة النسبية، وهذا دليل على إعجازه وعلى أنّه يعلو على قوانينهم.

ـ الآية السادسة والعشرون، وهي قوله تعالى: «ما لهم من دونه من وليّ ولا يشركُ في حكمه أحدًا»[32].

ذهب الفراء إلى أنّ قوله تعالى: «ولا يشرك» يرفع إذا كان بالياء على تقدير: وليس يشرك، ويجزم على النهي[33] ، وبين ابن مجاهد أن القراء جميعهم قرأوا «ولا يشرك» بالياء والرفع غير ابن عامر، فإنّه قرأ «ولا تشرك» بالتاء جزمًا [34].

والحجة لمن قرأه بالياء والرفع أنه جعله خبرًا عن الله تعالى وجعل (لا) فيه بمعنى (ليس) على تقدير: ليس يشرك في حكمه أحدًا، والمعنى ليس يشرك اللهُ في حكمه أحدًا[35]في حكمه بمعنى: في قضائه[36] أمّا قراءة ابن عامر بالتاء جزمًا، -وقرأ بها الحسن البصري[37] وأبو رجاء وقتادة والجَحْدري[38] وأبو حيوة وزيد وحميد بن يعقوب والجعفي واللؤلؤي عن أبي بكر كذلك-[39]، فالحجة فيها أنّه قصد الرسول (، ووجّهه إلى غيره، وجعل (لا) للنّهي، فجزم الفعل بها، ويقوّي هذه القراءة بالتاء ما بعده «واتل ما أوحي»، والمعنى: «لا تنسبن أحدا إلى علم الغيب»[40] .

-الآية «التاسعة والثلاثون وهي قوله تعالى: ﴿ **إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا** ﴾[41] .

ذكر الفرّاء أنّ قوله تعالى: «أقلّ» في هذه الآية الكريمة منصوب على اعتباره عمادًا[42]، وجوّز رفعه بجعله اسمًا، وبيّن أنّ القراءة بهما جائزة[43].

وأكّد الطبري ما ذكره الفرّاء من أنّ «أقلّ» تنصب إذا كان «أنا» عمادًا وترفع إذا اعتبر اسمًا، وبيّن أنّ النصب قراءة الأمصار[44].

إنّ نصب «أقلّ» قراءة الجمهور باعتباره مفعولاً ثانيا للفعل «ترنِ» الذي يعد من أفعال القلوب أي: إنّ «رأى» علمية لا لوقوع«أنا»

فصلا[45]، وذهب سيبويه إلى أن (أنا) تعرب فصلا وصفة[46]، وأشار أبو جعفر النحاس إلى أنها فاصلة لا موضع لها من الإعراب[47]، وجوّز أن تكون (أنا) في موضع نصب توكيدًا لضمير المتكلم الياء في «ترنِ»[48] إلاّ أنّه حذف، لأنّ الكسرة تدل عليه، وإثباته جيّد بالغ وهو الأصل لأنّه الاسم على الحقيقة[49]، كما سوّغ أبو حيان الأندلسي أن تكون «رأى» هنا بصرية» و«أنا» توكيدًا للضمير في «ترنِ» المنصوب فيكون «أقل» حالا[50].

وجاز ههنا أن تكون «أنا» فصلا لوقوعها بين معرفة ونكرة تقارب المعرفة، فالمعرفة الضمير الياء في قوله « ترنِ» والنّكرة التي تقارب المعرفة قوله تعالى: «أقل»، لأنه قرب من المعرفة لتعلّق قوله «منك» به، وهو منصوب لأنّه المفعول الثاني للفعل«ترنِ» كما سبق بيانه.

أمّا القراءة الثانية برفع «أقلّ»، فقد قرأ بها عيسى بن عمر على جعل «أنا» مبتدأ و«أقل» خبره، والجملة في موضع المفعول الثاني للفعل«ترن»، والمفعول الأوّل الياء المحذوفة[51].

-الآية الأربعة والأربعون وهي قوله تعالى:«هنالك الوَلاَية لله الحقّ هو خير ثوابًا وخير عُقُبا»[52] .

ذهب الفراء إلى أنّ قوله تعالى:«الحقّ» في هذه الآية الكريمة يرفع على اعتباره نعتا للولاية، وأنّ قراءة أبّي:«هنالك الولايةُ الحقُ لله» تقوّي هذا الرفع، وسّوغ خفض«الحق» على اعتباره نعتا من لفظ الجلالة (الله)[53] .

وأكّد الطبري ما ذكره الفراء، مبيّنا أنّ عامة قرّاء المدينة والعراق قرأوا «الحق» خفضًا على توجيهه إلى أنّه من نعت الله وإلى أنّ معنى الكلام: هنالك الولاية لله الحقّ ألوهيته، وأنّ بعض أهل البصرة وبعض متأخري الكوفيين قرأوا «لله الحقّ» برفع«الحقّ» توجيهًا منهما إلى أنه من نعت «الولاية»[54] .

كما تناول ابن مجاهد هذه الآية الكريمة بالدراسة مؤكّدا اختلاف القراء في قراءتها، فذكر أنّه قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم«الوَلاية» بفتح الواو، «لله الحقّ» خفضًا، وقرأ حمزة «الولاية لله الحقّ» بفتح الواو وضمّ القاف، وقرأ علي بن حمزة الكسائي: «هنالك الوِلايةُ» كسرًا، «لله الحقُّ» بضمّ القاف، وقرأ أبو عمرو «الولاية لله الحق» بفتح الواو وضم القاف[55].

وعلى هذا، فالقراءة الأولى بخفض«الحقّ» قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة من السبعة، وخرجت على أن «الحق» نعت لله، و«هنالك» إشارة إلى يوم القيامة[56] ، وتكون ملغاة فيصبح العامل في «هنالك» الاستقرار الذي قام قوله تعالى:«لله» مقامه[57].

أما القراءة الثانية برفع «الحق»، فهي قراءة أبي عمرو والكسائي من السبعة، وقرأ بها حميد والأعمش وابن أبي ليلى وابن مناذر واليزيدي وابن عيسى الأصبهاني[58]. فتكون «الولاية» مبتدأ ، و«هنالك» خبره، و«الحق» نعت للولاية، والعمل في قوله تعالى: «هنالك» الاستقرار المحذوف الذي قام «هنالك» مقامه، ويجوز أن يكون «لله» خبرًا للولاية[59].

وقيل إنّ جعله خبرًا آخر أولى من جعله صفة لما فيه من الفصل بين الصفة والموصوف، وأمّا على قراءة «الحق» بالخفض على أنّه صفة لله فلا يكون فيه ذلك الفصل[60].

وهناك قراءة ثالثة لكلمة «الحقّ» بالنصب، قرأ بها أبو حيوة وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وابن أبي عبلة وأبو السمال ويعقوب عن عصمة عن أبي عمرو[61]، ووجّه الزمخشري النصب في هذه القراءة الشاذة على التأكيد كما يقال: هذا عبد الله الحق لا الباطل[62].

-الآية الثامنة والثمانون وهي قوله تعالى:«وأمّا من آمن وعمل صالحًا فله جزاءُ الحسنى»[63] .

ذهب الفرّاء إلى أنّ قوله تعالى:«فله جزاء الحسنى» من هذه الآية الكريمة يقرأ بنصب الجزاء على التفسير أي التمييز، وجوّز أن يكون «جزاء» مضافًا إلى الحسنى، وذكر وجها آخر وهو أن يكون «الحسنى» مرفوعًا وكذا «جزاء» مع التنوين، وبيّن أن هذا الوجه لم يقرأ به[64].

وأكد الطبري اختلاف القراء في قراءة هذه الآية الكريمة، فذكر أنه قرأ عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة: « فله جزاءُ الحسنى» برفع الجزاء وإضافته إلى الحسنى، ولهذه القراءة وجهان من التأويل: أحدهما: أن يجعل«الحسنى» مرادًا بها إيمان الإنسان وأعماله الصالحة، فيكون معنى الكلام إذا أريد بها ذلك: وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها يعني جزاء هذه الأفعال الصالحة، والوجه الثاني أن يكون معنيا بالحسنى الجنة وأضيف الجزاء إليها كما في قوله تعالى:«ولدار الآخرة

خير"[65]. والدار هي الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿ **وذلك دين القيمة** ﴾[66]. والدين هو القيم، وقرأ آخرون: «فله جزاءً الحسنى» بمعنى: فله الجنّة جزاء، فيكون «الجزاء» منصوبا على المصدر بمعنى: يجازيهم جزاء الجنة[67].

كما تعرض ابن مجاهد لاختلاف القراء في قراءة هذه الآية الكريمة مبينًا أنّه قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وأبو عمرو « فله جزاءُ الحسنى» مضافًا مرفوعًا، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم:« جزاء الحسنى» منونًا منصوبًا[68].

فالحجّة لَمن قرأ بالرّفع والإضافة أنه رفع «الجزاء» بالابتداء وأضافه إلى «الحسنى»، وقوله «له» الخبر، يريد به: فجزاء الحسنى له، والحسنى هنا بمعنى الإحسان والحسنات[69] فيقدر: فله جزاء إحسانه أي له جزاء الأعمال الحسنى، ويحتمل أن يجعل«الحسنى» الجنّة ويكون الجزاء مضافًا إليها، [70] وقيل «الحسنى» في موضع رفع على البدل من «جزاء» فحذف التنوين لالتقاء الساكنين، و«الحسنى» على هذا هي الجنة[71].

أما قراءة نصب «جزاء» بالتنوين، فوجه النصب فيها إمّا على التفسير أي التمييز وهو قول الفراء كما سبق ذكره، أو على المصدر كما ذهب إليه الطبري.

-الآية الثانية بعد المائة وهي قوله تعالى:﴿ **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء** ﴾[72] .

بيّن الفرّاء أنّ قوله تعالى: «أفحسب» من هذه الآية الكريمة قرأه أصحاب عبد الله بن مسعود ومجاهد بكسر السين على أنه فعل ماض عمل النصب في «أن يتخذوا»، وأن علي بن أبي طالب قرأه «أفحسب» بإسكان السين على أنه اسم مبتدأ عمل الرفع في قوله تعالى: «أن يتخذوا»[73].

إنّ قراءة «أفحسِب» بكسر السّين هي قراءة العامة على أنّه فعل ماض ناسخ ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وقد سد «أن يتخذوا» مسدّ المفعولين[74]، ويدل على أنّ «حسب» هنا بمعنى «ظنّ» قراءة ابن مسعود: «أفظن الذين كفروا»[75]. أمّا قراءة «أفحسب» بإسكان السّين، فقد قرأ بها عليّ بن أبي طالب وابن عباس-عليهما السلام-وابن يَعمر والحسن ومُجاهد وعكرمة وقتادة وابن كثير بخلاف ونُعَيْم بن مَيسرَة والضحاك ويعقوب وابن أبي ليلى[76]، وأوّل الزمخشري هذه القراءة بـ: أفكافيهم ومحسبهم أن يتّخذوا أولياء، على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل، لأنّ اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك: أقائم الزيدان، واعتبرها قراءة محكمة جيدة على معنى أنّ ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا[77].

وذهب أبو حيان الأندلسي إلى أن «حسْب» مبتدأ، و«أن يتخذوا» خبره، ولم يجوّز ما ذكره الزمخشري من أن «حسب» عاملة عمل الفعل، لأنّها ليست باسم فاعل، ولا يلزم من تفسير شيء بشيء أن تجري عليه جميع أحكامه[78].

وبهذه الآية الكريمة وما احتوت عليه من قراءات أنهي كلامي هذا موضحة أن توجيه القراءات نحويًا له أهمية كبرى في الكشف عن معاني القراءات المختلفة ودلالتها وأنّ القراءات القرآنية تعدّ مصدرًا مهمًا لكثير من العلوم الإسلامية واللغوية منها علم النحو، وأنّ القراء كانوا يستعينون بتوجيهات النحاة وقواعدهم لتوثيق ما يقرأون بالدراية، كما كان النحاة يستعينون بمسندات القراء لتوثيق ما يوجهون بالرواية، بمعنى إن القراء كان اعتمادهم على السند والرواية بينما كان اعتماد النحاة في الغالب على القياس والرواية، كما أبيّن أنني اعتمدت في دراسة سورة الكهف على الفراء ابتداءً كونه أوّل من ألف في نحو القراءات في معانيه "وهو معدود في طبقات القراء"[79] بل إن الكوفيين هم أوّل من ألف في هذا الاتجاه إذ سلكوا طريق التقعيد على نحو القراءات كما فعل الفراء في معانيه.

وعلى هذا أقول إن علم القراءات من العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى، لأن روايتها هي أوثق الشواهد وأوكدها.

كما أنني اعتمدت في كتابه الآيات القرآنية على رواية ورش عن نافع.

وفي الأخير، أرجو أن أكون قد وفقت فيما إليه قصدت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

1 ـ الكهف: 5.

2 ـ معاني القرآن، الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور، ج2 ، ص 134.

3 ـ الكهف: 29.

4 ـ جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، ط2 ، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م، ج8، ص 176.

5 ـ مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، حققه وعلق عليه ياسين محمد السواس، ط3, دار اليمامة، دمشق، بيروت، 1423هـ-2002م، ص413.

وانظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، تحقيق وتعليق موسى عامر، مراجعة الطبع الدكتور شعبان محمد اسماعيل، ط2, دار المصحف، ط2, القاهرة، 1397هـ-1977م، ج3, ص198. وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، العكبري، راجعه وعلق عليه نجيب الماجدي، ط1, الدار النموذجية، صيدا، بيروت، 1423هـ-2002م، ص348. والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط5, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ-1996م، مج5, ج10, ص229. وتفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوض، شارك في تحقيقه الدكتور زكريا عبد المجيد النوني والدكتور أحمد النجولي جمل، قرظه الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط1, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1993م، ج6, ص96.

6 ـ معاني القرآن، الأخفش الأوسط، حققه فائز فارس، ط1, الكويت، 1400هـ-1979م، ج2, ص394.

7 ـ الكهف: 29.

8 ـ الكشاف: ج3, ص198.

9 ـ تفسير البحر المحيط: ج6, ص95.

10ـ الكشاف:ج3, ص198. وانظر: تفسير البحر المحيط، ج6, ص95.

11ـ الصف: 3.

12ـ انظر: اعراب القرآن، الزجاج، تحقيق ودراسة ابراهيم الأبياري، ط3, دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م، ج1, ص293.

13ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم وعبد الفتاح اسماعيل شلبي، القاهرة، مصر، 1386هـ-1969م، ج2, ص24. وانظر: إعراب القرآن للنحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، ط3, عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1409هـ-1988م، ج2, ص447, 448 . والجامع لأحكام القرآن، مج5,ج10, ص229, 230. وتفسير البحر المحيط، ج6 ، ص 96.

14ـ إعراب القرآن، النحاس، ج1, ص293.

وانظر: الجامع لأحكام القرآن، مج5, ج10, ص229.

15ـ إعراب القرآن، النحاس، ج2, ص448.

وانظر: معاني القرآن، الأخفش، ج2, ص393. والمحتسب، ج2, ص24.

ومشكل إعراب القرآن، ص413, والكشاف، ج3, ص96, ص198.

16ـ الكهف: 25.

17ـ انظر: معاني القرآن، الفراء، ج2, ص138.

18ـ جامع البيان، ج8, ص211, 212.

19ـ السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1972م، ص389 ، 390. وانظر: حجة القرّاءات، أبو زرعة، حققه وعلق حواشيه سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط1, بيروت، لبنان، 1394هـ-1974م، ص414. وإعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالوية، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1, القاهرة، 1413هـ-1992م، ج1, ص389. والتيسير، أبو عمرو الداني، عني بتصحيحه أوتورِ تزل، استانبول، 1930, ص143. والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته الأستاذ علي محمد الضياع، دار الفكر، ج2, ص210. واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطي، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، ط1, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، ص365.

20 ـ الحجة في القراءات السبع، ص223.

21ـ الجامع لأحكام القرآن، مج5, ج10, ص252.

22 ـ إعراب القرآن، النحاس، ج2, ص453, 454.

وانظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ج1, ص389 ، ومشكل إعراب القرآن، ص416. والجامع لأحكام القرآن، مج5, ج10, ص252.

23 ـ الكشاف، ج3 ، ص 250.

وانظر: الجامع لأحكام القرآن، مج5 ,ج10 ، ص 252.

24 ـ السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص389.

25 ـ النشر في القراءات العشر، ج2, ص210.

وانظر: إتحاف فضلاء البشر، ص365.

26 ـ الكشاف، ج3, ص204.

27 ـ الحجة في القراءات السبع، ص223.

28 ـ منهم الطبري كما سبق ذكره.

29 ـ حجة القراءات، أبو زرعة، ص414.

30 ـ مشكل اعراب القرآن، ص414.

31 ـ املاء ما من به الرحمن، ص350.

وانظر: التبيان في اعراب القرآن، العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، ط2, دار الجيل، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م، ج2, ص844.

32 ـ الكهف: 26.

33 ـ معاني القرآن، الفراء، ج139.

34 ـ السبعة في القراءات، ص390.

وانظر: حجة القراءات، أبو زرعة، ص415. وإعراب القراءات السبع وعللها، ج1, ص393. والتيسير، الداني، ص143. والجامع لأحكام القرآن، مج5, ج10, ص252. وتفسير البحر المحيط، ج6, ص113. والنشر في القراءات العشر، ج2، ص310. وإتحاف فضلاء البشر، ص365.

35 ـ الحجة في القراءات السبع، ص223.

وانظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ج1, ص393. والتبيان في إعراب القرآن، ج2 ، ص844 . والجامع لأحكام القرآن، مج5 ، ج10 ، ص 252.

36 ـ الكشاف، ج3 ، ص 204.

37 ـ المرجع نفسه.

38 ـ الجامع لأحكام القرآن، مج5, ج10, ص252.

39 ـ تفسير البحر المحيط، ج6, ص113.

40 ـ حجة القراءات، أبو زرعة، ص415.

وانظر: الحجة في القراءات السبع، ص223 . وإعراب القراءات السبع وعللها، ج1, ص393.

41ـ الكهف: 39.

42 ـ وضمير فصل عند البصريين.

43 ـ معاني القرآن، الفراء، ج2 ، ص145.

44 ـ جامع البيان: ج8 ، ص225.

45 ـ تفسير البحر المحيط، ج6,, ص223.

46ـ الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط1, دار الجيل، بيروت، لبنان، 1411هـ ـ1991م، ج2، ص392.

47 ـ إعراب القرآن، ج2 ، ص457.

وانظر: مشكل إعراب القرآن، ص417. والبيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري، ضبطه وعلق على حواشيه بركان يوسف هبُّود، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ج2, ص88 . والتبيان في إعراب القرآن، ج2, ص848 . والجامع لأحكام القرآن، مج5, ج10, ص265.

48ـ إعراب القرآن، النحاس، ج2, ص457.

وانظر: مشكل إعراب القرآن، ص417. والتبيان في إعراب القرآن، ج2, ص848. وتفسير البحر المحيط، ج6 ، ص123.

49ـ الجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10 ، ص265.

50 ـ تفسير البحر المحيط، ج6، ص123.

51 ـ إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص457.

وانظر: تفسير البحر المحيط، ج6، ص123.

52 ـ الكهف: 44.

53 ـ معاني القرآن، الفراء، ج2، ص146.

54 ـ جامع البيان، ج8، ص228.

55 ـ السبعة في القراءات، ص392.

وانظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ج1، ص296. والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، مكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، ط5 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م، ج1، ص296. والتيسير الداني، ص143. والنشر في القراءات العشر، ج2، ص311.

56 ـ الحجة في القراءات السبع، ص224.

وانظر: القراءات السبع وعللها، ج1، ص396. ومشكل إعراب القرآن، ص418. والكشاف، ج3، ص209. والتبيان في إعراب القرآن، ج2، ص849.

57 ـ مشكل إعراب القرآن، ص418.

58 ـ تفسير البحر المحيط، ج6، ص124.

وانظر: إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص459. وإعراب القراءات السبع وعللها، ج1، ص396. والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، ج1، ص63. ومشكل إعراب القرآن، ص418.

59 ـ مشكل إعراب القرآن، ص418.

60 ـ البيان في غريب إعراب القرآن، ج2, ص89.

61 ـ تفسير البحر المحيط، ج6، ص124.

62 ـ الكشاف، ج3، ص209.

63 ـ الكهف: 88.

64ـ معاني القرآن، الفراء، ج2، ص159.

65ـ يوسف: 109.

66ـ البينة: 5.

67ـ جامع البيان، ج8، ص275، 276.

68ـ السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص398.

وانظر: إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص471. وحجة القراءات، أبو زرعة، ص430. والتيسير، الداني، ص145. والنشر في القراءات العشر، ج2 ، ص315.

69 ـ الحجة في القراءات السبع، ص230

وانظر: حجة القراءات، ص430. ومشكل إعراب القرآن، ص422 . والجامع لأحكام القرآن، مج6 ، ج11 ، ص 36.

70ـ حجة القراءات، ص430.

71ـ إعراب القرآن، النحاس، ج2 ، ص471.

وانظر: مشكل إعراب القرآن، ص422. والجامع لأحكام القرآن، مج6 ،ج11 ، ص36

72ـ الكهف: 102.

73ـ معاني القرآن، الفراء، ج2 ، ص160، 161.

74ـ إملاء ما من به الرحمن، ص357.

وانظر: التبيان في إعراب القرآن، ج2 ، ص862 ، 863.

75ـ الكشاف، ج3 ، ص221.

وانظر: تفسير البحر المحيط، ج6 ، ص157.

76ـ المحتسب: ابن جني، ج2 ، ص 34

وانظر: الكشاف، ج3 ، ص221 . وتفسير البحر المحيط، ج6 ، ص157.

77ـ الكشاف، ج3 ، ص221.

78ـ تفسير البحر المحيط، ج6 ، ص157.

79ـ غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، عُني بنشره، ج، براجستراسرا (G.Bergstrasser)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1352هـ ـ1993م، ص371.

تراث الإمام عبد الحميد ابن باديس: إحصاؤه

أ.د. محمد بن سمينة
جامعة بن يوسف بن خدة - الجزائر-

إن عملية جمع تراث الأمة والقيام بتحقيقه ونشره قد أخذت من الدارسين والمحققين القدماء والمحدثين عناية بالغة وحظوة كبيرة، وقد حاول أن يسير على خطى هؤلاء وينهض بهذه المهمة - مع تباين الظروف واختلاف الإمكانات - بعض المعاصرين . وكان الدافع الذي دفع هؤلاء وأولئك إلى النهوض بهذه المهمة يكمن في الرغبة في إحياء تراث الأمة ونشره، خدمة للعلم والمعرفة ، وإسهاما في إثراء مسيرة الحضارة الإنسانية .

ويدخل في هذا الإطار ما قام به بعض الدارسين في هذا العصر بجمع آثار بعض أعلام الجزائر في القديم وفي الحديث.

ويأتي في مقدمة من تركزت عناية الباحثين بجمع تراثه ونشره من الأعلام الجزائريين المعاصرين الإمام عبد الحميد ابن باديس ، وذلك للأهمية العلمية والتاريخية التي يتميز بها هذا التراث ، ولما يؤرخ له هذا التراث من جهاد الإمام وتضحياته من أجل وطنه وأمته والإنسانية.

ويحاول هذا البحث أن يقترب من معالجة هذا الموضوع: استقراء واستقصاء، تحقيقا وتوثيقا، وسيتركز النقاش لإجلاء ذلك في المحاور التالية:

أولا- الإسهامات الأولى للإمام ابن باديس في ميدان الكتابة

نبادر بالقول أ نّ الإسهامات الأولى للإمام عبد الحميد ابن باديس في ميدان الكتابة يمكن أن يؤرخ لها بأواخر العقد الثاني من القرن العشرين، وذلك على صفحات أولى الجرائد التي صدرت في هذه الفترة مع بزوغ فجر النهضة الوطنية ، ومن أهمها: (النجاح 1919)، (الإقدام1920)، (صدى الصحراء 1924)، (المنتقد 1925)، (الشهاب 1925)، (السنة 1933)، (الصراط 1933)، (الشريعة 1933)، (البصائر 1935) .

وقد كانت هذه الصحف وغيرها السجل الأمين لما عرفته بدايات النهضة الوطنية من نتاج أدبي وفكري وسياسي، وغير ذلك من ألوان الكتابة لمعظم المصلحين والمفكرين والأدباء الجزائريين في العصر الحديث. وقد ظل أغلب ما نشر يومئذ لهؤلاء من أعمال مقصورا على صفحات هذه الدوريات ، ولم ينشر من ذلك في مرحلة ما قبل النهضة أو أثناءها على شكل كتب داخل الجزائر أو خارجها إلا القليل من المصنفات، ولم تعرف حركة التأليف شيئا من عافيتها في الجزائر إلا بعد أن أشرقت شمس الحرية على ربوعها، وتحرر الشعب الجزائري من أسره واستعاد سيادته على مجرى حياته و مقدراته فجر اليوم الخامس من جويلية 1962 .

وقد عرفت حينئذ عملية نشر شيء من تراث أعلام الجزائر شيئا من الحركة ، وكان في طليعة ما جمع ونشر من ذلك أعمال أعلام النهضة ، وتأتي آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس في مقدمة ذلك .

ثانيا - المبادرات الأولى في عملية نشر تراث ابن باديس

تحسن الإشارة إلى أن الإمام ابن باديس لم يقم في حياته بنشر نتاجه بين دفتي كتاب، ماعدا رسالة صغيرة سماها (رسالة جواب عن سؤال) كتبها إجابة عن بعض الأسئلة التي وجهت إليه في بعض القضايا المختلفة، وقد نشرتها المطبعة الإسلامية الجزائرية ـ قسنطينة ـ . 1938

وقد كان الإمام زاهدا في نشر أعماله ، مشتغلا عنها بمختلف ما كان يضطلع به من مهام و أعمال ، ومسؤوليات .. و يروى بعض المعاصرين أنه سئل عن ذلك ، فأجاب بما معناه » شغلني تأليف الرجال عن تأليف الكتب « ينظر (آثار الإمام 6 : 376) .

وكانت فكرة نشر آثاره قد راجت بين تلامذته بعد وفاته- رحمه الله - (16 أفريل 1940) .

و لكن الظروف العسيرة التي كان يعيشها الوطن آنذاك تحت نير سلطة المحتلين ، لم تكن لتسمح بأكثر مما قام به تلميذه أحد شهداء الكلمة المجاهدة في الجزائر، وهو الشهيد (أحمد بوشمال) بنشره بعض المقالات من تفسير أستاذه الإمام (المطبعة الجزائرية الإسلامية) قسنطينة 1367 / 1948 .

وتحسن الإشارة إلى أن هذه المحاولة لم تكد تتجاوز نشر بعض المقالات من تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) .

وتأتي المبادرة الثانية على هذا الطريق بعد الاستقلال، وقد كان رائدها أحد تلامذة الإمام أيضا، و هو الشيخ محمد الصالح رمضان الذي بادر بنشر جملة من آثار الإمام وهي:

1 ـ العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (الجزائر 1963)

2 ـ تفسير القرآن الكريم (الجزائر، 1964)

3 ـ من هدي النبوة (الجزائر، 1964)

4ـ رجال السلف و نساؤه (الجزائر، 1964)

وتتميز هذه المحاولة بذهابها إلى أبعد من سابقتها، باشتمالها على نشر مجموعة من أعمال الإمام، وقد وقف فيها صاحبها فيما جمعه من تراث الإمام موقف العالم المحقق الموثق الأمين.

و تتوالى حلقات سلسلة الوفاء للأستاذ الإمام ولتراثه، فيدخل الميدان تلميذ ثالث، و هو الأستاذ محمد الطاهر فضلاء ـ رحمه الله ـ فيقوم بنشر بعض آثار الشيخ في كتابه (قال الشيخ الرئيس) (الجزائر، 1968). ويقف فضلاء في عمله هذا دون موقف سابقه الشيخ محمد الصالح رمضان باقتصاره فيه على جمع بضعة نصوص متفرقة من تراث الإمام.

ونخلص إلى القول في ختام هذا الفقرة عن المحاولات الأولى في حقل جمع تراث ابن باديس أن القائمين بها حسبهم أنهم كانوا فيما نهضوا به

فيها، بما جمعوا من تراث الإمام جادين مخلصين ، ولجهود الإمام مكبرين مقدرين ، وبأعماله معتزين فخورين ..

ثالثا - نقلة عملية نشر تراث الإمام من مبادرات الأفراد إلى عناية الهيئات

لقد عرفت عملية نشر تراث الإمام في الفترة ما بعد الاستقلال تطورا ملحوظا ، فظهرت في هذا الحقل محاولتان كانتا أكثر إحاطة وأكثر شمولية مما سبق، وقد تجلى ذلك في قدرة هاتين المحاولتين على نشر معظم تراث الإمام بتأثير ما كان من ورائهما من جهود جماعية (مؤسسات نشر وهيئات سياسية)، وقد تمت هاتان العمليتان على مرحلتين :

1 - ظهرت المبادرة الأولى سنة 1968. وقد قام بإعداد وتصنيف محتواها الدكتور عمار الطالبي بالتعاون مع دار ومكتبة الشركة الجزائرية. وتشتمل هذه النسخة على أربعة أجزاء (طبع دار اليقظة العربية، دمشق ـ سوريا، 1388/ 1968) .

2 -أما العملية الثانية فقد قامت بها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر ، واشتملت هذه النسخة على ستة أجزاء من تراث الإمام ،(طبع دار البعث قسنطينة ـ الجزائر) ، وظهرت الأجزاء الأولى منها سنة(1982) ، وتتابع ظهور الأجزاء المتبقية إلى (1996) .

ونأتي إلى شيء من تفصيل الكلام عن هاتين النسختين: محتوى وبنية، فماذا عن ذلك ؟

1 ـ النسخة الأولى من تراث ابن باديس : الخطة والمنهج

تشتمل هذه النسخة التي أعدها الدكتور عمار الطالبي على أربعة أجزاء، نهض الجزء الأول منها ببعض تفسير الإمام، و اشتمل الثاني على بقية هذا التفسير و شرح الأحاديث النبوية الشريفة.

وتضمن الجزء الثالث جملة من الأشكال النثرية: المقالات، الخطب، الرسائل.

وإذا كان الجزآن : الأول والثاني قد اقتصر محتواهما على مادة التفسير والحديث، فإن الجزء الثالث قد تنوعت مادته: مضامين وأشكالا.

وجاء الجزء الرابع والأخير على هذه الشاكلة نفسها، جامعا ما بين جملة من الفنون النثرية: المحاضرة والمقالة.

وكان المنهج العلمي يقتضي أن يكون مكان هذين الفنين في غير هذا الجزء، ومن ذلك:

محاضرة الشيخ (تبليغ الرسالة ـ الجزء 4، ص 11) . و مقاله (محمد صلى الله عليه و آله و سلم رجل القومية العربية ـ الجزء نفسه، ص17). ومجموعة من المقالات بلغت سبع حلقات تحت عنوان (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ـ الجزء نفسه ـ من: ص 375 إلى: ص 707).

إن المتأمل في هذه الموضوعات، وهي جميعها ذات موضوع واحد متصل بالسنة النبوية الشريفة، يدرك أن المنهج العلمي يقتضي أن يكون مكانها في الجزء الثاني الذي سبق أن رأينا أنه نهض بمثل هذا الموضوع، ولا تكون في هذا الجزء الرابع الخاص بموضوعات أخرى.

وإن الناظر في محتوى هذه النسخة في ضوء هذه الصورة المتقدمة، يلحظ أنها لم تلتزم في تقديم مادة تراث الشيخ خطة معينة، فلا هي أخذت بالمنهج الموضوعي فعرضت ذلك التراث في محاور فكرية ، ولا هي التزمت بالمنهج الفني فأخرجت مادة هذا التراث حسب أشكاله الفنية، ولا هي رتبت وحدات هذا التراث في ضوء المنهج التاريخي ترتيبا زمنيا .

فجاءت لذلك خطة هذه النسخة بأجزائها الأربعة قلقة و مضطربة تأخذ في جزء بما لا تأخذ به في غيره من الأجزاء الأخرى. ويمكن في ضوء ذلك تسجيل هذه الملاحظ:

1 ـ إن هذه النسخة لم تشتمل على جميع ما ترك الإمام من آثار علمية، و قد فاتها من ذلك قدر ليس بالقليل. وقد قام صاحبها بما يقوم عليه المنهج العلمي ويوصي به في مثل هذه الحال من أمانة ودقة، بقيامه بالإقرار بأنه لم يرجع في جمع مادة نسخته إلى بعض الصحف التي كان ينشر فيها الإمام نتاجه، وهي المصدر الأساسي الأول الذي كانت أعمال الإمام وأعمال غيره من الجزائريين ترى النور على طريقه. لا أزعم أنه قد أتيح لي أن أعثر على جميع آثار ابن باديس، لأنه قد أملى إملاءات كثيرة على طلابه ، وما تزال مخطوطة أو مبعثرة أو مفقودة، وحتى المطبوع من آثاره لم أجمعه كله. (ج1: 96)

2 ـ تميزت هذه النسخة بالتقديم الذي خصها به المفكر الجزائري الأستاذ مالك بن نبي، فألقى فيه بعض الأضواء على منهج الإمام،

وإسهاماته الرائدة، وجهوده المحمودة، في الحركة الإصلاحية وحركة النهضة الوطنية، كما تميزت هذه النسخة أيضا بذاك المدخل الذي حاول محققها أن يرسم فيه صورة معبرة عن الحياة الفكرية و الاجتماعية والسياسية في الجزائر، وهي تخطو خطواتها الأولى على طريق النهضة الحديثة في هذا العصر .

3 ـ اشتملت هذه النسخة على جملة من الفهارس العامة الخاصة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأشعار والأعلام والأماكن والبلدان، والمصادر والمراجع، والموضوعات.وإن هذه الفهارس ستساعد ـ ولاشك ـ القارئ في عملية الوقوف على الملابسات المختلفة المتصلة بتراث الإمام واستيعاب موضوعاته وحقائقه .

4 ـ حاولت هذه النسخة أن تقدم مادة تراث الإمام على محاور موضوعية، ولكنها لم تستطع أن تلتزم بذلك كما لم تستطع أن تأخذ بالمنهج التاريخي في عرض مادة المحور الواحد، فجاءت المادة فيها لذلك متداخلة مضطربة لا يجمعها موضوع، ولا تشملها رؤية فنية، ولا يضبطها تاريخ، وقد أقر الأستاذ صاحب هذه النسخة مرة أخرى ببعض ذلك، فقال في هذا الصدد: «حاولت أن أصنف هذه الآثار إلى أقسام حسب موضوعاتها وأغراضها، وإن كان هذا التصنيف غير دقيق لتداخل الموضوعات والأغراض ، ومن ثم جاء تصنيفا تقريبيا» . (ج1 : 96)

2 ـ النسخة الثانية من تراث ابن باديس : الخطة والمنهج

استطاعت هذه النسخة من تراث الإمام ابن باديس التي قامت وزارة الشؤون الدينية بإعدادها ونشرها أن تصل في جمع تراث الإمام إلى أبعد مما وصلت إليه النسخة الأولى وغيرها من المحاولات السابقة في هذا الحقل ، فقد وصلت في ذلك إلى نشر ستة أجزاء من تراث الإمام ، كان أولها قد ظهر (1982)، وآخرها قد ظهر (1994)، ويعني هذا أن العمل في هذه النسخة قد استغرق وقتا طويلا، حوالي اثنتي عشرة سنة .

وقد اشتمل الجزء الأول من هذه النسخة على تفسير الإمام، وما يتصل به كمحاضرته (العرب في القرآن)، وخطبته في حفل تكريمه بمناسبة ختمه التفسير.

وتضمن الجزء الثاني شرح الحديث والسنة وما يتصل بهما من مقالات وخطب ، و يبدو من خلال مادة هذين الجزء ين أن هذه النسخة قد اعتمدت في تقديم تراث الإمام على المنهج الموضوعي، ومن ثم فقد استطاعت أن تستدرك ما كنا قد رأينا أنه فات النسخة الأولى من هذه الناحية ، بنشرها ضمن هذين السفرين ما يرتبط بهما موضوعيا من آثار الإمام .

وأما الجزء الثالث فقد تضمن هذه الأقسام: تراجم السلف، تراجم الخلف، القصص، الفتاوى. ويبدو من هذا التقسيم أن هذا الجزء قد انتهج خطة جديدة في معالجة المادة بعرضه إياها وفق ما ظهرت فيه من أشكال فنية (المنهج الفني).

وجاء الجزء الرابع على النحو التالي: التربية والتعليم، الخطب، الرحلات، وبهذا قد جمعت هذه النسخة في هذا الجزء ما بين الخطة الموضوعية و الخطة الفنية.

وجاء الجزء الخامس على هذه الخطة التالية: الإصلاح، السياسة، الاجتماعيات، التاريخ، البرقيات، الاحتجاجات، الفواتح والخواتم.

وإن الناظر في تسلسل هذه العناصر في هذا الجزء يدرك أن هذه النسخة ، قد تخلت أو تكاد عن المنهج الفني القائم على الأطر الشكلية للمادة الفكرية والأدبية الذي انتظمت فيه المادة في الجزء الثالث، ورجعت من جديد إلى المنهج الموضوعي الذي استهلت به عملها في الجزء ين الأول و الثاني .

وجاء الجزء السادس والأخير على شاكلة جديدة، وطريقة مغايرة لكل ما سبق في غيره من الأجزاء، ذلك أن هذه النسخة لم تلتزم في هذا الجزء لا بالمنهج الموضوعي، و لا بالمنهج الفني، وإنما انتظمت المادة فيه على اختلاف حقائقها الموضوعية وأطرها الفنية وفق المنهج التاريخي، فجاءت أعمال كل سنة (مقالات وخطب وغيرها) إلى جانب بعضها، ابتداء من تاريخ بداية نشرها في الصحف سنة 1924, وانتهاء ذلك بعام 1939 . ونلحظ أن الموضوعات في هذا الجزء قد تداخلت، كما توزعت المادة على معظم ما اختاره الإمام لموضوعاته وأفكاره من أطر وأشكال وقوالب .

رابعا ـ تحقيق وملاحظ

يمكن القول أن المتأمل فيما اصطنعته هذه النسخة من صور متعددة لخطتها المعتمدة في إخراج تراث الإمام، يدرك مدى اختلاف وجوه الصورة التي بدت عليها من جزء إلى آخر. و يمكن في ضوء ذلك تسجيل جملة من الملاحظ :

1 ـ استطاعت هذه النسخة أن تجمع أكبر قدر من آثار الإمام، فوصلت في ذلك إلى أبعد مما وصلت إليه الجهود السابقة عليها في هذا المجال.

2 ـ حفل كل جزء من هذه النسخة ـ على خلاف سابقتها ـ بمقدمة، عنيت بالتعريف بما يتضمنه الجزء المعني من موضوعات، و ما يرمي إليه من مقاصد.

3 ـ حاولت أن تصحح ما ورد في بعض النصوص من أخطاء مطبعية.

4 ـ لم تلتزم النسخة في عرض تراث الشيخ خطة واحدة، و إنما توزعت المادة في أجزائها ما بين عدة مناهج، و قد ترتب عن ذلك أن جاءت أعمال الإمام متداخلة، مضطربة و مكررة، و كانت المادة في الموضوع الواحد مبثوثة في أكثر من جزء ، كما كانت الأطر النشرية موزعة، على معظم الأجزاء ، فقد جاءت خطب الإمام ـ وقد خصصت لها النسخة محورا في الجزء الرابع ـ متناثرة في هذه الأجزاء التالية: (1، 2، 5، 6)، و كذلك جاءت محاضراته و رسائله موزعة ما بين هذه الأجزاء الثلاثة (4 ، 5 ، 6) .

5 ـ جاءت بعض النصوص في هذه النسخة مكررة في أكثر من جزء، ويمكن التمثيل لبعض ذلك بما يلي:

ا ـ (رسالة الشيخ إلى الطلبة) نشرت في الجزء ين (4: 101) ثم في: (6: 124)

ب ـ (رسالته إلى شعب الجمعية): (5 : 127) ثم في: (6: 125)

ج ـ (مقاله الزوايا و غاياتها) (5: 167) ثم في: (6: 277).

دـ (نداء ه إلى رئيس المؤتمر): (5 : 355) ثم في: (6 : 170)

هـ (دعوة و بيان إلى عموم الشعب) (5: 332) ثم في: (6: 172)

وـ(حول قانون 8 مارس المشؤوم ، كيف فهمت الأمة معاكسته لتعليم الدين و العربية ؟) (4 : 143) ثم في : (6 : 355)

زـ(ماذا في جبال الأوراس : محاربة القرآن و تعذيب السكان) (5: 404) ثم في :(6 : 242)

ح ـ (حول كارثة سوف الأليمة ثم سكوت) (5: 394) ثم في: (6: 221)

ط ـ(كلمة قالها الرئيس) (5: 306) ثم في: (6: 151).

كما سقطت من هذه النسخة فقرة من مقال الإمام وهي:(حق النساء في التعليم) (2: 158) وقد وردت هذه الفقرة في النسخة الأولى (2: 199).

6 ـ كان من المتوقع أن تستدرك هذه النسخة ما فات غيرها، و تتسم بقدر أكبر من الدقة و الإحكام و التنظيم وحسن التبويب، وذلك لما استغرقته من وقت وتوفر لها من إمكانات، إلا أنها لم تستطع أن تفعل ذلك و تفيد مما أتيح لها الإفادة المطلوبة، مما جعلها تظهر بذاك المظهر المضطرب غير المنتظم وغير الدقيق .

7 ـ بيد أن من ينظر إلى صعوبة هذه المهمة التي تصدت للقيام بها هذه النسخة ، أن يقدر طبيعة الملابسات التي اكتنفتها، و صدق الجهود المبذولة للنهوض بها ، ذلك أن الإمام كان ينشر أعماله في صحف عديدة، وكانت هذه الصحف بالأمس معرضة بين الحين و الآخر إلى المصادرة ، وهي اليوم متناثرة في أكثر من مكان ، مغلقة عليها الأبواب في أكثر من مبنى القليل منها داخل البلاد ومعظمها خارجها ، مما يجعل عملية جمع وتحقيق ما نشر بها من أعمال الجزائريين تتطلب غير قليل من الجهد والصبر والتروي .

8 ـ و كان الإمام ـ للظروف التي كانت تحياها الجزائر يومئذ تحت نير سلطة فرنسا (دولة القانون ، والحقوق الإنسانية ، والمدنية ، والحرية ..؟!) ـ يضطر أحيانا ليوقع أعماله بأسماء مستعارة، و قد نشر بعضها أحيانا غفلا من أي توقيع.

و يمكن أن يتضح مما تقدم أن عملية جمع تراث الشيخ بالصورة التي يوجد عليها في الدوريات والقيام بتحقيقه، لم تكن بالعملية السهلة التي قد يتوقعها من لم يمارسها ، وإنما كانت تستدعي جهدا كبيرا وصبرا عظيما للقيام بما يتطلبه العمل في هذا الحقل من بحث و جمع وتحقيق وتوثيق ، وحسب القائمين على نشر تراث الشيخ أنهم بذلوا في هذا المضمار مخلصين ، ما وسعهم الجهد فاستطاعوا أن يجمعوا أكبر قدر من ذلك التراث ، و يمكن أن تصل الجهود المتعاضدة على هذا الطريق إلى ما قد يكون ما يزال مغمورا مجهولا من ذلك التراث .

ومما قد زاد في صعوبة هذه العملية أن الإمام كان ينشر أعماله تارة باسمه الصريح عبد الحميد بن باديس ، وتارة ينشرها بتوقيعات أخرى عديدة هي : ابن الإسلام ، العبسي ، الجزائري ، القسنطيني ، الصنهاجي ...

و يروي بعض المعاصرين من بينهم: (أحمد حماني، حمزة بوكوشة، محمد الصالح رمضان ، وغيرهم) أن ما قد نشر من آثار في الصحف الوطنية بواحد من هذه التوقيعات السابقة ، إنما هو بالتأكيد لابن باديس، وليس لغيره ، و قد أكد الإمام نفسه على ذلك بإقراره أنه كان يوقع نتاجه بواحد من هذه الإمضاءات ، و هو (القسنطيني) ، و لما وقف في بعض الصحف على من يوقع بهذا التوقيع أعلن أنه رفع يديه عن هذا اللقب (ينظر الشهاب : ع 58 -27 سبتمبر 1926) .

و يمكن القول في ضوء هذا الإجماع أن المقالات الممهورة بواحد من الإمضاءات المذكورة آنفا ، لا يشك في صحة نسبتها إلى الإمام ، و إنما يبقى شيء من الإشكال قائما فيما يصادف الباحث من آثار غفلة من التوقيع ، فإن تحقيق ذلك و الوصول فيه إلى ما يطمئن إليه المنهج العلمي يحتاج إلى غير قليل من النظر و التمحيص والتحقيق ، و قد وصل بشيء من ذلك بعض من تقدم ذكرهم ممن تصدوا لجمع ونشر تراث الإمام إلى نسبة كثير من تلك الأعمال له ، و قد سار على هذا الطريق أيضا الدكتور محمد ناصر فاجتهد في نسبة بعض ذلك إلى الشيخ (ينظر المقالة الصحفية الجزائرية 2 : 239 ـ 275) .

خامسا ـ العثور على نصوص مجهولة من تراث الإمام

1 – إن قيام صاحب هذا البحث بالرجوع إلى آثار الإمام في مظانها الأساسية وفي مصادرها المعتمدة بعين النقد والتمحيص والمقارنة قد أدى به إلى العثور على مجموعة أخرى من آثار الإمام في الشهاب بدون إمضاء، و قد أمكن بشيء من النظر بعين التحقيق في الموضوعات المعالجة، ومقارنتها بما عرف عن الإمام من اهتمامات، و بما تميزت به شخصيته وثقافته وأسلوبه من سمات ، ترجيح صحة نسبة بعض تلك الأعمال للإمام ، و من بينها :

أ ـ كلمة في رثاء الشيح محمد بن أبي شنب : (مجلة الشهاب : ج 2 م 5 (شوال 1347/ مارس 1929) ص29) .

ب ـ تقديم ديوان أبي اليقظان: (مجلة الشهاب: ج10، م7(جمادى الثانية 1350/ أكتوبر 1935) ص 656).

ج ـ انتصار الإصلاح على الخرافة و الجمود (الشهاب: ج4، م11(ربيع الثاني1354/ جوليت 1935) ص212)

2 ـ يروي الشيخ محمد الصالح رمضان أن للإمام بعض الأمالي في اللغة و الأدب ما تزال مجهولة و يشير إلى مثل ذلك الدكتور عمار الطالبي (النسخة الأولي ـ1: 96) .

3 ـ يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه : (تجارب في الأدب والرحلة، ص 100) أن لابن باديس تقريظا لرسالة الشيخ الطاهر العبيدي (النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء و الصوفية) 6 ـ يذكر الشيخ حمزة

بوكوشة في مقال له عن الشيخ المجاوي مجلة الثقافة، ع 10 (رجب 1392 / سبتمبر 1972) ـ ص 13) ، أن لابن باديس خطبة و قصيدة في رثاء الشيخ عبد القادر المجاوي .

7 ـ يعثر صاحب هذا العمل على ثلاث رسائل مجهولة للإمام، وردت اثنتان منها في كتاب محمد الطاهر فضلاء (قال الشيخ الرئيس ص 414 ، 416)، كان الإمام قد أرسل أولاهما إلى والد الكاتب فضلاء: الشيخ السعيد البهلولي. وبعث ثانيتهما إلى أخيه: الأستاذ محمد الحسن فضلاء رحمة الله عليهم جميعا ، و وردت الثالثة في كتاب الدكتور مازن صلاح مطبقاني (عبد الحميد بن باديس: العالم الرباني والزعيم السياسي، ص64) كان الإمام قد أرسلها إلى الأميرة الأستاذة بديعة حفيدة الأمير عبد القادر مديرة مدرسة (دوحة الأدب بدمشق سوريا) .

8 – كما يعثر الباحث على فقرة نسبها الدكتور أحمد بن نعمان للإمام في كتابه (التعريب بين المبدأ و التطبيق، ص 290).

سادسا ـ نصوص من تراث ابن باديس منسوبة لغيره

يصادف الباحث ـ و هو في هذا الطريق يجمع و يحقق تراث الإمام ـ أن الأستاذ أحمد توفيق المدني قد نسب إلى نفسه في كتابه (حياة كفاح ج 2: ص 62) إحدى مقالات الشيخ (كلمة صريحة) المنشورة في (النسخة الثانية (من تراث الإمام (ينظر ج 5 :ص292). إلا أن بعض المعاصرين من تلامذة الشيخ و إخوانه في الحركة، لم يسكتوا عن ذلك

وجمعوا على أن هذا النص للإمام و ليس لغيره، و تتضافر جملة من العوامل على ترجيح هذا الرأي من أهمها :

1ـأن توفيق المدني نفسه يشير في (حياة كفاح ج 2 : ص62) إلى أن المؤرخ الـفـرنسـي (شـارل أنـدري جـولـيـان) قـد نسب هـذا المقـال لابـن باديس.

2 ـ يعثر الدارس في النسخة الثانية على مقالين اثنين تربطهما صلة قوية بالمقال الآنف الذكر ، كان الإمام قد نشرهما في وقت لاحق ، و بهما بعض ما جاء في ذلك المقال نصا و روحا، وهما : (حول كلمتنا الصريحة) (ينظر ج5 :ص 301) و (كلمة مرة لأنها صريح الحق و لباب الواقع) (ينظر ج 5 : ص 355) . ولم يرد في آثار توفيق أدنى إشارة إلى هذين المقالين، فبم يمكن تفسير ذلك ؟ و لماذا لم ينسبهما توفيق إلى نفسه ،كما فعل ذلك بسابقهما ؟ فهل كان ذلك لما فيهما من أفكار، كحديث الإمام عن الاستقلال، مما لا يستطيع أحد أن يجهر به آنذاك أو يدعيه ؟ ولا يستطيع أن ينسب ذلك لنفسه يومئذ إلا رجل كان في مثل عزم الإمام، و صدقه، وشجاعته..

3 ـ ليس في المقال ملامح شخصية توفيق ، و لا أسلوبه الذي يتميز بشيء من الحماس و المبالغات و ما إلى ذلك من سمات الأسلوب الخطابي، بينما يصادف الباحث في المقال بعض ما يتميز به أسلوب ابن باديس من قوة، و وضوح، ودقة، و قصد ، ويسر وإحكام ..

4ـ إن المتأمل فيما تضمنه المقال من أفكار و أساليب يلمس فيه روح

ابن باديس الصادقة ، و شخصيته القوية، و شجاعته الكبيرة، وحكمته وذكاؤه . و يدرك أن تلك الطوابع سمات مبثوثة ومتواترة في معظم أعماله بصورة واضحة .

5 - نخلص إلى القول في ختام هذه الفقرة أن هذه الروايات المتصلة بالشيخ و بآثاره، و هذه النصوص المجهولة من تراثه التي يعثر عليها الباحث هنا و هناك ، تؤكد بقوة أن لا مجال للزعم من أن البحث يكون قد استوفى جوانبه حول آثار الشيخ و بلغ في ذلك إلى ما يطمئن إليه الدارس من وجوه الإحاطة و الشمول ، و أحسب أن ذلك مطمح ينبغي ألا يدعيه باحث ، و لا سيما من كان حقل عمله في الدراسات المعاصرة، هذه التي تحتاج أكثر من غيرها إلى نصيب أوفر من الوقت، وحظ أعظم من الصبر، ليستكمل من يتصدى لها شروط البحث والتحقيق والتقصي و الاستقراء ، مما يساعد على الوصول في ذلك إلى نتائج تكون أكثر دقة ، وأوفر إحاطة ، و أعظم قيمة .

سابعا ـ نصوص مبثوثة في تراث ابن باديس وهي ليست له

يمكن القول في ضوء ما تقدم أن آثار الشيخ التي بين أيدينا لم تكن جامعة، ولم تكن مانعة أيضا ـ بالرغم من الجهود المبذولة ـ ذلك أن بعض الأعمال ، مما هو ليس منها قد انزلق إليها ، و يمكن التمثيل لذلك بما جاء بخاصة من نصوص في النسخة الأولى (الجزء الخامس) ومن بينها:

1ـ (البحر الأبيض المتوسط، ص 229).

2 ـ (الأزمة المالية و سقوط الوزارة، ص 231).

3 ـ (هيريو كيف صعد وكيف نزل ؟ ص 233).

4 ـ (وزارة الاتحاد المالي، ص 241).

5 ـ (المعاهدة الإيطالية الأسبانية) ينظر: ص 255.

6ـ (إلى ماذا تسير أوروبا ؟ ص 271) .

و نلحظ أن هذه النصوص من حيث مكان نشرها وزمانه، فقد نشرت كلها في الشهاب، وفي سنة واحدة (من جويلية إلى أكتوبر 1926)

وأما من حيث موضوعاتها فهي تتطرق جميعها إلى بعض الجوانب من قضايا السياسة العالمية التي ليست لها صلة قوية بالجزائر، و لا بما يتصل باهتمامات الإمام وأمثاله، و ليس فيها روحه، ولا أسلوبه .

و يرجح الشيخ أحمد حماني في (النسخة الثانية ج 6: 11) أن هذه المقالات هي أقرب ما تكون لواحد من اثنين:

فهي إما لأحمد توفيق المدني الذي عرف بهذه الميول السياسية في هذه الفترة ، وفي فترة الأربعينات في السلسلة الثانية من البصائر ، أو أنها للدكتور الزبير ابن باديس أحد إخوة الإمام ، و قد عرف هو الآخر بهذه الميول .

ثامنا ـ الخاتمة

ونخلص إلى إيجاز القول في خاتمة هذا البحث أن الجهود المبذولة فيه لم تقتصر في معالجة جوانب الموضوع المدروس على الرجوع إلى مصادره الموضوعية الأساسية، ولا على استنطاق آثاره النظرية و تمحيصها فحسب، و إنما اتجهت العناية فيه بالإضافة إلى ذلك- إلى إجراء بعض الاتصالات و المقابلات مع بعض المعاصرين لمرحلة النهضة الوطنية قصد الاستئناس بآرائهم فيما قد يعترض طريق الباحث من إشكال حول بعض القضايا ، وقد ساعدت الدارس هذه الواسطة إلى جانب غيرها من الوسائط المتصلة بهذا البحث في عملية التقصي والاستقراء لنصوص آثار الشيخ والبحث عن المجهول منها ، و توثيقها وتحقيق بعض الآراء المتصلة بها وبصاحبها .

وبعد فإن الهمم العالية والعزائم المتعاضدة والجهود المتعاونة قد تصل ـ بعون الله وتوفيقه ـ إلى أبعد مما وصلت إليه المحاولات السابقة في عملية جمع تراث الإمام ونشره ، مما يساعد على الوصول إلى ما قد يكون ما يزال مجهولا ومغمورا في أحضان بعض الدوريات وغيرها من المصادر الدفينة هذه وتلك في دهاليز بعض المكتبات الخاصة والعامة ، أو لدى بعض الأشخاص الذين يكونون يجهلون قيمة نصوص هذا التراث، أو يعرفون ذلك ولكنهم لا يدركون كنه فاعليتها في حياة الناس ، فجعلهم ذلك يزهدون في إحياء تلك النصوص والتعامل معها من نحو ، ويعزفون من نحو ثان في فتح الطريق أمام غيرهم من الباحثين للوصول إلى مظانها

والعكوف على جمعها وتحقيقها وإبراز قيمتها ونشرها، والعمل على تفعيلها في حياة الوطن والأمة حاضرهما ومستقبلهما .

وإن الأمل كبير بعد ، أن يضاف هذا الجديد من نصوص تراث الإمام الذي وصلت إليه الجهود الدائبة المستجدة إلى جانب ما سبق استدراكه من نصوص على الطبعات المنشورة من هذا التراث ويضم هذا وذاك بعضه إلى بعض في طبعة جديدة من تراث الإمام، تخرج للناس في حلة قشيبة يكون مضمونها وتكون صورتها أكثر إحاطة، وأعظم شمولية، وأحكم خطة ، وأقوم منهجا، وأجمل تنظيما، وأحسن تبويبا .

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

وحدة الرغاية، الجزائر

2008

Achevé d'Imprimer sur les Presses
ENAG, Réghaïa
- Algerie -

Bp. 75 Z.I. Réghaïa Tél. : 021 84 85 98/84 86 11

الإيداع القانوني : 2005–1513
ISBN : 1112-65-23